الشريعة والقوانين الوضعية:

إنّ لكل من الشرائع الوضعيّة والشريعة السماوية أحكام، ما هي إلا نهي وأمر وقد يلتقي كلا الشرعين أحياناً في المنهي عنه، ومن ذلك أن بعض الموبقات في الشريعة الإسلامية تعتبر جرائم لا تغتفر في الشرائع الوضعية فقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق لا تجيزه القوانين أيّن كانت، والتولي يوم الزحف يعتبر في السنن البشرية خيانة ومع هذا فإن التلاقي في بعض المنهي عنه لا يعني التطابق بين كلا الشرعين فشتان ما بينهما ومنه أن العقاب ليس بواحد فبينما تتخذ الدول المتحضرة في قوانينها من حجز الحرية كأقصى حد لبعض الجرائم فإن الشريعة الإسلامية قد يصل العقاب فيها على بعض المعاصي إلى حد الردع، ومن ذلك أن قتل النفس التي حرم الله يقع عليه القصاص بأن يقتل الجاني (مرتكب الجريمة) في حين تتخذ البعض من القوانين البشرية من حجز الحرية بالسجن كعقاب لهذه الجريمة، والسارق في القوانين البشرية يسجن في حين أنّ الحد على هذه المعصية في الشرع الإسلامي هو قطع اليد ولا يقتصر العقاب في الشريعة الإسلامية على بعض الجرائم بشكل دنيوي، بل لبعض المعاصي آثار تلاحق مقترفيها في عالم البرزخ وفي يوم القيامة.

ويفترق كلا الشرعين في نواهي أخرى ومنها أنّ الربا الذي توعد الله آكليه بالحرب، في النصوص القرآنية يعتبر من الأعمال الاقتصادية في بعض التشريعات الوضعية ويُعتبر القذف من الموبقات في الشريعة الإسلامية في حين تعتبره بعض الشرائع جائز تحت مسمى حرية التعبير.

فالمحظورات في القوانين البشرية لا تكون إلا على ما اتفق عليه وثبت بعلمهم ضرره، والعقاب ليس سواء بين قوم وأقوام وقد يكون على قوم دون أقوام وهذا محال في الشرع الإسلامي فالكل سواء ومنه أن قريشًا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فَقَالوا: ومن يكلم فيها رسول اللَّه ﷺ فَقَالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة ابن زيد حبّ رسول اللَّه ﷺ فَكَلمه أسامة فَقَال رسول اللَّه ﷺ: «أتشفع في حد من

حدود اللَّه، ثم قَام فَاختطَب، ثم قَال: إِنما أَهلَك الذين قَبلَكم أنهم كَانوا إِذا سرق فيهِم الشريف تركوه وإِذا سرق فيهِم الضعيف أَقَاموا علَيه الْحد وايم اللَّه لَو أَنَّ فَاطمةَ بِنت محمد سرقت لَقَطَعت يدها»[1].

والبحث في الشرع الإلهي وإخضاع أحكامه من نهي وأمر للبحث العلمي البشري ومقارنته بالتشريع الوضعي ليس ذو قيمة تذكر، إن لم يكن قائم على أسس العقيدة لا على أسس المصلحة والمنفعة البشرية، والتي طالما اقتصرت في كثير من الأحيان للصواب وهي في معظمها آنية تواتي المرحلة الزمنية التي يحيى فيها الإنسان فكم وكم من حضارة قامت على الأسس العلمية التي وضعها الاختصاصيون كلٌّ في مجاله وعلمه سرعان ما انهارت لقيام تلك المجتمعات والحضارات على أسس المصلحة والظرف الزمني وكم وكم؟ من التشريعات التي وضعت لتخدم عدد من الأفراد دون سواهم، وكم وكم؟ من العلوم الوضعية تغيرت أو تطورت عبر الزمن فهذه علوم البشر قابلة للزيادة والنقص قابلة للتقصي والتحقيق.

غير أن العلم الإلهي علم أزلي أبدي فوق مداركهم وفوق قدراتهم للبحث فيه وإبداء الآراء في مدى صلاحيته وجدوى منفعته ومع هذا فإن العلم والتشريع الوضعي في الآونة الأخيرة وبعدما تبدت الآثار السلبية للمحرمات الإسلامية في بعض المجتمعات التي تبيحها تماشتْ مع الشريعة الإسلامية على أساس المصلحة والمنفعة لا على أسس دينية عقائدية، وقد يكون السبب الأبرز لذلك أن معظم الاكتشافات العلمية تأتي من العالم الغربي الذي يفصل بين العلم والدين بعدما تعارضت الحقائق العلمية مع الكتب السماوية الوضعية التي حررها بني الإنسان وأدخل عليها التحريف.

ولعل من أهم الدلائل على التقاء الدين في بعض محارمه مع الجانب العلمي الذي تتخذه المجتمعات البشرية كدليل قطعي على إطلاق الأحكام، ذهاب بعض المجتمعات إلى تحريم ما حرمه الله في كتابه الكريم، ومن ذلك ذهاب الإتحاد السوفيتي

---

(١) صحيح البخاري، ك/أحاديث الأنبياء بـ/ حديث الغار.

زمن الرئيس ميخائيل كورباتشوف إلى شن حملات مكثفة ضد تعاطي الخمور، باعتبارها السبب الأوّل والرئيسي لتدني الإنتاج في البلاد[1].

ومن ذلك أيضاً ذهاب بعض الدول المتقدّمة إلى الفصل بين الذكور والإناث في نظام التعليم كوسيلة للحد من المساوئ المترتبة عن الاختلاط بين كلا الجنسين.

بل؛ وأخذت دول أخرى في العالم الغربي بالتشجيع على ختان الذكور بعدما تبين للعلماء الصلة المباشرة بين الإصابة بسرطان عنق الرحم[2] وعدم الإختتان.

وما هي إلا قضيّة وقت حتى تكون المحرّمات الإسلامية في صلب التشريعات الوضعية بعد أن يكتشف العلم آثارها المدمرة على الفرد والمجتمع عندها تتماشى قوانين البشر مع قوانين خالق البشر وصدق القائل في محكم كتابه الكريم: ﴿**وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ**﴾ [النور: ٤٩].

❁ ❁ ❁

(١) الإعجاز العلمي في أحاديث التداوي بالخمر، د محمد علي البار، ص٥٨.

(٢) روائع الطب الإسلامي، د محمد نزار الدقر، ج/٤ص/١٢٣.

أحكام الشريعة:

المقصد من أحكام الشريعة الإسلامية النهي والأمر (الحلال والحرام) هو جلب المصالح ودرء المفاسد لكل من الفرد والمجتمع، وليست الأحكام حداً للحريّة أو قيداً على أحد وإنّما هي نظام عادل شامل وتفصيلي ينظّم الشؤون بما يحقق مصلحة الجميع.

فالحلال في الشريعة الإسلامية هو كل ما أحله الله في كتابه الكريم وسنة نبيه ﷺ وحثّ عليه وأوجب لفاعله الأجر والثواب في الدنيا والآخرة والحلال طيبٌ لأنّه منزّل من عند الله لقوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ....**﴾ [المائدة: ٤].

والقصد منه تحقيق المنفعة للفرد والجماعة في الدنيا والآخرة، فهو طريق المؤمن إلى تزكية النفس والفلاح فمن لازمه هدأت نفسه وأطمأن قلبه وبرئت ذمته ونال السعادة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا**﴾ [الشمس: ٩].

والتزامه فريضة على كل مسلم[1] وكأنّما أريد بالحلال: إحلال الإنسان في دار السعادة ورحمة الله في الدنيا والآخرة.

والحرام: هو كل ما نهى عنه الله ورسوله وهو الطريق إلى تدسية النفس لما فيه من أذى وخبث ورتب على فاعله العقاب في الدنيا الآخرة قال تعالى: ﴿**وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ [الشمس: ١٠].

لأن الحرام داء يؤدي بصاحبه إلى التهلكة ويضر بالمجتمع فهو مبني على الفساد والهدف من منعه درء المفاسد، واجتنابه واجب على كل مسلم ومن اقترفه عاش أبد الدهر قلق النفس سقيم الوجدان في الدنيا ومعذباً في الآخرة مهما علا منصبه وهو طريق إلى الهلاك والظلام يجعل صاحبه ينتقل من ظلمة إلى ظلمة حتى يهوي به في نار جهنم، وكأنما أريد بالحرام كل ما يحرم الإنسان من السعادة والرحمة في الدنيا والآخرة.

---

(١) المحرمات وآثارها السيئة على المجتمع، ا د وهبة الزحيلي، ص١٠.

والحرام ضد الحلال[1] واستثناء منه فالمحرم من الأطعمة أصناف محدودة ومعدودة وهي ما جاء ذكرها في النصوص القرآنية الكريمة كالخنزير والميتة... الخ " وغيرها من المحرمات المعلومة والمذكورة في الأحاديث النبوية الشريفة كالحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع أو ما اتفقت الأمة على حرمته بعد أن ثبت ضرره على العقل والبدن، وهذه المحرمات من الأطعمة ما هي إلا جزء يسير لا يذكر إذا ما قورنت بطيبات الأرض المباحة من أنعام ونبات وثمار وغيرها من النعم، فالأصل في المباح من الأطعمة هي قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً**...﴾ [البقرة: ١٦٨].

والأصل في النكاح قوله تعالى: ﴿... **فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ**...﴾ [النساء: ٣].

واستثني من النساء المحرمات كالأم والأخت والعمة والخالة.... الخ، فالمحرمات منهن نسبة لا تذكر بما أباحه الخالق من النساء.

وهكذا فإن نسبة الحرام إلى الحلال في الشريعة الإسلامية لا تكاد تذكر ولما كان الحلال خير والحرام كله شر وكنهج الصحابي في الحديث النبوي الشريف «أن حذيفة بن اليمان يقول كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»[2].

فالبحث في ما أحلته الشريعة الإسلامية والوقوف على جوانبه التي لا تعد ولا تحصى ضرب من المحال ويمكن القول: أن المراد منه فلاح العباد في الدنيا والآخرة، ولما كان المنهي عنه يسير آثرنا أن نقف على بعض المحرمات لنبين:

١- أن هذا الدين حق.

٢- ما يترتب عن الخروج عن منهج الله.

---

(١) مختار الصحاح، الرازي، ١١٦.

(٢) صحيح البخاري، ك/ المناقب بـ/علامات النبوة في الإسلام.

٣- إنّ ما نهى عنه الإسلام ثبت ضرره علمياً على الصعيد الفردي والجماعي.

٤- إنّ للمعاصي آثار كارثيّة على كل من الأصعدة الصحية والاقتصادية والاجتماعية.

٥- الرد على مزاعم المغرضين بأن في النواهي الإسلامية تقيد للحريات.

٦- تبيان أن في النواهي الإسلامية سلامة كل من الفرد والمجتمع.

٧- تبيان بعض الأمراض المترتبة عن المعاصي.

علة كل أمـــر:

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١].

أمر من الله لخليله إبراهيم عليه السلام بالإسلام قابله طاعة بالتنفيذ بلا كيـــف ولماذا، فالإسلام لربّ العالمين تسليم إخلاص وتوحيد ومحبّة وإنابة والانقياد لأوامـــره والمسارعة إلى تلقيها بالقبول وترك الإعراض بالقلب واللسان، وهذا حـــال المـــؤمن المسلم لله تعالى.

والمسلم كما قال الرسول الكريم: (المسلم من سلم الناس لسانه)وهو الـــذي يسلم أمره لله والتسليم لا يكون للمساوي أبداً، فقلما يكون التسليم والخضوع من إنسان لإنسان وإن كان فهذا خضوع من جاهل لجاهل.

ولكن الخضوع والتسليم يكون لمن هو أعلى وأقوى وأعلم وأخبر، لـــذا كـــان التسليم لمن اتفق على أنّه لا إله إلا هو الخالق عز وجل الذي له الكمال المطلق[1] وأصل الدين أن يكون الخضوع لله سبحانه وتعالى وعبادته، هي خضوع لأمره ونهيه لذلك فإن الاستسلام لما جاء في النصوص الشريفة هو استسلام للمطلق وخضوع للعلـــيم الخبير واللطيف الحكيم الذي هو أعلم بخلقه وأعلم منهم بصلاح أمر دنياهم التي فيها معاشهم وآخرتهم التي إليها معادهم.

فما من عاقل إن جهل في أمور دنياه شيئا أو اشتكى أمراً ولجأ إلى صاحب علم أو خبرة وأرشده إلى ما فيه صلاح أمره، قلما يفكر بما أعطاه لعلمه كالمريض الـــسقيم يطيع وينفذ أمر طبيبه بلا جدل ولا سؤال لأن في كلامه الشفاء.

فكيف بتعاليم الله صانع الخلق العليم الخبير؟

فكثرة السؤال والبحث عن علّة الأحكام من أمر ونهي ليست من الإســـلام في شيء لإدراك المسلم المؤمن بأن الأحكام برمتها أنزلت من لدن حكيم خـــبير،

(١) أسئلة حرجة وأجوبة صريحة، الشيخ محمد متولي الشعراوي، ص٩٤.

ولإدراكه بأنّ هذه الأحكام حق لا يأتيها الباطل قال تعالى: ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت: ٤٢].

لذلك فقد كره ﷺ كثرة السؤال بين أصحابه من الأنصار والمهاجرين الذين رسخ الإيمان في قلوبهم ونفوسهم خشيةً أن يكون ذلك سبباً لنزول التشديد في الأحكام، ونهى عن المسائل التي لا يحتاجها المسلمين في شؤونهم، فبعد نزول القرآن ما من شيء إلا وتبيانه فيه ومعنى هذا أنّ جميع ما يحتاجه المسلمون في أمور دينهم ودنياهم لا بد أن يبينه الله في كتابه الكريم على يد رسوله فلا حاجة بعد هذا لأحد في السؤال.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾ [المائدة: ١٠١].

وقال ﷺ: «إن الله تعالى كره لكم ثلاث قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال»(١).

وقال: «ذروني ما تركتكم فإنّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»(٢).

ولم يكن النبي ﷺ يرخص في المسائل إلا للأعراب ونحوهم من الوفود القادمين عليه يتألفهم بذلك، وكان ﷺ إذا سئل عما لا يحتاجون إلى علمه أرشدهم إلى ما هو الأهم في حقهم، وهو الاستعداد لوقوع ذلك والتهيؤ له ومثل ذلك أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ متى الساعة قال له رسول الله ﷺ: ما أعددت لها(٣)؟.

فمآل كثرة السؤال والبحث في علة كل أمر إلى الكفر قال ﷺ: «لا يزال الناس يسألونكم عن العلم حتى يقولوا هذا الله خلقنا فمن خلق الله»(٤).

---

(١) صحيح البخاري، ك/ الزكاة بـ/قوله تعالى لا يسألون الناس إلحافاً.....

(٢) صحيح مسلم، ك/ الحج بـ/ فرض الحج مرة في العمر.

(٣) صحيح مسلم، ك/ البر والصلة والأدب بـ/ المرء مع من أحب.

(٤) صحيح مسلم، ك/ الإيمان بـ/ بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب محمد ﷺ، ما سألوه إلا عن اثنتي عشرة مسألة[1] [2] كلها من القرآن كالمحيض والأهلة والإنفاق والشهر الحرام...الخ، وقد كان أصحابه رضوان الله عليهم يسألونه أحياناً عن حكم حوادث قبل وقوعها للعمل بها إن وقعت.

وقد سئل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً**﴾ [الطلاق: ١٢].

فقال: لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم وكفركم تكذيبكم بها[3].

فالرسول ﷺ نهى عن المسائل التي تأتي على وجه التعنت والعبث والاستهزاء، أو عن تلك المسائل التي أخفاه الله عن عباده و لم يطلعهم عليه، كالساعة والروح أو المسائل المختصة بأشياء قبل وقوعها من ما لا حاجة لهم فيها أو تلك المسائل التي تنطوي على المراء والجدل.

وأما المسائل التي يقصد بها وجه الله للتقرب إليه بمعرفة ما أنزل على سيد الخلق لسلوك طريقه والعمل بنهجه، فهذا مطلب شرعي لأن السؤال عن العلم محمود إذا كان لمعرفة أمر الخالق للعمل به واجتناب نهيه.

لذلك فإن ما يتعين على المسلم الاعتناء به، والاهتمام أن يبحث عمّا جاء عن الله ورسوله وذلك لا يكون إلا بالسؤال، ثم يتعين عليه بعد المعرفة التصديق بذلك إن كان من الأمور العلمية وإن كان ما وقف عليه من الأمور العملية بذل ما في وسعه في فعل ما يستطيع من الأمر واجتناب ما نهي عنه.

والتصديق بما جاء به الله ورسوله هو مطلب للشريعة من دون الوقوف على العلة وتقديم البرهان والسنة النبوية تزخر بتصديق الصحابة وتسليم أمرهم لله

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ص١٩٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج/٤ص/٤١١.

ورسوله، ومنها حادثة الإسراء والمعراج حيث ذهب نفر من قريش إلى أبي بكر فقالوا هل لك في صاحبك يزعم أنه جاء إلى بيت المقدس ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة، فقال أبو بكر: أوَ قال ذلك؟ قالوا: نعم؛ قال: فأنا أشهد لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا: فتصدقه في أن يأتي الشام في ليلة واحدة ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح قال: نعم. أنا أصدقه بأبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء[1] ولذلك سمي أبو بكر بأبي بكر الصديق.

وما كان من أصحابه ﷺ عند تحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة إلا الانقياد لهديه دون الوقوف على علة الأمر، وكان هذا التحول في منتصف شهر رجب على الصحيح، وبه جزم جمهور العلماء حيث كان الرسول ﷺ إماماً لأصحابه في صلاة الظهر وبعد أن صلى ركعتين نزل جبريل على النبي بتحويل القبلة فاستدار النبي وهو في صلاته إلى الكعبة واستدار معه أصحابه دون أي استفسار وسمي هذا الموضع بالمسجد ذي القبلتين[2].

ولما نهاهم سيد الخلق عن بعض ما يقتاتون به ما كان منهم إلا الانقياد والطاعة لأمره ففي غزوة خيبر حرم رسول الله ﷺ لحوم الحمر الأهلية -الإنسية- وحرم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير، وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «نهى النبي ﷺ عن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر» ورويا بسندهما عن أنس أن رسول الله ﷺ جاءه جاءٍ فقال: أكلت الحمر ثم جاءه جاءٍ فقال أكلت الحمر ثم جاءه جاءٍ فقال: أفنيت الحمر فأمر منادياً ينادي في الناس: «إنّ رسول الله ينهاكم عن لحوم الحمر الأهلية فإنها رجس فأكفئت القدور وإنها لتفور»[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج/٣ ص/١٢.

(٢) السيرة النبوية، د محمد بن محمد أبو شهبة، ج/٢ ص/١٠٤.

(٣) السيرة النبوية، د محمد بن محمد أبو شهبة، ج/٢ ص/٣٨١.

ومن الصحابة من بالغ في امتثال أمره ﷺ واجتناب نهيه وأبى أن يأخذ بالتأويلات الضعيفة، فعن ابن عباس قال: «أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجلٍ فنزعه فطرحه وقال يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ خذ خاتمك انتفع به قال لا والله لا أخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ»(١).

وها هم الصحابة يريقون شرابهم الذي يستأنسون به أرضاً لسماعهم أنه حرم عليهم بلا كيف ومتى ولماذا، ولكن امتثال لأمر رسول ﷺ فعن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: «كنت أسقي أبا عبيدة وأبا طلحة وأبي بن كعب من فضيخ زهوٍ وتمرٍ فجاءهم آتٍ فقال إن الخمر حرمت فقال أبو طلحة قم يا أنس فأهرقها فأهرقتها»(٢). والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً.

فمثل المؤمنون كمثل المرسلين في كتاب الله فهم يسمعون ما أمروا به ويطيعون قال تعالى: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فالمؤمن يدرك بأن الأمر من لدن عليم خبير وإنّ الله تعالى أعلم بمصلحته منه فما كان فيه هدايته ونفعه كان فرضاً عليه وما كان فيه ضلالته وأذيته حرم عليه، فالحاجة المهمة للمؤمن هي فهم ما أخبر الله به رسوله ثم إتباع ذلك والعمل به ليدرك بعد إفصاح القرآن عن بيناته بأنّ العلة في كل أمر بأنها أمر من لدن حكيمٍ خبير عالم بخلقه، وبأن الحكمة تقتضي امتثال أمره واجتناب نهيه فرأس الحكمة مخافة الله في ما فرض الله.

فإن انقياد المسلم لأمر الله ورسوله ﷺ لا يجوز أن يتوقف على معرفة حكمة من الحكم، أو الفائدة من التشريع، وذلك لأن المؤمن ومهما أمر بشيء فالواجب عليه السمع

---

(١) صحيح مسلم، ك/ اللباس والزينة بـ / تحريم خاتم الذهب على الرجال.....

(٢) صحيح البخاري، ك/ الأشربة بـ/ نزول تحريم الخمر وهي من البسر والتمر.

والطاعة، وهذا مقتضى العبودية، ثم إن عقول البشر قاصرة وعاجزة عن إدراك حكمة الله عز وجل في كل حكم من أحكامه، فلو توقف الانقياد على معرفة الحكمة لتعطلت كثير من الشرائع، بل الواجب على المسلم أن يبادر بالامتثال لأمر ربه تعالى عالما بأنه عز وجل لا يشرع ما يشرع إلا لمصلحة العباد، وهذه المصلحة قد تظهر وقد تخفى عليهم، فإن ظهرت لم يزدهم ذلك إلا انقياداً وإن خفيت لم يجعلوا انقيادهم متوقفاً عليها.

قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا**﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: ٦٥].

وختاماً في هذا الموضع فإن الرسول الكريم قد أدرك بأن بينات القرآن عطاءٌ مستمر لا ينتهي ولا يلبث هذا العطاء الإلهي أن يكشف عن بعض مكنوناته كل حين ليبقى القرآن معجزة الله الخالدة في خلقه إلى يوم يبعثون قال تعالى: ﴿**إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ**﴾[ص: ٨٨].

ولحكمة إلهية لم يفسر النبي ﷺ هذه البينات إما باجتهاد منه أو بتوجيه من الله جلت حكمته لأنه لو فسرها على نحو يناسب فهم من حوله لأنكر هذا التفسير من سيأتي بعده، ولو فسرها تفسيراً يفهمه من سيأتي بعده لاستغلق هذا التفسير على من حوله[1] واليوم الحمد لله فإن النصوص الشريفة تفصح عن بعض مكنوناتها بحيث نشاهد بأم أعيننا بأن الخروج عن منهج الله وهديه فيه وبال على كل من الفرد والمجتمع وما استغلق على القوم فهمه من التحريم قبل حين يظهر بصورة جلية في الأمراض المترتبة عن إتيان ما نهى عنه الله ورسوله. وأول وآخر القول أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان، أ. د. محمد راتب النابلسي، ص١٢.

آثار المعاصي:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا**﴾ وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُم**﴾، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمهُ حرام ومشربهُ حرام وملبسهُ حرام وغذّي بالحرام فأنّى يستجاب لذلك»[1].

الحديث لا يقتصر فقط على آداب الدعاء وعلى الأسباب التي يقتضى بموجبها إجابته أو منعه، لأنه عام بقول العلماء فهو لا يشتمل على المطعم والمشرب والملبس بل يدخل فيه الأعمال، لأن الله لا يقبل إلا الأعمال الخالصة لوجهه والطيبة الطاهرة من المفاسد كلها كالرياء والعجب والأقوال، لقوله تعالى: ﴿... **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**...﴾ [فاطر: ١٠].

والاعتقادات فالمؤمن كله طيب، قلبه بما سكن فيه من الإيمان، ولسانه بما ظهر عليه من الذكر، وجسده بما لازمه من عمل الجوارح من الأعمال الصالحة التي هي ثمرة الإيمان، فهذه هي الطيبات التي يقبلها الله عز وجل من عباده.

فأكل الحلال من أسباب قبول العمل الصالح، وأمّا أكل الحرام فإنه مفسدٌ للعمل مانعٌ لقبوله قال ﷺ: «لا يكتسب عبدٌ مالاً حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق به فيقبل منه ولا يترك خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله عز وجل لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث»[2] فارتكاب المحرمات الفعلية والتوسع في الحرام تمنع قبول الدعاء، وتورث صاحبها في الدنيا قلق النفس وسقم الجسد والوجدان وتنزله في الآخرة دار الذل والهوان، وكذا شأن ترك الواجبات[3].

---

(١) صحيح مسلم، ك/الزكاة بـ/الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها.

(٢) مسند أحمد، ك/مسند المكثرين من الصحابة بـ/ عبد الله بن مسعود.

(٣) انظر كتاب جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي.

فالحرام داء يقضي على صاحبه ويخرجه من رحمة الله ويفتك بالمجتمع من حوله لأنه إفسادٌ للبلاد والعباد.

آثار المعاصي على الفرد والمجتمع:

١- أثر المعصية في الفرد:

فارتكاب المحرمات يستوجب في ميزان العدل العقوبة، التي قد تكون في الدنيا وخاصة إن كانت متعلقة بحقوق العباد، وقد تكون في عالم البرزخ، وقد تكون في الآخرة، ولكن الرحمة تقتضي تأجيل العقاب إلى الآخرة لإعطاء الفرصة الكافية للإنسان للعدول عن الحرام، غير أنّ للمعصية آثار تتجلى على فاعلها في الدنيا ومن هذه الآثار نذكر:

١- المعصية سبب اللعن والطرد من رحمة الله.

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]، واللعن في اللغة العربية: الطرد من رحمة الله.

والأحاديث النبوية كثيرة في لعن بعض الخارجين عن منهج الله كلعن الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله وشاهديه... الخ.

٢- المعاصي سبب لحرمان التوفيق والنجاح.

قال تعالى: **﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾** [الطلاق: ٤].

والتقوى فعل طاعته واجتناب معصيته[١] فالتقوى سبيل لرضا الله ومفتاح لنيل تيسيره وتوفيقه، والعصيان سبب لغضب الله وطريق للضياع والهلاك في الدنيا والآخرة، فكم وكم من بابٍ أغلق في وجه أصحاب المعاصي.

٣- المعاصي تحرم صاحبها من نور العلم والمعرفة.

والشاهد على ذلك قوله تعالى: **﴿اتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** [البقرة: ٢٨٢].

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ص٣٣٣.

ويقول الإمام الشافعي ﷺ في هذا الموضع.

شكوت إلى وكيع سوءَ حفظـــي فأرشـــدني إلى تـــرك المعاصـــي

وأخـــبرني بـــأن العلـــم نـــور ونـــور الله لا يهـــدى لعاصـــي

٤- المعاصي سبب لذل وهوان صاحبها وبغض المؤمنين له.

قال ﷺ: «وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري»[١].

٥- المعاصي تميت القلب وتطمس نور الإيمان.

فالقلب ملك الأعضاء وهي جنوده لا تخالفه في شيء فإن فسد القلب فسدت الأعضاء، فأعمال الجوارح لا تستقيم إلا باستقامة القلب وهذا يتحقق إن كان ممتلئاً بمحبة الله ومحبته طاعته وكراهة معصيته قال تعالى: ﴿**كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [المطففين: ١٤]. فالكسب الحرام سبب لضلال القلب.

وقال تعالى: ﴿**إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ [الشعراء: ٨٩].

قال الحسن لرجل داو قلبك فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم[٢].

٢- أثر المعصية في المجتمع

قال تعالى: ﴿**أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ**﴾ [الأنعام: ٦].

فالمجتمع الخارج عن منهج الله إلى طريق الهلاك، والفرد إن لم يردع عن معصية الله ويعاقب عليها، ووجد من يقر له فعله تحولت المعصية من حالة فردية إلى ظاهرة اجتماعية استحق المجتمع العقاب عليها والحديث النبوي الشريف يبين جوانب من أثار تفشي المعصية في المجتمع.

---

(١) مسند أحمد، ك/مسند المكثرين من الصحابة بـ /مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ص١٦٨.

قال ﷺ: «يا معشر المهاجرين خمسٌ إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن:

- لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا.

- ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم.

- ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا.

- ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم.

- وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم»[1].

١- ظهور الأمراض التي لم تكن في الأمم السابقة، وهي كثيرة في الوقت الحالي كالإيدز وجنون البقر وأنفلونزا الخنازير وغيرها من الأمراض التي ظهرت في الآونة الأخيرة، وذلك نتيجة لشيوع الفاحشة في معظم المجتمعات التي تقرها حتى باتت بعض المجتمعات تحمي هذه الفواحش وتسن لها القوانين تحت مسمى الحريات الشخصية.

٢- حصول القحط والجدب، ومنع القطر من السماء فالمعصية تمحق الرزق.

قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ**﴾ [الأعراف: ٩٦].

٣- تسلط الحكام الظالمين الطغاة المتجبرين على الشعوب.

٤- وقوع البأس والخلاف بين أفراد المجتمع الواحد.

٥- تسلط الأعداء على المسلمين ووقوع الهزائم الحربية.

---

(١) سنن ابن ماجه، ك/ الفتن بـ / العقوبات.

٦- الخسف والزلازل والمسخ[١].

قال ﷺ: «في هذه الأمة خسفٌ ومسخٌ وقذفٌ فقال رجل من المسلمين يا رسول الله ومتى ذاك قال إذا ظهرت القينات والمعازف وشربت الخمور»[٢].

٧- زوال نعمة الأمن والرخاء عن المجتمع.

قال تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ**﴾ [النحل: ١١٢].

٨- المعاصي تزيل النعم وتحل النقم.

قال تعالى: ﴿**وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ**﴾ [النحل: ١١٢].

فالفرد والمجتمع الخارجان عن منهج الله والمقيمان على معصيته هما في ضلال مبين وإلى خسران في الدنيا والآخرة.

وها نحن ذا بعون الله وفضله نبين للقارئ الكريم بعض ما أظهرته الدراسات العلمية، وبأسلوب علمي ما للمعاصي والخروج عن منهج الله من أثر على كل من الفرد والمجتمع.

❁ ❁ ❁

---

(١) وقد خاب من دساها، د محمد ياسر المسدي، ص٢٥٤.

(٢) سنن الترمذي، ك/ الفتن عن رسول الله بـ / ما جاء في علامة المسخ والخسف.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

إنّ ما تعاني منه البشرية من انحلال خلقي وما يترتب عنه من أمراض جنسية كمتلازمة العوز المناعي المكتسب الإيدز، والأمراض الزهرية وغيرها من الأمراض المستعصية، والتي يكاد يضيق بها القاموس الطبي لكثرتها وما يترتب عن هذا الانحلال من أضرار اقتصادية على الصعيدين الفردي والجماعي، بل وجميع ما تعانيه البشرية من جراء بذل جهود مهدورة على الصعيد العالمي للحد من تلك الأضرار والآثار الفتاكة، وتخبط أفراد هذا الجنس بين قوانين تبيحه وأخرى تمقته وغيرها من التبعات المدمرة على الجنس البشري، إنّما يكمن الخلاص منها في بضع كلمات من التشريع الإلهي وتكاد تجمل في نقطتين:

١- إباحة الزواج:

فالشهوات والغرائز التي أودعت فينا لا كبت لها في الشريعة الإسلامية، وإنّما هو التهذيب حيث لا تفلت في الإسلام فسبحانه وتعالى ما حرم من شيء إلا وأحل ما يغني عنه ويقوم مقامه، فهو بتحريمه الزنى ومقدماته وكل ما يقود إليه أباح قضاء شهوة النكاح بالزواج ومشروعية ذلك في قوله تعالى: ﴿...**فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ**...﴾[النساء: ٣].

وقوله تعالى: ﴿**وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ**...﴾ [النور: ٣٢].

وسن لمن قدر عليه لقوله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج...»[(١)].

وعن أنس بن مالك قال كان رسول الله ﷺ يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهياً

(١) صحيح البخاري، ك/ النكاح بـ/ من لم يستطع الباءة فليصم.

شديداً ويقول: «تزوجوا الودود الولود إني مكاثر الأنبياء يوم القيامة»[1].

ومن حكمته:

١- الحفاظ على النوع الإنساني بالتناسل.

٢- تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة على أساس المنهج الإلهي.

٣- سد حاجة كل من الذكر والأنثى، بقضاء شهوة الجماع لتحصين الفرج.

٤- تعاون كلا الزوجين الأب والأم على تربية الأولاد والمحافظة على حياتهم.

٢- تحريم الفواحش:

وصريح ذلك في قوله تعالى: ﴿... **وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**...﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**...﴾ [الأعراف: ٣٣].

فشهوة النكاح التي أودعت في الإنسان إنّما تقضى بالزواج الذي أباحه الخالق سبحانه وتعالى لا بالفواحش التي حرمها، وفي مقدمتها الزنى ومن هنا فالشهوات التي فيها وهج وقوة جذب والتي يضعف الإنسان أمامها في بعض الظروف نهى الشرع الحكيم عن الاقتراب، من أسبابها لقوله تعالى: ﴿**وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا**﴾[الإسراء: ٣٢].

فالخالق جل في علاه قال لا تقربوا الزنا، ولم يقل لا تزنوا فكل ما يثير هذه الشهوة حرام وكل ما يفضي إليها حرام سواء أكان ذلك بإطلاق البصر أو بتبرج المرأة وسفورها أو باختلاطها بالرجال بدون ضابط شرعي، فإن كان هناك خلوة ثارت الشهوة، وإن كان هناك إطلاق للبصر ثارت الشهوة فكل ما يفضي إلى الحرام فهو حرام شرعاً وكقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

---

(١) مسند أحمد، ك/ باقي مسند المكثرين بـ/ مسند أنس بن مالك.

نظرة فابتسامة فسلام فـــ ـــكلام فموعـــد فلقـــاء

ففـــراق يكـــون منـــه الـــداء أو فـــراق يكـــون فيـــه دواء

وعلى الرغم من أن ما يعمله المتزوج هو ذاته ما يصنعه الزاني، لكن شتان مـــا بين أمر الله ونهيه في قضاء هذه الشهوة، ففي الزواج تلبية لحاجة الـــنفس البـــشرية وحفظ للأبدان من الأسقام وفيه بناء للأسرة وسلامة المجتمع، في حين أن في الزنا ما لا تحمد عقباه على كل من الفرد والمجتمع وهذا شأن صنيع الفواحش في المجتمعات.

فالخروج عن منهج الله والفطرة التي خلق الإنسان عليها عاقبته وخيمة علـــى الجنس البشري وقد كان في هذا الخروج هلاك الأمم السابقة وخير شـــاهد ودليـــل زوال معظم الحضارات بعدما تفشى بين أفرادها الرذائل الجنسية ومنهم قوم لوط.

❁ ❁ ❁

التبـــــرج:

قال تعالى: ﴿... **وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى...**﴾ [الأحزاب: ٣٣].

والتبرج لغة: إظهار المرأة لزينتها ومحاسنها للرجال[١] وإظهار كل ما يستدعي الشهوة.

وفي تفسير القرآن العظيم[٢] عن مجاهد: أن المرأة كانت تخرج تمشي بين يدي الرجال فذلك تبرج الجاهلية وعن قتادة قوله: إذا خرجتن من بيوتكن وكانت لكنَّ مشية وتكسر وتغنج، وعن مقاتل أن المرأة كانت تلقي الخمار على رأسها ولا تشده فيواري قلائدها وقرطها ويبدو ذلك كله منه والآية خاصة في نساء النبي عمت نساء المؤمنين.

وما التبرج في صوره وأشكاله المختلفة إلا خروج عن المنهج الإلهي والهدي النبوي الشريف، وإن تعددت مظاهره قديماً وحديثاً فإن المراد منه واحد، وهو فتنة الرجل وإذا ما قورن التبرج في العصر الحديث بتبرج الجاهلية لكانت جميع الصور التي تروى عن تبرج الجاهلية تبدو ساذجة ومحتشمة حين تقاس بتبرج جاهليتنا الحاضرة، ومن ذلك الألبسة الضيقة والألبسة التي تشبه ألبسة الرجال والألبسة التي تشبه ألبسة الكفرة، ومن مظاهر التبرج الأخرى التي نهى الإسلام المرأة عنها وحذرها منها درءاً للفتنة وسداً للوسوسة الشيطان، الطيب والعطور التي تتطيب بها المرأة أثناء خروجها من المنزل وهذا النهي لحكمة يعلمها الله سنبينها بعونه تعالى لاحقاً وإذ أردنا أن نتكلم عن صور ومظاهر التبرج في الوقت الراهن لطال بنا المقام في هذا الموضع، وهي بمجملها محرّمة شرعاً لوجود ما يحرمها في النصوص الشريفة ولعل من أخطر وأفحش صور التبرج في الوقت الراهن ستر بعض البدن وكشف البعض الآخر، تحت مسمى الموضة أو ما بات يعرف تحت مسمى حرية المرأة أو مسمى مساواة المرأة بالرجل، وما المرأة المسلمة بغافلة عن المراد من تلك المسميات الهادفة إلى إخراجها عن المنهج الإلهي، وإن جاز التعبير فإن ما يدعو إليه الغرب ما هو إلا إفساد للمرأة لا حرية للمرأة والدليل القاطع على هذا

---

(١) مختار الصحاح، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر الرازي، ص٤٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج/ ٣ ص/ ٤٩١.

القول أن أعلى نسبة للأمراض الجنسية والتي سنتحدث عنها تباعاً هي في الدول الإباحية التي تزداد فيها حرية المرأة المزعومة، وما تلك الحرية إلا خداع وتضليل للمرأة لإخراجها خارج كيان الأسرة والمترل وقد أفلح البعض في هذه الغاية حتى أضحى الخطر المحدق بالمرأة الغربية سواء في المترل وخارجه.

والتبرج كما ذكرنا ما هو إلا خروج عن المنهج الإلهي الداعي إلى الحشمة والاحتشام، ولعل أبرز سمة للتبرج في الوقت الراهن هو شبه التعري من اللباس بين النساء لإظهار مفاتنهن الجسدية وهذا ما وصفه النبي الكريم ﷺ بقوله: «صنفان من أهل النار لم أرهما قومٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسياتٌ عارياتٌ مميلاتٌ مائلاتٌ رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[1].

مرض يصيب المرأة المتبرجة:

لقد أثبتت البحوث العلمية الحديثة أن تبرج المرأة وعريها يعد وبالاً عليها حيث أشارت الإحصائيات الحالية إلى انتشار مرض السرطان الخبيث في الأجزاء العارية من أجساد النساء ولا سيما الفتيات اللاتى يلبسن الملابس القصيرة فلقد نشر في المجلة الطبية البريطانية: أن سرطان الجلد الخبيث القتامي.. الميلانوما[2].. والذي كان من أندر أنواع السرطان أصبح الآن في تزايد مستمر وأن عدد الإصابات في الفتيات في مقتبل العمر يتضاعف حالياً حيث تبدأ أعراضه في أي مكان من الجسم وغالباً ما يظهر في الجزء الأعلى من الظهر والجذع ومنخفض الساق والذراع وفي الرأس والرقبة وأن السبب الرئيسي لشيوع هذا السرطان الخبيث هو انتشار الأزياء القصيرة التي تعرض جسد النساء لأشعة الشمس فترات طويلة على مر السنة.

وقد ناشدت المجلة أطباء الأوبئة أن يشاركوا في جمع المعلومات عن هذا المرض وكأنه يقترب من كونه وباء ووفق لمنظمة الصحة العالمية فإن سرطان الجلد يقتل

---

(١) صحيح مسلم، ك/ الجنة وصفة نعيمها وأهلها ب/ النار يدخلها الجبارون...

(٢) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، ص١٩٢.

سنوياً ٦٦٠٠٠ شخص حول العالم وقد تضاعفت الإصابة به عما كانت عليه في عام ١٩٧٠ أربعة أضعاف وبحسب الموقع الالكتروني لمؤسسة سرطان الجلد التابعة لمنظمة الصحة العالمية فإن سرطان الجلد هو الأكثر دموية حيث أسفر عن مقتل ما يقرب من ٨٦٥٠ من الأمريكيين في عام ٢٠٠٩ ميلادي وهذا يذكرنا بقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الأنفال: ٣٢].

ولقد حل العذاب الأليم أو جزء منه في صورة السرطان الخبيث الذي هو من أخبث أنواع السرطان وهذا المرض ينتج عن تعرض الجسم لأشعة الشمس والأشعة فوق البنفسجية لفترات طويلة وهو ما توفره الملابس القصيرة أو ملابس البحر على الشواطئ ويلاحظ أنه يصيب كافة الأجساد وبنسب متفاوتة ويظهر أولا كبقعة صغيرة سوداء وقد تكون متناهية في الصغر وغالباً ما تكون الإصابة في القدم أو الساق وأحيانا في العين ثم يبدأ بالانتشار في كل مكان واتجاه مع أنه يزيد وينمو في مكان ظهوره الأول فيهاجم العقد الليمفاوية بأعلى الفخذ ويغزو الدم ويستقر في الكبد ويدمرها.. وقد يستقر في كافة الأعضاء ومنها العظام والأحشاء بما فيها الكليتان ولربما يعقب غزو الكليتين البول الأسود نتيجة لتهتك الكلى بالسرطان الخبيث الغازي..

وقد ينتقل للجنين في بطن أمه ولا يمهل هذا المرض صاحبته طويلاً كما لا يمثل العلاج بالجراحة فرصة للنجاة منه كباقي أنواع السرطان حيث لا يستجيب هذا النوع من السرطان للعلاج بجلسات الأشعة من هنا تظهر حكمة التشريع الإسلامي في ارتداء المرأة للزي المحتشم الذي يستر جسدها جميعه بملابس واسعة غير ضيقة ولا شفافة فلقد صار واضحاً أن ثياب العفة والاحتشام هي خير وقاية من عذاب الدنيا المتمثل في هذا المرض فضلا عن عذاب الآخرة.

والسؤال في هذا هل بعد تأييد نظريات العلم الحديث لما سبق أن قرره الشرع الحكيم من حجج يحتج بها لسفور المرأة وتبرجها وهذا ما يجعلنا نقف على حكمة من قوله تعالى: ﴿.... **وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى**....﴾ [الأحزاب: ٣٣].

مجموعة من الصور تظهر الإصابة بسرطان الجلد الميلانوما في مراحله الأولى بحيث يتخذ مظهر الشامة على الجسد.

الصورة تظهر إصابة الوجه
بسرطان الجلد الميلانوما

❁ ❁ ❁

إطلاق البصر:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

النظر بريد الزنا ورائد الفجور، والبلوى فيه أشد وأكثر لهذا جعلنا منه مدخلنا إلى الفواحش التي أمرنا الخالق باجتنابها، والتي سنأتي على تبيان أضرارها لاحقاً.

أمر الخالق عباده المؤمنين بحفظ فروجهم من بعد أمره لهم بحفظ الأبصار التي هي بواعث إلى ذلك وأمر النساء بما أمر الرجال بل وفرض عليهن أن لا يظهرن ما يُفتن الرجال به قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

فالرجال والنساء مكلفون بغض البصر عن محارم الله على حدٍ سواء فالنظر لا يكون في الدين الحنيف إلا إلى ما أباحه الله لهم وفق ضوابط الشريعة.

العين رسول القلب:

فالعين إما أن تملأ القلب سعادة بالتقرب إلى الله تعالى بالكف عن النظر إلى محارمه وهذا يفضي بالعبد إلى حب الخالق وعبادته.

وإما أن تملأ العين القلب شقاءً بالنظر إلى ما حرم الله عليها وبالتالي تكون داعية إلى فساد القلب بملئه بالشهوة وحب الدنيا وعبادة البشر وكما قال بعض السلف الصالح النظر سهام سم إلى القلب.

لذا كان لإطلاق النظر في الشريعة الإسلامية نوعين:

الأول: واجب شرعيٌ لقوله تعالى: ﴿**قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ**﴾[يونس: ١٠١]

وقوله تعالى: ﴿... **انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنعام: ٩٩].

فتوجيه النظر إلى عظمة خلق الله وبديع صنعه في الآيات الكونية وغيرها من الآيات الدالة على قدرته وتمام حكمته وشمول علمه ونفوذ إرادته واجب قرآني.

الثاني: محرم شرعاً.

وهو أمر من الله تعالى إلى عباده أن يغضوا أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظروا إلا إلى ما أباح النظر إليه وجُعل غض البصر في السنة النبوية المطهرة من حق الطريق لقوله ﷺ: «إياكم والجلوس على الطرقات فقالوا ما لنا بدٌ إنما هي مجالسنا نتحدث فيها قال فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها قالوا وما حق الطريق قال غض البصر وكف الأذى ورد السلام وأمرٌ بالمعروف ونهي عن المنكر»[(١)].

لذلك قال ﷺ لعلي ﷺ: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليس لك الآخرة»[(٢)].

ووعد ﷺ من يغض بصره عن محارم الله بقوله: «ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة أول مرةٍ ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادةً يجد حلاوتها»[(٣)].

فغض البصر عن ما حرم الله عنه يورث في القلب حلاوة وأما إطلاقه بلا حدود ففيه:

---

(١) صحيح البخاري، ك/ المظالم والغصب بـ/ أفنية الدور والجلوس فيها....

(٢) سنن أبي داود، ك/ النكاح بـ/ ما يؤمر به من غض البصر.

(٣) مسند أحمد، ك/ باقي مسند الأنصار بـ/ حديث أبي أمامة الباهلي الصدي...

١- معصية لله:

فإطلاق البصر إلى ما نهى الله عنه فيه مخالفة لشرعه ومعصية لأمره وخروج عن سنة رسوله ذلك لأن النظر قد يؤدي إلى الوقوع في الفواحش كالزنا ومن هذا القبيل سمي النظر إلى المحرمات زنا كما جاء في الحديث الصحيح: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر وزنا اللسان المنطقُ والنفس تمنَّى وتشتهي والفرج يصدِّق ذلك كله ويكذبه»[١].

٢- شقاء القلب:

والنظر إلى ما حرم الله شقاء للقلب الذي يضنيه البصر فلا هو قادر على ما يراه ولا هو صابرٌ عليه مما ينتهي به إلى الحيرة والاضطراب، لهذا قيل: إن النظر أوله أسف وآخره تلف فالإصرار على صغار الأمور مآله إلى الكبائر وفي هذا قال الشاعر.

كل الحوادث مبداها من النظر ... ومعظم النّار من مستصغر الشررِ

كم نظرةٍ بلغت من قلبِ صاحبها ... كمبلغ السهم بلا قوسٍ ولا وترِ

والعبد ما دام ذا طرفٍ يُقلّبه ... في أعين الغيدِ موقوفٌ على الخطرِ

يسرُ مقلتَه ما ضرَّ مُهجته ... لا مرحباً بسرورٍ عاد بالضررِ

٣- أضرار صحية:

قال ﷺ: «النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة فمن تركها مِن خوفِ الله جل وعز أثابه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه»[٢].

وكفعل السم في الجسد الذي يسري إلى كل أنحاء الجسم يكون للنظرة فعلها فهي لا تكاد تغفل عضواً منه وإن تباينت الأضرار فيما بين الأعضاء وهذا ما تؤكده

---

(١) صحيح البخاري، ك/ الاستئذان ب/ زنا الجوارح دون الفرج.

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم، بـ/ النظرة سهم من سهام إبليس.

الأبحاث العلمية ويبينه الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي في حديثه عن مخاطر النظرة بعد النظرة إذ يقول: تبدأ بسبب النظرة سلسلة من التفاعلات والإفرازات الهرمونية الجنسية المعقدة التي لها تأثيراتها على كل عضو بل على كل خلية والتي تهيئ الجسم لعملية الاتصال الجنسي لتؤدي مهمتها أما إذا استمر انطلاق هذه الهرمونات في الجسم دون تفريغ لهذه الشحنة فإنها سوف تؤدي إلى مضاعفات خطيرة في الجسم.

لأن هذه الهرمونات الجنسية تبدل ضربات القلب وتوسع الأوردة المحيطة وتضيق الشرايين المتوسطة والصغيرة وترفع ضغط الدم وتصل هذه الهرمونات إلى البروستات لتهيئة العملية الجنسية ثم يجري تبدل في كيمياء الدم من أجل هذه العملية فإذا لم يتم تفريغ هذه الشحنة واستمر الإنسان في إطلاق بصره مستثيراً هذه الهرمونات التي تجوب أنحاء الجسم عبر الأوعية الدموية فإن أول ما يحدث من جراء ذلك هو ظهور رائحة كريهة في الإبطين والقدمين وتوسع فتحات الغدد العرقية والدهنية في الكعبين وأسفل القدمين وفي المؤخرة وهذا يسبب البواسير وبالمقابل فإن توسع الفتحات الدهنية في الوجه يسبب حب الشباب ودوران هذه الهرمونات الجنسية وتهيجها لحد أكثر من المتوسط يسبب داء الشقيقة أو الصداع النصفي ومن الأضرار الأخرى آلام المفاصل وقد يكون لهذه الهرمونات الجنسية دور في حدوث الجلطة الدهنية الناتجة عن ترسب الدهون في مكان ما وبالتالي قد يصاب الإنسان بالعمى أو الكساح كما وتسبب دورة هذه الهرمونات في الجسم طوال اليوم ثقلاً في اللسان وصعوبة في حركته داخل الفم وقد تسبب في بعض الأحيان الإمساك وهذا بدوره قد يترتب عنه ما يقارب خمسين مرضاً ومن الأضرار السلبية من استمرار دورة هذه الهرمونات في حصى المرارة وفي بعض الحالات التي تزيد على الحد المعقول يكون هناك تضخم مبكر للبروستات هذا أثر النظر إلى ما حرم الله في البدن وأما أثره في القلب والأوعية فإن استمرار دوران هذه الهرمونات يسبب هبوطاً في ضربات القلب وبطئاً في الدوران وجلطة وريدية محتملة وتتوسع الشرايين توسعاً مستمراً مما

يفقدها مرونتها وهذا بدوره يؤدي إلى تصلب الشرايين[1].

وكذلك فإن فرط الاستثارة في المراكز العصبية الجنسية الناتج عن إطلاق البصر يمكن أن يؤدي إلى العنانة[2] ومن المؤكد علمياً وبشكل لا مرية فيه أن إطلاق البصر هو المسؤول الأول الناثور الشعري وحب الشباب ناهيك عن مرض الفادم والألفرايتس[3] والصداع.

هذه بعض الأضرار التي تبين جوانب من الحكمة في قوله تعالى: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾ [النور: ٣٠].

فالحمد لله الذي جعلنا من أتباع هذا الدين الحنيف والذي ما حرم من شيء إلا وكان له نتائج عظيمة وفوائد جمة أول ما نجني ثمارها في أبداننا.

---

(١) عن كتاب موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان، أ. د. محمد راتب النابلسي، ص٢٣٠ بتصرف.

(٢) روائع الطب الإسلامي، د محمد نزار الدقر، ص١٣٥.

(٣) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، ص٩٠٥.

الاختـــلاط:

خلق الله تعالى كلاً من الذكر والأنثى وجعل لكل منهما الخصائص والمميزات التي تميزهما عن بعضهما البعض قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ [آل عمران: ٣٦].

ولما كان لكل من الحرف والمهن البشرية من السمات والخصائص ما يميزها عن بعضها البعض، ويجعل كل مهنة منها مستقلة وقائمة بحد ذاتها، ومع هذا الاستقلالية فلا غنى لإحداها عن الأخرى لأن مصالح العباد وعمارة البلاد لا تكون إلا بتكامل وتكافل وامتزاج هذه المهن مع بعضها البعض ضمن ضوابط ومبادئ محددة وأما الاختلاط فيما بينها بشكل عشوائي وعبثي فمن شأنه أن يحدث خلل لا تحمد عقباه وكذلك فإن اختلاف الخصائص والمميزات بين الذكر والأنثى من هذا القبيل بحيث أوجب الخالق عز وجل في شريعتنا السمحاء ما ينظم هذه العلاقة ضمن ضوابط شرعية تضمن سلامة الكيان الإنساني والأخلاقي بما فيه مصلحة البلاد والعباد فعلاقة الذكر بالأنثى لا تكون كما يروج لها البعض من المغرضين تحت ذرائع واهية تعتمد في جلها على أن في الإسلام انتقاص للمرآة وحقوقها بل على العكس تماماً فإن التميز بين كلا الطرفين في الشريعة السمحاء جاء من باب الاختصاص لا من باب الانتقاص أو التفضيل ولكل منهما مجاله وعمله والعلاقة بينهما لا تكون إلا ضمن ضوابط شرعية.

ولأجل هذا كشف الله تعالى أهداف المبطلين العابثين في شرعه الداعين للخروج عن منهجه تحت مسميات عديدة ليكون المؤمن بالله ومنهجه على حذر منهم فقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً**﴾ [النساء: ٢٧].

وتوعد سبحانه وتعالى الخارجين عن منهجه ممن دعوا إلى الفاحشة وسلكوا مسالكها بعذاب أليم فقال جل من قائل في محكم كتابه الكريم: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ**

أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

فكان من جملة ما عُنيت به التعاليم الإلهية: تنظيم العلاقة بين كلا الجنسين، لما يترتب عن العلاقة غير المشروعة من مفاسد عظيمة ومعاصٍ وخيمة هذه العلاقة المتمثلة بالاختلاط الذي يترتب عنه

١- إطلاق البصر: الذي تحدثنا عنه سابقاً.

٢- مصافحة المرأة الأجنبية وما ينتج عنها من إثارة جنسية وهذا ما توضحه الدراسات العلمية حيث توجد هناك خمسة ملايين خلية في الجسم وهذه بدورها تنقل الأحاسيس كل منها على حد فإذا لامس الرجل المرأة سرى بينهما اتصال يثير الشهوة[1].

٣- الخضوع بالقول: فإن النساء اللواتي يختلطن بالرجال سرعان ما يبادرن إلى إبراز أنوثتهن من خلال ترقيق الصوت ولين الحديث وتوزيع الابتسامات وفي هذا قال تعالى: ﴿... **فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً**﴾ [الأحزاب: ٣٢].

وكإحساس الشم الذي ركب تركيباً يرتبط بأجهزة الشهوة فما أن يدرك الإنسان شيئاً من الرائحة التي تستثيره إلا سرى ذلك في أعصاب الشهوة واستثارة غريزته فإن السمع وأجهزته أيضاً مرتبطة بأجهزة الشهوة فإذا سمع الإنسان مناغمات من نوع معين في الكلام والذي فيه ما يدل على تلك الأمور فإن كل ذلك يترجم ويتحرك إلى أجهزة الشهوة.

٤- الخلوة: وهي إنفراد الرجل بالمرأة الأجنبية في مكان مغلق أو بعيد عن الأنظار.

٥- الزنا الذي سنتكلم عنه لاحقاً ونبين بعضاً من الآثار السيئة المترتبة عنه.

---

(١) وقد خاب من دساها، د محمد ياسر المسدي، ص١٥٢.

فالاختلاط محرمٌ معلومٌ تحريمه في دين الإسلام بما لا مرية فيه، ولا يستثنى من ذلك إلا ما يصعب التحرز منه وهذا التحريم واضح في عدد من النصوص القرآنية والنبوية.

تحريم الاختلاط في النصوص القرآنية:

هناك عدد من الأدلة في النصوص القرآنية على تحريم الاختلاط ونكتفي بذكر بعضٍ منها:

١- قوله تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وفي تفسير الآية وما قبلها يقول الإمام ابن كثير: هذه آداب أمر الله بها نساء النبي ﷺ ونساء الأمة تبع لهن في ذلك وقوله وقرن أي الزمْنَ بيوتكن فلا تخرجن لغير حاجة[١].

فالتزام البيوت والخروج الذي لا يكون إلا لضرورة يقتضي عدم الاختلاط.

٢- عدد من النصوص القرآنية التي تشير إلى أن المرأة عورة ويجب عليها التستر في جميع بدنها وإخفاء زينتها لأن كشف ذلك أو شيء منه يؤدي إلى النظر إليها والنظر إليها يؤدي إلى تعلق القلب بها ثم تبذل الأسباب للحصول عليها وذلك لا يكون غالباً إلى من خلال الاختلاط وفي الشريعة الإسلامية كل ما يفضي إلى حرام فهو حرام وكل ما يتم الواجب به فهو واجب.

٣- ومن وجوه الدلالة على حرمة الاختلاط قوله تعالى: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [يوسف: ٢٣].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج/٣ ص/٤٩١.

ووجه الدلالة من الآية الكريمة على حرمة الاختلاط أنه لما حصل اختلاط بين امرأة عزيز مصر وبين يوسف عليه السلام ظهر منها ما كان كامناً في نفسها ولكن الله أدرك نبيه برحمته فعصمه منها.

وفي السورة حجة قوية على من يبيحون الاختلاط تحت مسميات عدة وخاصة في المجتمعات العربية على اعتبار أن من يختلطون به أشبه بأخ أو ابن... الخ

وهل كان يوسف عليه السلام إلا ربيب زليخا؟

تحريم الاختلاط في النصوص النبوية الشريفة:

يعتمد القول بتحريم الاختلاط في النصوص النبوية الشريفة على العديد من الأحاديث المروية عن النبي ﷺ ولما ذهب إليه جمهور العلماء.

ونأخذ منها: ما رواه الإمام البخاري (أنَّ أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سلَّم قام النساء حين يقضي تسليمه، ومكث يسيراً قبل أن يقوم. قال ابن شهاب: فأرى والله أعلم أن مكثه لكي ينفذ النساء قبل أن يدركهن مَنْ انصرف من القوم)[1].

فتأمل كيف كانت مراعاة هذا الأمر والعناية به من نبينا محمد ﷺ مع كون المكان مكان عبادة وبُعْدٍ في الغالب عن مسالك السوء، وكان ذلك في زمانه عليه الصلاة والسلام حيث الناس أكمل في إيمانهم وتقواهم، فكيف يكون الحال في زماننا.

وفي شرح الحديث قال العلامة الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في معرض ذكره لفوائد الحديث: فيه اجتناب مواضع التهم وكراهة مخالطة الرجال للنساء في الطرقات فضلاً عن البيوت[2].

---

(١) صحيح البخاري، ك/ الأذان ب/ التسليم.

(٢) فتح الباري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ك/الأذان ب/التسليم.

بالإضافة إلى ما جاء في عددٍ من الأحاديث النبوية التي تمنع الاختلاط وتمنع ما يؤدي إليه، ومنها ما جاء فيه منع الدخول على المرأة الأجنبية، ومن الخلوة بها ولو من أقارب زوجها وفي هذا قال ﷺ: «إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أفرأيت الحمو قال الحمو الموت»[1].

والحمو أخو الزوج وما أشبه من أقارب الزوج فإن كان وصف النبي في هذا الموضع الحمو بالموت فما حال الأجنبي الغريب.

وجاء أيضاً في السنة النبوية تحريم مس الرجل بدن الأجنبية، وحتى المصافحة للسلام، وجاء تحريم سفر المرأة بلا محرم، وشرع لها الصلاة في بيتها، وكانت صلاتها فيه خيرٌ لها من الصلاة في المسجد،، وجعل لمن يصلِّين في المسجد في زمانه عليه الصلاة والسلام باب خاصٌ بالنساء، إلى غير ذلك من الأحاديث وفيها الدلالة القاطعة على تحريم الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء مما تقع به الفتنة وينتشر الفساد.

وهكذا صنع الصحابة الكرام وتابعوهم بإحسان في شأن الاختلاط والخلوة حتى أنه روي عن أمير المؤمنين عمر ﷺ بأنه قال: لا تختلي بها وإن كنت تعلمها القرآن.

❁ ❁ ❁

(١) مسند أحمد، ك /الشاميين ب/حديث عقبة بن عامر الجهني.

الحرية والمساواة:

مع أن للنساء دور كبير في تسهيل الاختلاط والخلوة تحت مبررات شتى غير أنه لا يخفى على أحد ما تعانيه النساء من المضايقات والتحرشات اللا أخلاقية ممن يختلطن بهم من الرجال، وخاصة في الأماكن التي يكثر فيها الاختلاط كالطرقات ونحوها. بالإضافة إلى ما تعانيه النساء من صعوبة المواصلات، وقل مثل ذلك فيما يتعلق ببعض الأعمال التي تزاولها النساء.

وحتى إن قلنا أن هناك.... فلقد ذهب الصالح بالطالح.

وأما الحرية المزعومة للنساء فغالباً ما تكون على حساب الأنوثة وعلى حساب الكرامة وعلى حساب البيت والأولاد، وهذا ما جعل الأديب أنيس منصور وهو أحد دعاة تحرير المرأة بعد أن أدرك حجم معاناة الأطفال الذين يفتقدون أمهاتهم بسبب ما بات يعرف بحرية المرأة، يتأمل أن يجيء اليوم الذي تعود فيه المرأة إلى البيت لكي تكون أماً ولكي تساهم في إنقاص عدد الأيتام.

وكما قيل فإن البيت هو جنة المرأة والمرأة في الإسلام أم وأخت وابنة وخالة وعمة وزوجة...الخ لا كما يروج له بعض الدعاة المتأثرين بالأفكار الغربية ويكفينا في هذا الموضع أن نقول بأن المرأة كانت ولا تزال القدوة للمسلمين في أعظم مناسكهم فما سعيهم بين الصفا والمروة في الحج إلا اقتداء بالسيدة هاجر.

تجارة الأخلاق:

من أخطر ما تعانيه الدول العربية والإسلامية أو ما بات يعرف بدول العالم الثالث بأن الدول الغربية أو الدول الصناعية والتي تمتلك مقومات الحضارة والصناعة، تعتمد في صناعتها على المواد الأولية التي تستوردها من دول العالم الثالث بثمن بخس، ثم يعاد تصديرها بعد تصنيعها إلى هذه الدول بأغلى ثمن أي أن هذه الدول ما هي إلا عبارة عن سوق لتصريف منتجات الدول الصناعية ناهيك عن أساليب الاحتكار وغيرها من أساليب الظلم.

ولعل من أخطر ما تستورده هذه الأسواق ما كانت مادته الأولية من العالم الغربي وصناعته أيضاً في تلك الدول التي تدعي الرقي الحضاري وعلى رأس هذه

المواد الأخلاق والمعاملات وما يندرج تحت هذا المسميات والسؤال في هذا أين نحن من قول سيد الخلق ﷺ: «بعثت لأتمم حسن الخلق»[1].

فهل العالم الإسلامي بحاجة إلى من يعلمهم الأخلاق وفيهم القرآن الكريم وسنة سيد الخلق والمرسلين.

وعودة إلى ما ترسله تلك المجتمعات لنا في هذا السياق فالمادة الأولية هي المرأة والسلعة التي ترسل إلى الأسواق دعاوى الاختلاط وتحت مسميات عدة، والذي غالباً ما يفضي إلى انتهاك سافر وصارخ لكرامة المرأة، وهذا ما تبيّنه دراسات وتقارير الغرب الصناعي المجرِّب.

والتقرير التالي مأخوذ عن طريق شبكة الإنترنت يوضح ذلك وإن كانت هذه الأرقام والنسب تأخذ بالألباب فهي واقعهم ولا غرابة.

حيث يشير التقرير إلى أن قرابة نصف المنتهكات في بريطانيا يتم الاعتداء عليهن أولاً داخل البيت من قبل الأب أو من قبل صديق الأم حتى إن إحدى المجلات نشرت وقالت إن أخطر مكان يعيش فيه الإنسان الأوربي هو المنزل وذكرت مجلة التايمز إن نصف الشاكيات يغتصبن في البيوت الأمريكية.

وإن دل هذا فإنّما يدل على مخاطر الاختلاط ونظرة المجتمع الغربي للمرأة التي أصبحت سلعة رخيصة لكثرتها وتوفرها في كل مكان وزمان.

وأشار التقرير أيضاً إلى أن ما بين (٥٠ إلى ٧٠%) من الرجال في الولايات المتحدة الأمريكية يخونون زوجاتهم على فراش الزوجية، وإنّ ٣٢% من الزوجات يخن أزواجهن وإنّ ٩٠% من النساء متزوجات بدون عذرية، وأمّا في بريطانيا فقد وصلت نسبة العذرية عند الفتيات إلى صفر% ناهيك عن وجود ظاهرة تبادل الزوجات، حيث أن أكثر من مليونين ونصف المليون من الأزواج الأمريكيين مارسوا تبادل الزوجات بانتظام، بل وبلغت نسبة الصبيان والبنات الذين تم بينهم لقاء جنسي قبل الخامسة عشرة ما يقارب ٥٠%.

---

(١) موطأ مالك، ك/الجامع ب/حسن الخلق والسخاء.

وأمّا في المجتمع الألماني والذي كان فيه الاختلاط نتاجاً لأنماط سلوك أفـــراده الاجتماعي، فقد ظهرت عدة دراسات ومن جملتها: دراسةٌ أجرتها مجلة (فرو ندين) الألمانية المتخصصة في شؤون المرأة هناك، أظهرت أن ٦٨% من النساء الموظفـــات يتعرضن للتحرش الجنسي المستمر أثناء العمل من زملائهن الرجال.

وهذه الإباحية أدت بدورها إلى تفسخ الروابط الأسرية والمتمثل في أحد جوانبـــه في كثرة الطلاق في تلك المجتمعات حيث كتبت «دول ستريت جورتال» أن واحد من كـــل أمريكي طلق زوجته وأما في مدينة (سان ماتيه) الأمريكية فأن نسبة الطلاق وصلت إلى حد الجنون ففي كل (١٠٠) حالة زواج في بداية العام تكون هناك (٨٠) حالة طلاق في آخره.

وصدر تقرير آخر عن وزارة الصحة الأمريكية يبين عدد الاعتداءات الجنسية ما بين أعوام ١٩٨٥- ١٩٩٤م جاء فيه أن عدد النساء والفتيات واللاتي كن ضـــحية العنف بلغ عام ١٩٩٤م أكثر من خمسة ملايين، ويقول التقرير إن كل امرأة من ثماني نساء فوق سن البلوغ في الولايات المتحدة تعرضت للاغتصاب مرة واحدة في حياتها على الأقل، وهذا يعادل مليون أمريكية مغتصبة فأوضاع أمريكا في ظـــل الـــسلام والحرية كأوضاع البوسنة والهرسك في ظل الحرب الإجرامية الصربية.

وتقول أحدث الإحصائيات إنه تقع جريمة اغتصاب بالقوة كل ٩٠ ثانيـــة في أمريكيا وأن هناك أكثر من ٢٥٠٠٠٠ امرأة تغتصب سنوياً في فرنسا وأمـــا علـــى الصعيد العالمي، فقد ورد في تقرير لمنظمة العفو الدولية الصادر عام ٢٠٠٤ ميلادي يؤكد أن امرأة واحدة من أصل خمس نساء حول العالم تقع ضحية للاغتـــصاب أو محاولة الاغتصاب في حياتها[١].

ونتاجاً لما تقدم ففي أمريكا وحدها يقتل مليون ونصف المليون جنين ســـنويا بسبب عملية الإجهاض (أين حقوق الإنسان؟!).

والأدهى والأمر من ذلك أن أكثر من عشرة آلاف فتاة أمريكية تضع مولـــوداً غير شرعي سنوياً وهي لم تبلغ بعد الرابعة عشرة من عمرها.

---

(١) همسة في أذن فتاة، د حسان شمسي باشا، ص٧٥.

وحتى لا يقال بأننا نرى نصف الكأس الفارغ نقول: بأننا نشهد للمجتمع الغربي تقدمه العلمي والذي أوصله إلى الفضاء، ولكننا في الآن ذاته نشاهد بأم أعيننا ما وصل إليه القوم من انحطاط خلقي معلناً بدء زوال هذه الحضارات.

فمن تأمل في تاريخ الأمم السابقة يدرك بأن تلك الأمم ما زالت واندثرت إلا من بعد شيوع الفاحشة، وأسبابها بين أفراد مجتمعاتها ويدرك أيضاً كم جرَّ الاختلاط من شرور ومفاسد على هذه المجتمعات.

ومهما تكن مصداقية هذه الأرقام ومهما تكن الأهداف التي ترمي إليها فإن الذي لا ريب فيه أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة وكذلك فهو السبب المباشر لكثرة الفواحش والزنا.

والدليل على ما تقدم أرقام جرائم السفاح والاغتصاب التي تسجل مستويات قياسية في كل شهر.

وقد علم المنصفون وكل عاقل مهما كانت نِحْلَتُهُ أن الاختلاط يفتح باب الشر على مصراعيه.

الإنترنت: (الغرب ينصح ويستغيث)

بعد أن لمس الغرب الداعي إلى الاختلاط وعدَّه من أحد مقومات حرية المرأة أو إفساد المرأة، إن جاز الوصف والتعبير الخطر الذي لحق بالمجتمع والأضرار التي ترتبت عنه، تعالت أصوات المفكرين والأدباء وغيرهم من المهتمين بهذا المجال إلى الدعوة إلى الحد من هذا الاختلاط.

فمثلاً بريطانيا وبعدما أظهرت الإحصائيات عن أضرار اختلاط النساء بالرجال حيث وضحت الأرقام المعطاة أن ٧٠% إلى ٩٠% من الموظفات العاملات بمختلف القطاعات، ارتكبت معهن فاحشة الزنا ونصف من أجري معهن استفتاء ممن يعملن في مجال الأمن تعرضنَّ لارتكاب فاحشة الزنا معهنَّ من قبل رؤسائهن في العمل، وحتى في

الجامعات وأماكن التربية والتعليم لم تسلم من هذه الموبقات، فأستاذ الجامعة يرتكب الفاحشة مع طالبته، والطلاب يفعلون ذلك مع الطالبات والمعلمات بالرضا أو الإكراه.

لذلك تعالت في بريطانيا بعض الأصوات التي أوجست الآثار المدمرة للاختلاط فها هي الكاتبة البريطانيا أنا رود تقول: إنّه لعار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلاً للرذائل بكثرة مخالطة الرجال.

وحذرت كاتبة أخرى وهي الليدي كوك من أخطار وأضرار اختلاط النساء بالرجال، حيث كتبت محذرة: على قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنا، لقد دلنا الإحصاء على البلاء الناتج من حمل الزنا فهو يتعاظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال، علموهنَّ الابتعاد عن الرجال، أخبروهنَّ بعاقبة الكيد الكامن لهنَّ بالمرصاد.

وإذا ما أردنا أن نوسع الدائرة حول هذه القضية ولو شيئاً يسيراً، من خلال رصد مسيرة من سبقونا في مجال الزَّج بالمرأة في سائر الأعمال مع الرجال جنباً إلى جنب وندًّا إلى ندّ، فسوف يستوقفنا كتابٌ أحدث ضجةً كبرى لدى صدوره في الغرب، وفي أمريكا على وجه التحديد، ألا وهو كتاب: (الابتزاز الجنسي-Sexualshakedo) لمؤلفته الأمريكية لين فارلي Lin Farley. ولدى صدور هذا الكتاب قالت مجلة (نيويورك تايمز): لقد حطَّم هذا الكتاب جدار الصمت، وفتح الباب على مصراعيه للانتباه لهذه المشكلة ومحاولة حلِّها.. لقد فضحت المؤلفةُ استغلال الرجل للمرأة العاملة جنسياً في العمل وأدلتها دامغة وما قالته المؤلفة مهمٌّ جداً.

ومن ذلك أيضاً ما كتبه ابتون سنكلير في كتابه (الغابة) وكذلك الصحفية هيلين كامبل في كتابها (سجناء الفقر) وكذلك جين آدمز في كتابها (ضميرٌ جديد وشيطانٌ قديم) كلهم يوضحون مساوئ الاختلاط.

وعلى أساس المصلحة ذهبت المجتمعات الغربية إلى محاولة الفصل بين كلا الجنسين على الأقل في بعض المدارس، فقد قامت مدرسة شنفيلد الثانوية في مقاطعة إيسكس البريطانيا بتنظيم فصول تضم طلاباً من جنس واحد منذ عام ١٩٩٤م.

وأصدر وزير التربية في الولايات المتحدة الأمريكيا بياناً صحفياً بتاريخ ٢٠٠٢/٥/٨م أعرب فيه عن نية وزارته إبداء مرونة أكبر في مسألة السماح بافتتاح مدارس الجنس الواحد.

بل وأعلنت إدارة الرئيس الأمريكي بوش الابن تشجيعها لمشروع الفصل بين الجنسين في المدارس العامة، وصدر إعلان عن هذا المشروع في ٨ مايو ٢٠٠٣ في السجل الفيدرالي ومن باب التشجيع فقد صرح مسؤول كبير في البيت الأبيض أن المدارس الابتدائية والثانوية التي تود الفصل بين الجنسين ستمنح تمويلاً يفوق المدارس التي ستختار الإبقاء على النظام المختلط.

وجملة القول أن المرأة ينبغي أن يكون لها من الرعاية والعناية ما يتحتم معه مباعدتها عن كل ما يسيء إلى حيائها وعفافها سواءً أكان بسبب الاختلاط أم الخلوة أم التبرج والسفور أم غيرها من المسالك المنحرفة عن الفطرة.

وشهد شاهد من أهلها:

تقول الصحفية الأمريكية (هيليان ستانبري) أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم، امنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا لعصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق، ومجون أوربا وأمريكا، امنعوا الاختلاط، فقد عانينا منه في أمريكا الكثير، لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعاً مليئاً بكل صور الإباحية والخلاعة، إن ضحايا الاختلاط يملؤون السجون، إن الاختلاط في المجتمع الأمريكي والأوروبي، قد هدد الأسرة وزلزل القيم والأخلاق.

وقالت فابيان أشهر عارضة أزياء فرنسية بعد أم أعلنت إسلامها: لولا فضل الله عليَّ ورحمته لضاعت حياتي في عالم ينحدر فيه الإنسان ليصبح مجرد حيوان كل همه إشباع رغباته وغرائزه بلا قيم ولا مبادئ[1].

---

(١) همسة في أذن فتاة، د حسان شمسي باشا، ص٧٧.

الزنـــا:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

الزنا: بدايةً وقبل أن نقف على جانب من جوانب الحكمة المرادة من تحريم الزنا لا بد لنا أن ننوه إلى أنَّ الآية الكريمة ابتدأت بالزانية قبل الزاني ومع أنَّ الاثنين شريكان في هذه المعصية، ومع أن للذكر الدور الأكبر فيها إلا أنَّ الآية ابتدأت بالزانية ذلك لأنَّ التنفيذ الفعلي للزنا يكمن عندها بل وهي المسؤولة عن تهيئة الظروف المناسبة لهذه المعصية وهي التي تمكِّن الرجل من نفسها فتغريه بالاندفاع نحوها والانجذاب إليها بأساليب مختلفة ما عادت خفية على أحد بل أنَّ الأنثى ولمجرد خروجها عن منهج الله تعد أضر فتنة للذكر وذلك لقوله ﷺ: «ما تركت بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء»[1].

فالأجدر بالأنثى أنْ تتقي ربها وتبتعد عن أساليب الإغواء والفتنة التي سرعان ما يقع الرجل في شباكها وغالباً ما تفضي هذه الأساليب الشائنة إلى أبواب الحرام وفي هذا قال ﷺ: «أيُّما امرأةٍ استعطرت فمرت على قومٍ ليجدوا من ريحها فهي زانيةٌ»[2].

لهذا تتحمل الأنثى الوزر الأكبر من هذه المعصية لأنها تمتلك الردع كما تمتلك الإغراء وتمتلك المنع كما تمتلك العطاء كما وأنَّ لها قدرة على المنع أكبر بكثير من قدرة الرجل على النيل منها.

والآية الكريمة تبين الحد في الزنا وللعلماء فيها أقوال فالزاني إما أنْ يكون بكراً أي غير متزوج فحده مائة جلدة، ويزاد على ذلك أنْ يُغرَّب عاماً عن بلده عند جمهور العلماء خلافاً لأبي حنيفة وأما أن يكون الزاني محصناً والمحصن هو الذي وطِئَ

---

(١) صحيح البخاري، ك/ النكاح بـ/ ما يتقى من شؤم المرأة.

(٢) سنن النسائي الصغرى، ك/ الزينة بـ/ ما يكره للنساء من الطيب.

في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل فالحد عليه وكما ثبت في السنة الرجم بالحجارة حتى الموت[1].

ويعد الزنا من الفواحش لقوله تعالى: ﴿**وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً**﴾ [الإسراء: ١٦].

والفاحشة: الزنا وما يشتد قبحه من الذنوب وكل ما نهى الله عز وجل عنه[2].

ومعنى لا تقربوا الزنا نهيٌ عن مجرد مقاربته ومخالطة أسبابه ودواعيه فكل ما يفضي إلى الحرام فهو حرام شرعاً.

وقال فيه سيد الخلق عند حديثه عن أعظم الذنوب: «قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك قلت إن ذلك لعظيم قلت ثم أيٌّ قال وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك قلت ثم أيٌّ قال أن تُزاني حليلة جارك»[3].

فإقران الزنا بالشرك بالله يجعل منه إثماً عظيماً يستوجب الجلد للبكر والرجم للمحصن وأعظم الزنا الزنا بالمحارم كالأم، والأخت، والبنت، وامرأة الأب.

فما هي الحكمة من تحريم الزنا الذي استوجب لفاعله هذا الحد؟

الحكمة من التحريم:

الزنا: اعتداء على الأعراض و فاحشةٌ من الفواحش وكبيرةٌ من الكبائر وتتلخص الحكمة من تحريمه في النقاط التالية:

١- الزنا يؤدي إلى اختلاط الأنساب.

وفي هذا تعكير لصفو المجتمع واستقراره وذلك من جراء ازدياد عدد اللقطاء من أبناء الزنا والذين تنتجهم هذه الجريمة والتي تلقي بأعبائها الاقتصادية والاجتماعية

---

(١) تفسير القرآن العظيم، للإمام أبي الفداء عماد الدين الدمشقي-ابن كثير- (ج٣/ ص٢٧١).

(٢) القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي، ص٥٤٠.

(٣) صحيح البخاري، ك/ تفسير القرآن بـ/ قوله تعالى فلا تجعلوا لله أنداداً...

على كاهل المجتمعات التي تعاني من هذه الظاهرة.

٢- الزنا يؤدي إلى تفكك الروابط الأسرية والعلاقات الزوجية.

وهذا ما نلتمسه في المجتمعات الغربية التي أباحت الزنا وتحت مسميات شتى ومنها ما بات يعرف بظاهرة المساكنة والتي يتعايش فيها الذكر والأنثى معايشة الزوجية الكاملة بغير أدنى رباط رسمي وكل ما يجمع بين الطرفين هو العلاقة الجنسية، ونكتفي هنا بالإشارة إلى ظاهرة الأطفال الذين يرعاهم أب دون أم، أو أم دون أب.

٣- الأمراض النفسية، والتي تتجلى بأزمة الثقة بالنفس ومن صورها القلق، والتوتر النفسي، والاضطراب السلوكي، والعوارض العصبية، والانهيارات النفسية بل وتعد بعض هذه الأمراض من أهم أسباب الإصابة بالجلطة الدموية[١].

٤- الزانية مرتع خصب للميكروبات والجراثيم وهي وسيلة مثلى لنقل الأمراض من شخص لآخر وهنا تبرز عظمة التشريع الإسلامي في تحريم الزنا فإنَّ هناك أكثر من سبعين مرضاً وعارضاً مرضياً[٢] تترتب على إقامة العلاقات الجنسية غير المشروعة والمحرمة بالإضافة إلى كون الزنا المسبب الرئيسي لعددٍ من الأمراض الفتاكة وفي طليعتها مرض نقص المناعة المكتسب.

الأمراض الجنسية:

قال النبي الكريم ﷺ: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا...»[٣].

قبل الحديث عن الأمراض الجنسية لا بد لنا هنا من الوقوف على وجهين من أوجه الإعجاز في الحديث النبوي الشريف

---

(١) المحرمات وآثارها السيئة على المجتمع، ا د وهبة الزحيلي، ص٥٧.

(٢) مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، أ. د. زغلول النجار، ص٢٤٣.

(٣) سنن ابن ماجه، ك/ الفتن بـ/ العقوبات.

الأول: إخباري وذلك من خلال إخباره ﷺ بأن أهل الفاحشة إن أعلنوا بها سيبتليهم الله بأصنافٍ من الأوجاع والأمراض وهذا ما نلتمسه في المجتمعات الغربية حيث أصبح فيها الشذوذ الجنسي والزنا ظاهرتان معلنتان بل أصبح لمرتكبي هذه المعاصي حق وقانون واعتراف اجتماعي بهم فقد جاء في دائرة المعارف البريطانية عن أصحاب هذه الرذائل بأنهم قد خرجوا من دائرة السرية إلى دائرة العلنية[1].

الثاني: طبي إعجازي وذلك من خلال تحديده ﷺ لأنواع الطواعين التي سيُبتلى بها أهل الفاحشة والتي لم تكن معروفة من قبل وخير ما يتجلى به هذا الجانب من الحديث ما بات يعرف في العصر الحالي بالإيدز بالإضافة إلى عددٍ من الأمراض الأخرى التي سنأتي على ذكرها ونبدأ بمرض نقص المناعة المكتسب الإيدز.

الإيدز aids:

وهو ما يعرف بمتلازمة العوز المناعي المكتسب[2] من أحدث وأخطر الأمراض الجنسية المحرمة، فالمرض نفسه اكتشف عام ١٩٨١م ولم يكتشف الفيروس المسبب له إلا في عام ١٩٨٣م[3] حيث أثبت العلماء بأن هذا الفيروس من الفيروسات الجديدة وهذا ما يثبت بأن هذا المرض لم يكن معروفاً في الأمم السابقة وهذه الحقيقة تأتي مصداقاً لقوله ﷺ: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا...»[4].

ومرض الإيدز لا ينتقل إلا من خلال الاتصالات الجنسية المحرمة بل وتعتبر هذه العلاقات هي المسبب الرئيسي لهذا المرض، وهي المسؤولة عن انتشاره بالإضافة إلى انتقاله عن طريق نقل الدم وبعض أخطار هذا المرض تكمن في فترة حضانته التي قد

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي الشريف، عبد الرحمن ماردييني، ١١٩.

(٢) العلوم في القرآن، د محمد جميل الحبال د مقداد مرعي الجواري، ص٢٤.

(٣) موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي الشريف، عبد الرحيم ماردييني، ص١٢٠.

(٤) سنن ابن ماجه، ك/ الفتن بـ/ العقوبات.

تمتد إلى عشر سنوات وقد لا تظهر أعراضه إلا بعد هذه المدة، مع أن بعض المرضى قد يموتون من جراء الإصابة به بعد عدة شهور.

وتكمن الخطورة الأكبر لهذا المرض بتدميره للجهاز المناعي للجسم حيث يدعه عرضة للإصابة بأصناف الأمراض المختلفة فقد يهاجم الجهاز الهضمي، والعصبي، والتنفسي وقد يصيبه بالسل كما ويتسبب الإيدز بالعديد من سرطانات الجلد ومن أعراضه أيضاً إصابة المريض بالإسهال المزمن والذي من شأنه أن يؤدي إلى جفاف الجسم هذا بالإضافة إلى الإصابة بالعقم لدى كلا الجنسين.

وحتى وقتنا الراهن لم تفلح البحوث العلمية الطبية من إيجاد علاج حقيقي لهذا المرض فالولايات المتحدة الأمريكيا أنفقت في عقدين من الزمن ما يقارب ١١٨ بليون دولار لمعالجته ولكن دون جدوى[1].

وبحسب تقديرات منظمة الصحة العالمية فقد بلغ عدد المصابين بالإيدز عام ٢٠٠٠م ما يتراوح بين ٣٠ إلى ٤٠ مليون شخص.

فيروس الإيدز

الأمراض الزهرية:

وهي أمراض ناتجة بالدرجة الأولى عن العلاقات الجنسية المحرمة شرعاً حتى أن هذه العلاقات تعد المسبب الرئيسي لهذه الأمراض ونذكر منها:

---

(١) مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، أ. د. زغلول النجار، ص٢٤٣.

١- الإفرنجي السفلسي.
٢- السيلان.
٣- القرح اللين.
٤- الورم الحبيبي الإربي.
٥- النمو البلغمي الإلتهابي الجنسي.

وحتى يومنا هذا فإن الأمراض الزهرية خارجة عن السيطرة العلمية والطبية حيث لم يتم إيجاد العلاج النافع لأغلبها[١].

مرض الزهري:

وكان أول ظهور لهذا المرض أثناء الحرب الإيطالية الفرنسية بسبب انتشار الزنا بين الجنود وسماه الإيطاليون حينها بالداء الفرنسي وانتقل هذا المرض إلى البلاد العربية عقب الغزو الأوربي للوطن العربي وسماه العرب آنذاك بالداء الإفرنجي، ولا يزال هذا الاسم مستخدماً إلى يومنا هذا وهذه الحقيقة تأتي مصداقاً لقوله ﷺ: «... إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا...» ومرض الزهري من الأمراض التي تتصف بسرعة الانتقال بواسطة العلاقات الجنسية المحرمة سواء كان ذلك باللقاء الجنسي المباشر أو بالتقبيل، وتمتد فترة حضانة المرض من ٣ إلى ٤ أسابيع[٢] ويتصف هذا المرض بمروره بثلاث مراحل فخلال المرحلة الأولى تظهر أعراضه في ٩٠% على الأجهزة التناسلية سواء لدى الرجل أو المرأة[٣] وأما المرحلة الثانية فتظهر أعراضها بعد حوالي الستة أشهر حيث يدخل المرض دوراً خطيراً جداً وخير ما تتجلى به هذه المرحلة ظهور الآفات الجلدية بالإضافة إلى الإصابات الحشوية كإصابة الطحال والكلية والسحايا والدماغ[٤].

---

(١) إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، كريم نجيب الأغر، ص٥٦٦.
(٢) الإعجاز الطبي في القرآن، د السيد الجميلي، ص١٢٩.
(٣) مع الطب في القرآن الكريم، د عبد الحميد دياب د أحمد قرقوز، ص١٦٩.
(٤) مع الطب في القرآن الكريم، د عبد الحميد دياب د أحمد قرقوز، ص١٧٠.

وتتصف المرحلة الثالثة بأنها مخربة فهي تصيب الجلد والأحشاء على حد سواء، ومن مخاطر هذه المرحلة بأن آثارها قد تظهر بعد ربع قرن[1]، وقد يتعرض المصاب خلال هذه المرحلة لفقد البصر أو فقد أحد حواسه الأخرى أو قد يصاب ببعض التشوهات في القلب، والشرايين، والأوردة[2] وفي بعض الحالات يصاب المريض بالشلل العام وقد ينتقل المرض عن طريق الأم المصابة إلى الجنين، فليس هناك احتمال لولادة طفل سليم من أب أو أم مصابين بمرض الزهري ،وهذا هو شأن الأمراض الزهرية الأخرى فعلى سبيل المثال فإن مرض الهربس يؤدي إلى تشوهات لدى الجنين أثناء فترة الحمل، كقصور نمو المخ وصغر حجم العين وتشوهات شبكية العين[3] ويقدر معدل الإصابة السنوية بهذا المرض في الولايات المتحدة الأمريكيا بنصف مليون حالة، ونتيجة لانتشار هذه الفاحشة في العالم الغربي فقد انتبه العلماء في العقود الأخيرة إلى ارتفاع نسبة المصابين بمرض الزهري حتى بلغ عددهم في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها عام ١٩٦١ ما يقارب ٢٠٨٠٠ وأما على المستوى العالمي فتقدر منظمة الصحة العالمية عدد المصابين بهذا المرض سنوياً بما يقارب ٥٠ مليون شخص.

جرثومة مرض الزهري

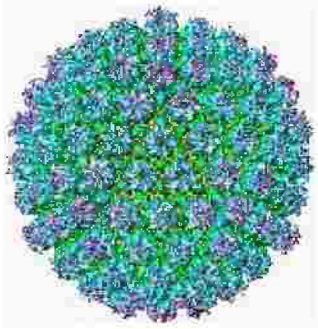

فيروس الهربس البسيط

(١) الطب محراب للإيمان، د خالص جلبي، ص١٧٠.

(٢) مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، أ. د. زغلول النجار، ٢٣٩.

(٣) إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، كريم نجيب الأغر، ص٥٦٧.

عرض لمرض الهربس يظهر على وليد

الصورة تظهر بعض الأعراض الجلدية لمرض الهربس العصبي

السيلان:

ويعد أيضاً من الأمراض الزهرية وفترة حضانة هذا المرض من ٢ إلى ٥ أيـــام وسطياً[١] ولهذا المرض مضاعفات عامة على كل من الذكر والأنثى ونقتصر هنا على ذكر مضاعفاته على الجهاز التناسلي لدى كل منهما:

مضاعفات السيلان على الجهاز التناسلي لدى الذكر:

١- التهاب مجرى البول الخلفي.
٢- خرَّاج حول مجرى البول.
٣- التهاب الحبل المنوي.
٤- التهاب غدة كوبر.
٥- التهاب البروستاتا.
٦- التهاب المثانة البولية.
٧- التهاب الحالبين.
٨- التهاب الكليتين.
٩- ضيق مجرى البول.

مضاعفات السيلان على الجهاز التناسلي في الإناث:

١- التهاب غدة بارثولين.
٢- خرَّاج في غدة بارثولين.
٣- التهاب عنق الرحم.
٤- آلام شديدة بالظهر.
٥- إفرازات مهبلية بيضاء.
٦- التهاب قنوات فالوب.

---

(١) مع الطب في القرآن الكريم، د عبد الحميد دياب د أحمد قرقوز، ص١٧٢.

٧- العقم نتيجة التهاب قنوات فالوب. ٨- التهاب متعدد في المفاصل.

مضاعفات عامة:

١- التهابات المفاصل.

٢- التهابات في قزحية العين[١].

وتقدر منظمة الصحة العالمية عدد الذين يصابون بالسيلان في العالم بأكثر من ٢٥٠ مليون شخص سنوياً[٢].

القرح اللين:

مرضٌ من الأمراض الزهرية أيضاً ويظهر على هيئة إصابات جلدية وخاصة في الأعضاء التناسلية ويتصف هذا المرض بقروحه المؤلمة.

الورم الحبيبي الإربي:

ويظهر على هيئة تقرحات حبيبية أو حويصلية تصيب مساحات كبيرة من الجلد والأغشية المخاطية وما تحتها، وخاصة يصيب الأعضاء التناسلية وما حولها.

وهناك أمراض أخرى تكون نتيجة للعلاقات الجنسية المحرمة ومنها النمو المغبني الالتهابي الجنسي والذي يظهر على هيئة حويصلات صغيرة على القضيب، والتهاب المهبل بالدوبيات المشعرة وهذا المرض يؤدي إلى التهاب المهبل لدى الأنثى وبالتالي إلى التهاب الإحليل لدى الذكر عقب الاتصال الجنسي.

(١) الإعجاز الطبي في القرآن، د السيد الجميلي، ص١٢٨.

(٢) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د محمد علي البار، ص٥٢٤.

صور لآثار مرض الزهري على جسم الإنسان بحيث تظهر وبشكل واضح تهتك الأنسجة وتشوهات ودمار في أعضاء الجسم المختلفة.

الكلاميديا:

وهو اسم لنوع من البكتيريا وهذا النوع من البكتيريا مسؤول عن مرض جنسي ينتشر عن طريق العلاقات الجنسية المحرمة شرعاً كالزنا، واللواط، ولهذا المرض أثر سلبي على المرأة بشكل خاص حيث يؤدي إلى انسداد قناتي الرحم وهو المسؤول عن ٥٠% من حالات الانسداد هذه، وبالتالي فهو يؤدي بالإناث إلى حالات العقم وعدم الخصوبة[1].

وتقدر منظمة الصحة العالمية عدد المصابين بالكلاميديا سنوياً بعدد يتراوح ما بين ٤٠٠ و٥٠٠ مليون.

وبعد أن استعرضنا عدداً من الأمراض المترتبة عن العلاقات الجنسية المحرمة شرعاً، نقول إنّ الشرع الإنساني في بعض المجتمعات جرَّم مرتكبي هذا العمل الفاحش، وأوجب على فاعليه بعض العقوبات البشرية، وفي هذا الموضع نقول ما هذه الأمراض التي تبتلى بها هذه الفئة الضالة إلا نوعاً من العقوبات الإلهية الدنيوية والتي فرضت على الخارجين عن منهج الخالق العالم بخلقه القائل في محكم كتابه الكريم: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ**﴾ [النمل: ٦٩].

---

(١) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د محمد علي البار، ص٥٢٤.

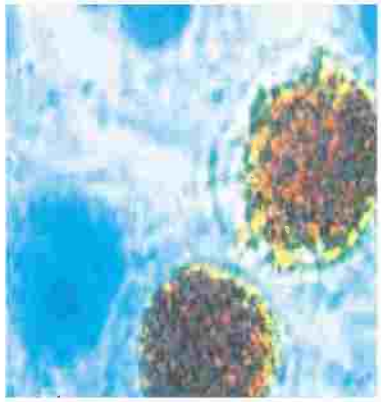

ميكروب الكلاميديا عرض جلدي يظهر الإصابة بالكلاميديا

أضرار أخرى للزنا:

بعد أن بينا بعضاً من الأضرار الصحية للزنا على مرتكبيه نقول أن هذه الفاحشة لا تحصر أضرارها على الناحية الصحية فقط بل أن للزنا أضرار أخرى على الصعيد الجماعي، ومنها الأضرار الأخلاقية وهي ذات أثرٍ أخطر وأكبر من الأضرار الصحية بحيث تدمر هذه المعصية الأخلاق في المجتمعات التي تبيحها بشكل أو بآخر.

وللزنا أضرار اجتماعية تتلخص في تفكيك العلاقات الأسرية وله أيضاً أضرار اقتصادية على الصعيدين الفردي والجماعي ونكتفي في هذا الموضع بذكر ما أنفقته الولايات المتحدة الأمريكيا وحدها في محاولة منها لإيجاد علاج لمرض الإيدز خلال العقدين المنصرمين حيث قدر المبلغ بنحو ١١٨ بليون دولار.

وختاماً ها هنا نقول إنَّ الله ما حرم الزنا إلا صوناً لعرض الإنسان وسلامةً لصحته وبدنه وصدق جلَّ في علاه القائل: ﴿**وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً**﴾ [الإسراء: ١٦].

❁ ❁ ❁

اللواط:

اللواط: ويندرج تحت ما بات يعرف بمفهوم الجنسية المثلية وهي من أهم أشكال الشذوذ الجنسي شيوعاً وأكثرها انتشاراً، وبالتالي فهو علاقة جنسية بين فردين من ذات الجنس.

فإذا كانت هذه العلاقة بين ذكرين سميت لواطاً وهذا ما ذكره الله على لسان نبيه لوط عليه السلام مخاطباً قومه: ﴿**أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ**﴾ [الشعراء: ١٦٥].

وإذا كانت هذه العلاقة بين المرأة والمرأة سميت سحاقاً.

والمقصود باللواط الجماع الشرجي وهو جريمة عرفتها البشرية قديماً ويعد قوم لوط عليه السلام أول من ارتكبوا هذه الفاحشة فقد جاء في سورة الأعراف ﴿**وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأعرف: ٨٠].

وجاء ذكر اللواط في عدد من سور القرآن الكريم ومنها (الأعراف والنمل والعنكبوت) وعدَّ من الفواحش وذلك للتغليظ على مرتكبي هذه الرذيلة والتي تنحدر بالمرء إلى أحط درجات السقوط والانحلال الخلقي، لذلك يعد هذا العمل من الكبائر وهو أفحش الزنا وله أضرار مرضية واجتماعية نحن بصدد تبيانها ويلتحق بهذا العمل أيضاً إتيان الزوج لزوجته في الدبر ولقد عذب الله مرتكبي هذا العمل الأوائل بما لم يعذب به أحداً من البشر كما وصف القرآن الكريم ذلك: ﴿**فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ**﴾ [هود: ٨٢].

وجاء ذكر هذا العذاب أيضاً في سورة الحجر وتغليظاً على مرتكبي هذه الفاحشة فقد جاء عن الرسول الكريم قوله: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»[1].

والنبي الكريم لم يقل بهذا الكلام إلا لأنه يعلم بأن في هذا العمل خروج عن منهج الله وخروج عن الفطرة الإنسانية وله عواقب وأضرار وخيمة على الفرد

(١) سنن أبي داود، ك/ الحدود بـ/ فيمن عمل عمل قوم لوط.

والجماعة وهذه الأضرار أصبحت ملموسة في وقتنا الراهن بعد أن كشف عن بعضها العلم الحديث مؤخراً.

وبالإضافة إلى الأضرار الطبية لهذه الفاحشة هناك أضرار اجتماعية تتلخص بفساد المجتمع وتفشي الرذيلة وسريان الانحلال بين الناس.

الحضارة واللواط:

بالرغم من أنَّ اللواط يعد مناف للفطرة الإنسانية وانتكاسة لها وبالرغم من إنه إفساد للرجولة وجناية على حق المرآة،وفيه خراب الأسرة وتدميرها وهو عمل يرفضه الذوق والفطرة السليمة، ذهبت بعض الدول الغربية والتي تدعي الحضارة والرقي وتحت مسميات عدة إلى إباحته بعد أن أصبح شائعاً في أوساط أفرادها ففي أمريكيا وحدها أكدت أحد الدراسات أن ٤% من الشعب الأمريكي شاذون جنسياً وفي دراسات أخرى وصلت نسبة الشاذين جنسياً في بريطانيا وأمريكا من ١٨% إلى ٢٢ % من مجموع[١] الرجال لهذا ذهبت بعض الدول الغربية إلى سنِّ قوانين تسمح بممارسة هذه الرذيلة فالقانون البريطاني الذي اعترف به كعلاقة شرعية يدفع ضريبة هذا العمل من خلال انتشار الأمراض الزهرية بين أفراده إلى حدٍ كبير وكنتيجة لهذا القانون وبحسب بعض الإحصائيات والتي أجريت قبل ثلاثة عقود فإن أكثر من ٦٠ ألف غلام بريطاني يمتهنون اللواط لكسب المال[٢].

واللواط عدا عن كونه المسبب الأول والرئيسي في نقل وانتشار الأمراض الزهرية المعروفة من سيلان وإفرنجي وغيرها فقد ساهم إلى حدٍ كبير في انتشار مرض متلازمة العوز المناعي المكتسب الإيدز، وبحسب الإحصائيات فقد تأكد أن معظم المصابين بهذا المرض من الرجال والتي تتراوح نسبتهم ما بين ٧٠% إلى ٨٠% من مجموع المصابين يمارسون اللواط وأمَّا الذين يأتون النساء من أدبارهن فلا تتجاوز

---

(١) روائع الطب الإسلامي، د محمد نزار الدقر، ص١٤١.

(٢) مع الطب في القرآن الكريم، د عبد الحميد دياب د أحمد قرقوز، ص١٧٨.

نسبة المصابات بهذا المرض من جراء هذه العلاقة ١٠% هذا إن كان الشريك واحداً وإما إن تعددوا ارتفعت هذه النسبة[١].

وبالإضافة إلى أن اللواط يعد السبب الرئيسي لمعظم الأمراض الجنسية الوبائية كالأمراض الزهرية والإيدز فإن له آفاته الخاصة به فاللواطة هي جماع في الشرج والشرج موضع قذر مليء بالجراثيم كما أنه غير مهيأ للإيلاج واحتواء القضيب على عكس مهبل المرأة عدا عن أنَّ المهبل قناة نظيفة له إفرازاته الملينة والمرطبة لاستقبال القضيب.

وتقسم الآثار السيئة الناجمة عن اللواطة إلى لواطة حادة وأخرى مزمنة.

اللواطة الحادة:

وهو الوطء الشرجي الأول أو هو الذي يكون بأعداد قليلة، وأخطر آثار هذا النوع من اللواطة إن كان الفعل قسراً، ومن ذلك ظهور الآثار السيئة وبشكل مباشر في بعض أحوال اغتصاب الأطفال بحيث تكون ناتجة عن عدم تناسب بين القضيب وفوهة الشرج للطفل وتتجلى هذه الأخطار في شقوق شرجية مدماة وتمزق مختلف العمق في المصرة الشرجية بحيث تأخذ شكل القمع وقد تصاب المصرة الشرجية بالشلل فتبقى مفتوحة حيث لا يقدر المفعول به على ضبط برازه وهذا النوع من الشلل وقتي قابل للشفاء لكنه قد يستمر مدة طويلة.

اللواطة المزمنة:

وأعراض هذا النوع من اللواطة تكون ناجمة عن استمرار إتيان هذا الفعل الفاحش واستمرار تعاطيه مع رضا الطرفين ومن أهم مظاهر هذا النوع من اللواطة التشوه القمعي للشرج وحصول ارتخاء دائم في المصرة الشرجية بحيث تنفتح الفوهة الشرجية لأقل جذب ويبرز منها الغشاء المخاطي للمستقيم وبالتالي قد يكون من نتائج ذلك سلس الغائط لدى المفعول به كما ويترتب عن هذا النوع من اللواطة شقوق وأورام وتقرحات شرجية والتي بدورها يمكن أن تتطور إلى آفات سرطانية[٢].

---

(١) الطب الإسلامي، د محيي الدين طالو العلبي، ص١٣٦.

(٢) عن كتاب روائع الطب الإسلامي، د محمد نزار الدقر، ص١٤٣بتصرف.

ويمكن تلخيص أضرار اللواطة من الناحية الطبية بشكل مختصر بما يلي:

١- تعد اللواطة السبب الرئيسي للإصابة بالأمراض الزهرية كما وتعد المسبب الأول في نقلها.

٢- تعد أيضاً السبب الرئيسي في ارتخاء عضلات المستقيم أو تمزيقها مما يعني فقدان السيطرة على عملية التغوط بشكل كامل حينها يخرج البراز بدون أن يشعر اللوطي بذلك[١].

٣- الانعكاس النفسي في خلق الفرد من خلال شعوره بأنه ليس رجلاً مما يؤدي به إلى شذوذ خلقي فيصاب بأمراض نفيسة أهمها الضلال الجنسي كالمازوخية والسادية التي سنتكلم عنهما لاحقاً.

وبالإضافة إلى ما تقدم هناك أمراض أخرى تنتشر في أوساط اللوطيين منها الورم الليفي التناسلي والذي غالباً ما تظهر آثاره على الأعضاء التناسلية لاسيما القضيب وفتحة الشرج بحيث تظهر هذه الآثار على هيئة قروح كما ويعتبر هذا الفعل سبباً في تضخم الغدد اللمفاوية وهذا التضخم يصاحبه ارتفاع في درجة الحرارة وغثيان وآلام بالمفاصل وصداع شديد.

ونتيجة لما تقدم قد يصاب الشرج بالتهاب شديد عندها يصاب اللوطي نتيجة لذلك بأورام خبيثة في الأعضاء التناسلية ولاسيما سرطان المستقيم.

وقد أثبتت الدراسات الحديثة بأن الفيروس المسبب لالتهاب الكبد الوبائي يكون موجوداً في اللوطيين بنسبة تزيد عنها في الآخرين بخمس وعشرين مرة[٢].

وللواطة أضرار أخرى منها عدم ميل المعتاد على اللواطة إلى زوجته وقد تكون هذه الفاحشة سبباً للشذوذ النفسي عند كل من الزوج والزوجة.

---

(١) مع الطب في القرآن الكريم، د عبد الحميد دياب د أحمد قرقوز، ص١٧٨.

(٢) موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي الشريف، عبد الرحيم ماردييني، ص١٣٠.

السحاق:

السحاق: وهو نوع من أنواع الشذوذ الجنسي تمارسه بعض النسوة فيما بينهن بحيث يتم اللقاء جنسياً بين امرأتين كما يحصل بين الأزواج من مداعبة واحتكاك جسدي وغيرها من مظاهر الاتصال الجنسي وذلك بغية الحصول على المتعة الجنسية وهذا النوع من العلاقات الجنسية محرم في الشرع الإسلامي لأسباب عدة منها قوله ﷺ: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوبٍ واحدٍ ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد»[1].

وفي الحديث تحريم نظر المرأة إلى عورة المرأة وما يحصل في السحاق أكبر من ذلك وفيه أيضاً تحريم نظر الرجل إلى عورة الرجل وهذا لا خلاف فيه وهذا هو شأن نظر الرجل إلى عورة المرأة أو نظر المرآة إلى عورة الرجل فهو محرم وبالإجماع بل هو بالتحريم أولى.

وقد اتفق الفقهاء على أنَّ السحاق يشرع فيه التعزير وهو عقوبة في كل معصية لا حد فيها ولا كفارة غالباً وتكون بما يراه الإمام مناسباً من ضرب أو صفع أو حبس أو نفي أو تجريس أو تسويد وجه أو قيام من جلس أو توبيخ بكلام وللإمام أن يجمع بين هذه الأمور وله الاقتصار على بعضها[2].

وأما من الناحية الطبية فإن من أضرار هذه العلاقة المنحرفة أن تصاب السحاقيات بانحراف في مركز الشهوة الدماغي، بحيث يصبحن باردات جنسياً تجاه أزواجهن أو تجاه الرجال بشكل عام[3].

العادة السرية:

وهي الإستنماء باليد ويكون ذلك بأن يداعب الإنسان الشاذ أعضائه التناسلية لبلوغ النشوة أو القذف وهي مظهر آخر من مظاهر الشذوذ الجنسي

---

(١) صحيح مسلم، ك/ الحيض بـ/ تحريم النظر إلى العورات.

(٢) حاشية البيجوري، إبراهيم البيجوري، ص٤٣٧.

(٣) روائع الطب الإسلامي، د محمد نزار الدقر، ص١٤٣.

وأكثرها انتشاراً في أوساط المراهقين والشاذين جنسياً، وهذه العادة محرمة على المذاهب الأربعة لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٥].

غير أنَّ الإمام أحمد قال بجواز اللجوء إلى هذه العادة واشترط لذلك عدم استطاعة الزواج وخشية الوقوع في الزنا عند تملك الشهوة للإنسان وفي حدود الضرورة.

وأمَّا أضرار هذه العادة فتكاد تكون نفسية أكثر من كونها صحية ومن هذه الأضرار فقدان الرغبة في جماع الزوجة وعدم إعطائها حقها من الإشباع الجنسي، بالإضافة إلى أن الإستنماء المتكرر يسبب نوعاً من الاكتئاب والإرهاق والشعور بالذنب وصراع النفس، يضاف إلى ذلك تأثيره في القوة الجنسية واحتقان والتهاب الجهازين التناسلي والبولي[1].

السادية:

وهي من أعجب وأغرب مظاهر الشذوذ الجنسي حيث تتحقق المتعة الجنسية للفاعل من خلال إلحاق الأذى والضرر بالشريك بأساليب عدوانية، وذلك من خلال الضرب أو الجلد أو إحداث جروح في المفعول به، وإن عبَّرت هذه الحالة عن شيء فإنما تعبر وتدل على حالة مرضية لا عن شذوذ إن صح التعبير وهذا التصرف محرم في الشريعة الإسلامية، تحت قاعدة لا ضرر ولا ضرار ولما جاء في قول سيد الخلق ﷺ: «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها آخر اليوم»[2].

المازوشية:

وهي على النقيض تماماً من السادية وفي هذه الحالة يحصل الفاعل على اللذة الجنسية من خلال تلقيه الإهانة أو الضرب، أو بتعرضه للتعذيب وبأي أسلوب كان فالمهم عند الشاذ جنسياً في هذه الحالة إلحاق الأذى بذاته، عندها يحصل

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي الشريف، عبد الرحيم ماردييني، ص١٢٤.

(٢) صحيح البخاري، ك/ النكاح بـ/ ما يكره من ضرب النساء.

على مبتغاه، وتشير الإحصائيات التي أجريت بهذا الصدد في الولايات المتحدة الأمريكية بأن ستة ملايين زوجة يتعرضن للضرب من قبل أزواجهن في كل عام وأن حوالي ٢إلى ٤ آلاف منهن يتعرضن للضرب حتى الموت وأن الشرطة يقضون ما يقارب ثلث وقتهم في الرد على مكالمات حوادث العنف المترلي[1].

ومن مظاهر الشذوذ الجنسي أيضاً الاتصال الجنسي الفموي والاحتكاك الجسدي وغيرها من المظاهر الأخرى، بل وذهبت فئة من الشاذين جنسياً إلى ممارسة الجنس مع الحيوانات أو استخدموها لإشباع رغباتهم الجنسية بطريقة أو بأخرى.

ومن أنواع الشذوذ الجنسي أيضاً:

١- التعري: وهو كشف الشخص لمناطق إثارة الشهوة في جسده تحت مسميات ما بات يعرف بالموضة.

٢- رغبة بعض الرجال باستخدام ملابس النساء أو الرغبة في قلب جنسه مع تغييره تشريحياً.

٣- الفيتيشية: وهنا نوع من أغرب أنواع الشذوذ الجنسي والتي يصل الشاذ جنسياً إلى مبتغاه في العملية الجنسية من رعشة وغيرها بعد التنبيه بأشياء جامدة تخص الإناث كالأحذية والمعاطف وأشباهها.

٤- غشي الغلمان: وهو ممارسة الجنس مع الأطفال وللأسف فإن هذه الظاهرة أخذت طريقها في بعض الدول العربية والمجتمعات الإسلامية.

٥- عشق الجثث: وفي هذه الحالة يقوم الشاذ جنسياً بممارسة الجنس مع الأموات.

٦- البهيمية وقد المحنا إليها سابقاً حيث يستخدم الحيوان في هذه الحالة للممارسات الجنسية.

وختاماً نقول: إن الإسلام قد حارب الفاحشة بكل معانيها وأشكالها وضيق السبل على مرتكبيها ومسهليها فقد جاء عن سيد الخلق قوله: «ثلاثة لا يدخلون

---

(١) روائع الطب الإسلامي، د محمد نزار الدقر، ص١٣٩.

الجنة العاق بوالديه والديوث ورجلة النساء»[1].

والديوث: المستحسن على أهله ما نهى الله ورسوله عنه وقد عدَّ بعض علماء الأمة عمل الديوث من الكبائر ومنهم الإمام الذهبي[2] لأن عمله فيه إشاعة للفواحش وهو كالقواد الساعي بين اثنين بالفساد وتيسير الفاحشة.

ولم تكتفي الشريعة الإسلامية بهذا التضييق بل جعلت الحدود على بعض الفواحش صارمة، كالرجم على الزاني المحصن ذلك ليطهر المجتمع من مظاهر الرذيلة والانحطاط، ولإقامة حياة نظيفة وإن دلَّ هذا فإنما يدل على أن الإسلام دين طهر وأخلاق لذلك حث الشرع المسلمين على الزواج المبكر وحثهم أيضاً بالابتعاد عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن لما فيها من أضرار صحية واقتصادية واجتماعياً.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

❁ ❁ ❁

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم، بـ/ حديث أشعث بن جابر.

(٢) انظر كتاب الكبائر، للإمام شمس الدين الذهبي، ص١٣٧.

المحيـض:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وعن أنس بن مالك أنَّ اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسأل أصحاب النبي ﷺ النبي ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ إلى آخر الآية فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»(١).

أسباب الحيض:

والحيض أو ما بات يعرف بالدورة الشهرية التي تعتري المرأة من سن البلوغ وحتى سن اليأس، ما هي إلا استعداد متكرر للحمل فالرحم يحضر نفسه كل شهر لاستقبال البويضة الملقحة فإذا لم يحصل هذا تخلص من آثار استعداداته تلك والمتجلية في أنَّ غشاء الرحم يصبح سميكاً وغنياً بالمواد الغذائية لتغذية البويضة الملقحة، وبالتالي فإنَّ الدورة تكون ناتجاً لانعدام الحمل عندها يتخلص الرحم من غشاءه من خلال انغلاق شرايينه التي تأتيه بالدم عبر شرايين الرحم فإذا تعذر وصول الدم لهذا الغشاء مات وانطرح عبر عنق الرحم،وهذا ما يسمَّى بالدورة الشهريّة أو الحيض وأمَّا في غير ذلك الوقت فغشاء الرحم ليس مهيأ للحيض كما هو معلوم في الطب فالحيض عند المرأة يكون على سبيل الصحة، كما إنه يدل على خصوبة المرآة وسلامة عمل المبيض وبطانة الرحم وكذلك فإنه يمنع حصول مضاعفات معينة فلو وجدت حالة مرضية منعت حصول الحيض فهذه الحالة قد يرافقها عقم وقد تؤدي بين الحين والآخر إلى نزيف شديد مفاجئ من الرحم.

---

(١) صحيح مسلم، ك/ الحيض بـ/ جواز غسل الحائض رأس زوجها...

فما هي الحكمة من قوله تعالى: ﴿... **قُلْ هُوَ أَذًى**...﴾.

والأذى هو الشيء المستقذر والمكروه.

وأذى المحيض أنواع منها:

١- قذارة دم الحيض.

٢- جريان دم الحيض في وقته لا يمكن ضبطه كما تضبط النجاسات الأخرى كالبول والغائط.

٣- كراهة دم الحيض لأنه يمنع الصلاة والصوم.

٤- إنَّ دم الحيض يتضمن تغيرات نسيجية وكيميائية وحيوية في المجرى التناسلي وتجعله عرضة للالتهابات[١]، هذا ومن المعلوم طبياً أنَّ أذاه ينتقل إلى الرجل إذا واقع امرأته في هذا الوقت إذاً فالمواقعة في فترة الحيض يمقتها الطب وينفر منها علم النساء والتوليد ولعل الدراسات العلمية في هذا المجال تكشف لنا عن شيء من الأذى الذي أشارت إليه الآية الكريمة ولكن الجانب العلمي لن يصل إلى التعرف على جميع الأذى الذي عناه النص القرآني فالعلم في تقدم مستمر وفي كل يوم يكتشف جديداً وينبئنا هذا الجديد إنَّ علمنا كان قاصراً، ونقسم الأذى من الناحية العلمية إلى قسمين:

الأول: أثر المواقعة في المحيض على الرجل:

إنَّ المواقعة في فترة المحيض يكون لها آثار صحية سلبية على الرجل[٢] وتبدو جلية في التهاب عضو الرجل بسبب الخدوش التي تحدث أثناء الانتصاب والاحتكاك والذي قد ينقل للجهاز التناسلي الخارجي للرجل طفيل التريكوموناس[٣] كما أنَّ

---

(١) الطب في القرآن، د محمد جميل الحبال د وميض العمري، ص٥٤.

(٢) دورة الأرحام، د محمد علي البار، ص٥٧.

(٣) الإعجاز العلمي في أسرار القرآن الكريم والسنة النبوية، محمد حسنى يوسف، ج/١ص/٧٣.

جماع الحائض يسبب اشمئزازاً لدى الرجل وإدخال القضيب إلى المهبل المليء بالدماء يؤدي إلى تكاثر الميكروبات والتهاب قناة مجرى البول لدى الرجل ونمو وتكاثر الميكروبات يكون بشكل كبير في هذه البيئة الدموية وبالتالي تنتقل الميكروبات من قناة مجرى البول إلى البروستاتا والمثانة فإذا أزمن التهاب البروستاتا فإنَّ الميكروبات سرعان ما تغزو بقية الجهاز البولي التناسلي فتنتقل إلى الحالبين ومنه إلى الكلى.

وقد تنتقل الميكروبات من البروستاتا إلى الحويصلات المنوية فالحبل المنوي فالبربخ فالخصيتين وقد يسبب ذلك عقماً نتيجة انسداد قناة المني أو التهاب الخصيتين كما أنَّ الآلام المبرحة التي يعانيها المريض تفوق ما ينتج عن ذلك الالتهاب من عقم.

الثاني: أثر المواقعة في المحيض على النساء:

وقد يكون للمواقعة في المحيض أثر أكبر على المرأة وذلك من خلا ل التغيرات النفسية والجسدية التي تطرأ عليها هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنَّ جماع المرآة الحائض يؤدي إلى اشتداد الترف الطمثي لأنَّ عروق الرحم تكون محتقنة وسهلة التمزق وسريعة العطب كما أنَّ جدار المهبل سهل الخدش وتصبح إمكانية حدوث الالتهابات كبيرة مما يؤدي إلى التهاب الرحم أيضاً ولتبيان أثر المواقعة والأذى التي تتعرض له المرآة أثناء المحيض وبشكل مختصر يقول الدكتور محمد علي البار: يُقذف الغشاء المبطن للرحم أثناء الحيض ويكون الرحم متقرحاً نتيجة لذلك تماماً كما يكون الجلد مسلوخاً فهو معرض بسهولة لعدوان البكتيريا الكاسح ومن المعلوم طبياً أنَّ الدم هو خير بيئة لتكاثر الميكروبات ونموها وتقل مقاومة الرحم للميكروبات الغازية نتيجة لذلك ويصبح القضيب يشكل خطراً داهماً على الرحم وبالمقابل فإنَّ مقاومة المهبل لغزو البكتيريا تكون في أدنى مستواها أثناء الحيض إذ يقل إفراز المهبل للحامض الذي يقتل الميكروبات كما تقل المواد المطهرة الموجودة في المهبل أثناء الحيض إلى أدنى مستوى لها ليس ذلك فحسب ولكن جدار المهبل المكون من عدة طبقات من الخلايا يرق أثناء الحيض ويصبح جداره رقيقاً ومكوناً من طبقة رقيقة من

الخلايا لهذا فإنَّ إدخال القضيب إلى الفرج والمهبل في أثناء الحيض ليس إلا إدخالاً للميكروبات في وقت لا تستطيع فيه أجهزة الدفاع أن تقاوم كما أنَّ وجود الدم يساعد في نمو تلك الميكروبات وتكاثرها[1].

كما وقد أظهرت دراسات جديدة تفيد بأنَّ الجماع أثناء الحيض قد يكون أحد أسباب سرطان عنق الرحم كما أنَّ مرض الجذام[2] ينتقل وينجم عن المواقعة في المحيض.

وصدق الله القائل: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى...**﴾ [البقرة: ٢٢٢].

نعم هو أذى للزوج والزوجة وعدم قربان النساء في المحيض طهارة، طهارة من الأنجاس والأمراض، والله يحب التوابين ويحب المتطهرين.

قال تعالى: ﴿... **وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٢٢].

❁ ❁ ❁

(١) هل هناك طب نبوي، د. محمد علي البار، ص١٥٠.

(٢) الإعجاز الطبي في القرآن، د. السيد الجميلي، ص٢٣٤.

النفاس:

النفاس: هو الدم الخارج عقب الولادة وأقله لحظة وأكثره ستون يوماً وغالبه أربعون[1]. أي أنَّ النفاس ينتهي بانقطاع الدم وليس كما يتوهم البعض بأنَّ المرآة لا تُواقع عقب الولادة إلا بعد مدة وقدرها أربعون يوماً فالعبرة ليست بالوقت بل إنَّ العبرة بانقطاع الدم.

ويحرم في الحيض والنفاس ثمانية أشياء الصلاة والصوم وقراءة القرآن ومس المصحف وحمله ودخول المسجد والطواف والوطء والاستمتاع بما بين السّرة والركبة.

فالنفاس كالحيض في الشرع ولذلك يجوز إطلاق أحدهما على الآخر وكما بينا فإنَّ أحكام النفاس هي أحكام الحيض فقد روي في صحيح البخاري عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «بينما أنا مع رسول الله ﷺ في الخميلة إذ حضت فانسللت فأخذت ثياب حيضتي فقال ما لك أنَفِسْتِ قلت نعم فدخلت معه في الخميلة وكانت هي ورسول الله ﷺ يغتسلان من إناءٍ واحدٍ وكان يقبلها وهو صائم»[2].

والمشهور في اللغة أن نَفِست بفتح النون وكسر الفاء معناه حاضت وأمَّا في الولادة فيقال نُفِست بضم النون وكسر الفاء أيضاً وأصل ذلك كله خروج الدم وكما أشرنا فإن أحكام النفاس هي أحكام الحيض.

ويبدو من الناحية الطبية أيضاً أنه يوجد تشابه كبير بين الحيض والنفاس وذلك لوجود الدماء وهذا كما أسلفنا يتضمن تغيرات نسيجية وكيميائية وحيوية في المجرى التناسلي ويجعله عرضة للالتهابات وهذا بدوره ينقل الأذى إلى الرجل إذا واقع امرأته

---

(١) متن أبي شجاع، للشيخ محمد بن قاسم الغزي، ص١٨.

(٢) صحيح البخاري، ك/ الصوم ب/ القبلة للصائم.

في هذا الوقت بل نستطيع القول ولوجود الشبه الكبير ومن عدة أوجه بين كلٍ من النفاس والحيض بأنَّ النفاس ما هو إلا حيض طويل وإنما يختلف معه في المدة[1] وتكاد تكون الأضرار الناتجة عن المواقعة في فترة الحيض هي ذاتها المترتبة عن المواقعة في فترة النفاس على كل من الرجل والمرأة.

❁ ❁ ❁

(١) الطب في القرآن، د محمد جميل الحبال د وميض العمري، ص٥٧.

الوطء في الدبر:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[البقرة: ٢٢٣]

وقد روي في تفسير القرآن العظيم[١] عن ابن عباس ومجاهد وغير واحد في قوله تعالى ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أي الفرج وروي أيضاً عن ابن عباس قوله في الفرج ولا تعدوه إلى غيره فمن فعل شيئاً من ذلك فقد اعتدى وفيه دلالة حينئذ على تحريم الوطء في الدبر، وعنه أيضاً في قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ قال الحرث موضع الولد ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا﴾ أي كيف شئتم مقبلة ومدبرة في صمام واحد كما ثبت بذلك في الأحاديث.

وفي سنن أبي داود عن النبي ﷺ «ملعون من أتى امرأته في دبرها»[٢].

ويصح أن نستدل من قوله تعالى ومن الحديث الشريف وقول العلماء على تحريم نكاح المرأة في الدبر والحكمة في ذلك بأنَّ المهبل مهيأ لعملية الإيلاج من خلال إفرازه للمواد المسهلة لهذه العملية وإفرازه لمواد مطهرة وحامضية مهمتها قتل الميكروبات المحملة على القضيب أثناء الإيلاج.

والدبر ليس مهيأ للإيلاج ولا يفرز المواد المطهرة والحامضية التي يفرزها المهبل، وتقتصر مهمته على طرح فضلات الجسم المتمثلة بالبراز ولهذا الأخير أذى وأذاه أشد من أذى المحيض الذي ذكرناه سابقاً ويؤيد ذلك أنَّ تحريم الخبائث يقتضي تحريم تعمد النجاسات عموماً، والتلوث بها بل وأنَّ موضع النكاح في الدبر نجس لا يطهر أبداً

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج/١ ص/٢٦٧.

(٢) سنن أبي داود، ك/ النكاح بـ/ في جامع النكاح.

وقد ندرك حجم الخطر إذا علمنا أنَّ الغرام الواحد من البراز في الشخص السليم يحتوي على مائة ألف مليون جرثومة،وفي المريض بمرض التيفويد قد يحتوي الغرام الواحد خمسة وأربعين مليوناً من بكتيريا التيفويد أم في مرض الدوسنتاريا أو الكوليرا فمن المستحيل إحصاء أعداد الجراثيم لكثرتها الهائلة، وقد وجد أنَّ إهمال نظافة الشرج والأعضاء التناسلية قد يكون سبباً في إصابتهما بمرض السرطان وبالتالي فإن هذه الحقائق تجعلنا نقف على وجه من أوجه حكمة الاستنجاء التي شرعها الإسلام وهذا ما حذا ببريطانيا في عام ١٩٦٣م، وبالتحديد في مدينة داندي إلى تحذير السكان وفي مختلف وسائل الإعلام بعد أن أنتشر مرض التيفويد بينهم إلى عدم استعمال مناديل التواليت في دورات المياه، واستبدالها باستخدام المياه في النظافة ذلك لأنَّ البكتيريا تستطيع أن تنفذ من ثماني طبقات من ورق التواليت إلى اليد وتلوثها أثناء عملية التخلص من بقايا البراز بواسطتها.

فإن كانت هذه المنطقة وهي المخرج الرئيسي لفضلات الجسم تحتوي على هذه الأعداد الهائلة من الميكروبات الخطيرة وعلى سطحها والتي بدورها تنتقل للجسد الملامس لها بأبسط الوسائل فماذا يترتب عن الوطء في الدبر وللقارئ أن يتخيل.

❁ ❁ ❁

في الرضاعة المحرمة:

قال تعالى: ﴿... فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ...﴾ [النساء: ٣].

إن آخر الإحصاءات السكانية تشير إلى أن عدد سكان الأرض قد تجاوز الست مليارات إنسان، ومهما تكن نسبة الإناث إلى الذكور فإن عددهن لا يقل عن ثلاثة مليارات وباستطاعة المرء أن ينكح من شاء منهن وفق ضوابط شرعية، وهذه المليارات الثلاث وعلى أقل تقدير لعدد النساء في المعمورة لم يستثنى منهن إلا العدد القليل وهن المحرمات المعلومات من النسب والرضاعة والذي لا يتجاوز عددهن ١٨ عشر أنثى وهذا عدد لا يكاد يذكر إذا ما قورن بـ٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠ وفي هذه المقارنة تبيان نسبة الحرام من الحلال ورد على من يزعم بأن في المحرمات الإسلامية تقيد للحريات.

والمادة العلمية التالية تبين جانب من جوانب الحكمة المرادة من تحريم فئة من المحرمات من النساء والله تعالى أعلم.

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ﴾ [النساء: ٢٣].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: جاء عمي من الرضاعة فاستأذن عليَّ فأبيت أنْ آذنَ له حتى أسأل رسول الله ﷺ فجاء رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فقال: «إنه عمك فائذني له» قالت: فقلت: يا رسول الله إنَما أرضعتني المرأة و لم يرضعني الرجل قالت: فقال رسول الله ﷺ «إنه عمك فليلج عليك» قالت عائشة وذلك بعد أنْ ضرب علينا الحجاب، قالت عائشة: يحرم من الرضاعة مَا يحرم

مِن الولادة»[1].

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال النبي ﷺ في بنت حمزة «لا تحلُّ لي يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب هي بنت أخي من الرضاعة»[2].

وقبل الوقوف على المواضع التي تختص بالرضاعة في الآية والحديثين والتي تجعل مِن الطفل الأجنبي ابناً للمرضع وتجعله أخاً لِمَن يشاركه في الرضاعة لا بدَّ لنا من وقفة على قوله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ**﴾ [النساء: ٢٣].

فالخالق عز وجل مَا حرَّم مِن شيءٍ إلا وكان لهذا التحريم سبباً وعلة قد تكون خفية وقد تكون ظاهرة ونقول أنَّ العلة مِن وراء التحريم دائماً وأبداً تكون لصالح العبد وإنْ كان هذا النفع عاجلاً أو أجلاً فالتحريم بهذا الموضوع مِن الآية الكريمة يختص بالأقاربِ مِن جهةِ النسب فما هي الأسباب الكامنة وراء هذا التحريم؟.

ولعلَّ علماء الوراثة يجيبون عن بعض هذه الأسباب فقد باتَ مِن المعلوم طبياً أنَّ صلة القربى مِن الدرجة الأولى كالإخوة والأبناء يشتركون فيمَا بينهم بنسبةِ ٥٠% مِن المورثات..الجينات.. وتصل هذه النسبة إلى قرابة ٢٥% في الأقاربِ مِن الدرجة الثانية أي الأحفاد والأعمام والأخوال وأبناء وبنات الأخ والأخت أمَّا هذه النسبة في القربى مِن الدرجة الثالثة كأبناء العمومة فإنَّها تصل إلى نصف النسبة السابقة أي مَا يقارب ١٢,٥%[3] وقد باتَ مِن المعلوم طبياً أيضاً أنَّ الزواج من الأقاربِ يسبب أمراض وراثية وتشوهات خلقية وهذه الأمراض والتشوهات تكُون بنسبةٍ عالية جداً في الأقارب مِن الدرجة الأولى لتصل إلى نسبة ٥٠% وتتدنى هذه النسبة لتصل إلى ٢٥% في التزاوج بين الأقارب مِن الدرجة الثانية ولعلَّ السبب

---

(١) صحيح البخاري، ك/ النكاح بـ/ ما يحل من الدخول والنظر إلى النساء في الرضاع.

(٢) صحيح البخاري، ك/ الشهادات بـ/ الشهادة على الأنساب والرضاع والمستفيض والموت.

(٣) الطب في القرآن، د محمد حبال د وميض العمري، ص٩٩.

الكامن من وراء هذه التشوهات والأمراض في حال التزاوج بين الفئتين السابقتين يكون ناتجاً عن الأخطاء في المورثات، وعليه فإنَّ المرء كلَّما ابتعد في الزواج عن الأقارب تكون نسبة الإصابة بهذه الأمراض والتشوهات بنسبةٍ أقل وهذا مَا أقره العلم في الآونةِ الأخيرة حول زواج الأقارب، ونستطيع القول أنَّ العلم لا يفسر هذا التحريم المذكور في الآية من جميع أبوابها وقد تكون هذه الحقائق العلمية إحدى الأسباب والمقاصد من وراء هذا التحريم،وكما هو معلوم أنَّ الأصناف المذكورة في الآية محرمة تحريم قطعي في الدين الحنيف لا يقبله الشرع ولا الفطرة الإنسانية ولا العقل السليم، وقد أوردنا هذا الإيضاح هنا لأنَّ ذلك من شأنه أنْ يساعدنا من الناحية العلمية على فهم بعض أسباب التحريم في الرضاعة أي أنَّ بعض أسباب التحريم في زواج القربى ناتجٌ من اشتراك هذه القربى في المورثات الأمر الذي من شأنه أنْ يزيد الاحتمال في الإصابة بالأمراض والتشوهات وتختلف نسب الاشتراك في المورثات بين فئة وأخرى من القربى وقد بينا هذا الأمر سابقاً وبالآنِ ذاته سنلاحظ إنَّ هذه المورثات ستكون ذات صلة في تحريم الزواج من القربى في الرضاعة وكما بينتها النصوص الشريفة.

من أسباب التحريم في الرضاعة:

قال تعالى: ﴿**وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ**﴾ [النساء: ٢٣].

الآية في هذا الموضع تجعل من الأمِّ والأخت من الرضاعة في حكم الأمّ والأخت من النسب وتأتي السنة النبوية لتؤكد ذلك أي أنَّ النصوص الشريفة تجعل الطفل الأجنبي الرضيع ابناً للمرضع وتجعله أخاً لمَن يشاركه الرضاعة وبصيغة أخرى فإنَّ الرضاعة وبحسب شروطها في الإسلام ومنها الخمس رضعات كما هو مبينٌ في الحديث «عن عائشة، أنها قالت: كان فيما أنزل من القرآن: عشر رضعات معلومات يحرِّمن، ثم نسخن: بخمسٍ معلوماتٍ، فتوفيَّ رسول الله ﷺ وهن فيما يقرأ

من القرآن»[1].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة وهناك شروط أخرى لحرمة الرضاعة من الناحية الفقهية ولكننا أردنا الوقوف على الناحية العلمية في حرمة الرضاعة والتي تجعل من الأجنبي أخاً ومن الأجنبية أمّاً وأختاً ونحو ذلك ونفصّل هذا التحريم من الناحية الشرعية بمَا جاءَ في تفسير الألوسي[2] إذ قال: وقد نزَّل الله سبحانه وتعالى الرضاعة منزلة النسب حتى سمَّى المرضعة أمّاً للرضيع والمراضعة أختاً وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جدّاه وأخته عمّته وكل ولد له من غير المرضعة قبل الرضاعة وبعده إخوته وأخوته لأبيه وأمّ المرضعة جدّته وأختها خالته وكل ولدها من هذا الزوج فهم إخوته وأخواته لأبيه وأمّه ومَن ولد لها من غيره فهم إخوته لأمّه ومن هنا قال ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما «يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب». ا.هـ.

وللوقوف على بعضٍ أسبابِ هذا التحريم نورد ما يلي:

فالطفل عند ولادته تكون لديه عدة أجهزة لم يكتمل نضجها بشكل نهائي بعد مثل الجهاز الهضمي، والذي ينمو بشكل تدريجي حتى نهاية العام الثاني[3] والجهاز التناسلي الذي يتأخر نضجه حتى سن البلوغ والجهاز العصبي المركزي والجهاز الوراثي لدى الرضيع شأنه شأن هذه الأجهزة يكون عند الولادة، وفي فترة الرضاعة غير ناضج بعد وبالتالي يمكن اختراقه والتأثير فيه من قبل المورثات الأخرى، أي أنَّ الجهاز الوراثي في هذه المرحلة يتقبل أي شيء غريب عنه[4] وبالتالي فإنَّ جينات

---

(١) صحيح مسلم، ك/ الرضاع بـ/ التحريم بخمس رضعات.

(٢) روح المعاني في القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة شهاب الدين محمود الألوسي- (ج٤/ ص٣٩٤).

(٣) إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، كريم نجيب الأغر، ص٤٦١.

(٤) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ا د محمد راتب النابلسي، ص١٨٨.

المرضع تنتقل عن طريق حليبها إلى خلايا الرضيع وتستقر فيها، وذلك بسبب عدم نضج هذا الجهاز ممّا يسهل عملية اختراقه مِن قبل الجينات القادمة عن طريق الحليب الأمر الذي مِن شأنه أنْ يجعل الرضيع يحمل مورثات المرضع، وبصيغة أخرى نقول أنَّ جهاز الرضيع يمتص جميع مَا في الحليب الذي تقدّمه له المرضع وهذا الغذاء يسهم في بناء أنسجة أعضائه، وبالتالي فإنه سيحمل بعض الصفات الفيزيولوجية الشبيهة لصفات المرضع ومِن ناحية أخرى فإنَّ حليب المرضع يحتوي على أجسامٍ مضادة[1]، وهذه بدورها تعطي للطفل مناعة مِن الأمراض في شهوره الأولى ولا يكتفي حليب المرضع بإمدادِ الرضيع بهذه المضادات بل يتعدى ذلك ليحفز جسم الرضيع على تنمية جهازه المناعي حتى يكون بإمكانه تشكيل هذه المضادات، ومِن هذا نقول بأنَّ كل مِن المرضع والرضيع يتشابهان مِن الناحية الفيزيولوجية والمناعية[2] وبصيغة أبسط فإنَّ الجينات التي تتركز في حليب الأمِّ تنتقل إلى خلايا الرضيع وتستقر فيها وبالتالي تصل إلى جهازه الوراثي ممّا يؤدي إلى تشابه بين كل مِن المرضع والرضيع تشابه باطني قد يكون له أثر كبير فيما بعد لو تزوج الرضيع أمّه مِن الرضاعة لأنَّ ذلك قد يسبب تشوهات خلقية وأمراض وراثية كون الاثنين يشتركان بنفس الصفات الوراثية.

وذلك هو شأن حرمت الزواج بالأخت مِن الرضاعة وذاك لأنها تحمل ذات الصفات الوراثية عن الأمِّ وعن طريق الحليب فبذلك تشارك الأخ الرضيع ذات الصفات الوراثية التي حصل عليها مِن الحليب عن طريق الأمّ المرضع وبالتالي نقف على إحدى أوجه التحريم والإعجاز في قوله تعالى: ﴿**وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ**﴾ [النساء: ٢٣].

❁ ❁ ❁

(١) الطب في القرآن، د محمد الحبال د وميض العمري، ص٩٩.

(٢) إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، كريم نجيب الأغر، ص٤٦٦.

مدخل إلى المحرمات من الأطعمة:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ [البقرة: ١٦٨].

رحمة من الله بخلقه خاطب الناس عامة بأصول الدين في غير موضع من آيات الذكر الكريم، بأنه لا إله إلا هو وخاطب المؤمنين بتفاصيل هذا الدين وبين للناس كافةً مؤمنهم وكافرهم مهتديهم وضالهم بأنه سبحانه وتعالى المنعم على جميع خلقه، وهو الذي أباح لهم طيبات الأرض ونهاهم عن إتباع خطوات الشيطان التي بموجبها حرم ثلة من الناس أصنافاً مما أبيح لهم وبين ذلك في قوله تعالى: ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ**﴾ [المائدة: ١٠٣].

وأخبرهم سبحانه وتعالى بأنه ما حرم عليهم إلا ما ثبت ضرره على الأبدان والعقول فقال في محكم كتابه الكريم: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ...**﴾ [المائدة: ٣].

وبين سبحانه وتعالى القاعدة الأساسية لحفظ الصحة في كلمتين بقوله: ﴿**... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأعراف: ٣١].

وأوضح الخالق عز وجل بأن الإفراط في تناول الطيبات هي من سمات الكافر فقال عز من قائل: ﴿**... وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ**﴾ [محمد: ١٢].

وهذا ما صدقه سيد الخلق في عدد من الأحاديث النبوية الشريفة فقال ﷺ: «المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء»[1].

---

(١) صحيح البخاري، ك/ الأطعمة بـ/ المؤمن يأكل في معي واحد....

وقال صلوات الله وسلامه عليه: «ما ملأ آدمي وعاءٌ شراً من بطنٍ حسب الآدمي لقيمات يقمن صلبه فإن غلبت الآدمي نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس»[1].

وهذا ما صدقه السلف الصالح فقد روي عن ابن عمر قوله: ما شبعت منذ أسلمت وري عن الشافعي قوله: ما شبعتُ منذ ستَّ عشرةَ سنة إلا شبعة اطرحتها لأنَّ الشبع يُثقِلُ البدن، ويُزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة[2].

فالشارع نهى عن الإفراط والتفريط فالإسلام دين الوسطية فكما نهى عن الإسراف في الطعام والشراب نهى عن تحريم الطيبات فقال عز من قائل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [المائدة: ٨٧].

والسنة النبويّة المطهرة تزخر بالهدي النبوي الشريف في هذين الموضعين حتى لا يكاد يغفل كتاب من كتب المتون المروية عنه ﷺ عن تبويب أحد أبوابه باسم كتاب الأشربة أو الأطعمة، فكان من هديه صلوات الله وسلامه عليه الاعتدال في الطعام فلم تقتصر توجيهاته على عدم الإفراط فيه بل حذر من التقتير ومنع أقواماً عن الصوم أياماً متتاليات دون إفطار وكان من هديه ﷺ النهي عن الإسراف في الطعام والشراب ونهى عن إدخال الطعام على الطعام وكان من هديه أيضاً أن لا يحبس المرء نفسه على نوع واحد من الأغذية وكان من هديه ﷺ إرشاد المؤمن إلى هيئة الجلوس على الطعام وكيفية الأكل، وكان من هديه تغطية الإناء خوف الوباء والهوام وكان من هديه في كتاب الأشربة النهي عن الشرب من فم السقاء... الخ.

لتأتي جميع الحقائق العلمية موضحة ومصدقة ومقررة لهديه ﷺ ولتخبر الجميع بأنه صلوات الله وسلامه عليه ما ينطق عن الهوى، وبأن معجزته خالدة ومستمرة إلى

---

(١) سنن ابن ماجه، ك/ الأطعمة بـ/ الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ص٨٠٧.

يوم يبعثون وأنه صلوات الله وسلامه عليه ما كان إلا هادياً وبشيراً لكل من اتبعه وصدقه بحياة طيبة ومغفرة من الله وجنة عرضها السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً**﴾ [الإسراء: ٩].

العلم وهدي الشريعة:

يتوافق العلم في حقائقه القطعية مع النصوص الشريفة توافقاً تاماً ليصل إلى درجة التطابق، فما نهى عنه الشرع ينهي عنه العلم ويحذر فاعليه بالعواقب الوخيمة ومن ذلك القاعدة القرآنية التي فيها حفظ البدن من الأسقام: ﴿**... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأعراف: ٣١].

فالآية الكريمة فيها حفظ للبدن من كل ما يعتريه من الأمراض في كلمتين فقلما يلجأ سقيم إلى طبيب إلا وكان منه النهي عن أصناف والحث على أصناف أخرى من الأغذية وهذا لا يكون إلا في علاج بعض الأمراض ولكن الوقاية منها لا تكون إلا في قوله تعالى: ﴿**... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأعراف: ٣١].

وربما لا تكاد تخرج الأمراض الغذائية التي يعاني منها البشر عن قاعدتين من قواعد النصوص القرآنية.

الأولى هي الإسراف في الطعام والشراب:

فالعلم لا يشك أبداً في أن أكثر المتوفين ما هم إلا منتحرون بأفواههم بما أسرفوا على أنفسهم في الطعام والشراب وبما دخل في بطونهم فالإسراف من المحظورات طبياً ومن المحرمات شرعياً ذلك أن العلم يقدر ما يتناوله الإنسان عادة من الطعام والشراب بثلاثة أضعاف ما يحتاج إليه[1] وهذا بدوره نوع من الإسراف المنهي عنه في الشرع

(١) روائع الطب الإسلامي، د محمد نزار الدقر، ج/ ٤ ص/١٨.

الإسلامي والذي يترتب عنه عدد من الأمراض نجملها في ما يلي:

١- الإسراف يؤدي إلى التخمة وعسر الهضم وتوسع المعدة.

٢- قد يؤدي إلى هجمة خناق الصدر الذي يترافق بحالة شديدة من الألم الحارق خلف القص، وهذا بدوره ناتج عن نقص التروية القلبية[١] لأن الوجبة الغذائية الكبيرة تشكل عبئاً ثقيلاً على القلب.

٣- قد يؤدي الإسراف في الطعام وتناول وجبات كبيرة منه إلى الإصابة ببعض الجراثيم وذلك لعدم تمكن العصارة المعدية المسؤولة في بعض وظائفها عن قتل الجراثيم من الوصول إلى الطعام الزائد.

٤- يؤدي الإسراف في الطعام إلى توسع المعدة الحاد الذي قد يؤدي في بعض الأحيان إلى الموت.

٥- قد يؤدي الإسراف إلى انفتال المعدة كنتيجة لحركة معاكسة للأمعاء بعد امتلاء المعدة بالطعام الزائد.

٦- المعدة الممتلئة تعد أكثر عرضة للتمزق إذا ما تعرضت لرض خارجي عنيف.

٧- الإسراف في الطعام ضار بالنفس والفكر.

القاعدة القرآنية الثانية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].

إن المناهج الوضعية المتبعة من قبل البشر في أنماط حياتهم ومعاشهم لا تتعدى كونها محاولات للوقوف على ما فيه صالحهم وإن حدث أن وجد ذلك واستمر وثبتت صحته بعد طول عناء من بحث واستقصاء وجدوه في كلمة من آيّ القرآن الكريم ومن ذلك ذهاب البعض إلى الاقتيات على أصناف محدودة من الأطعمة دون سواها ظناً منهم بأن تلك الأصناف تناسب بناهم الجسدية أكثر أو لاعتقادات زائفة

(١) مع الطب في القرآن الكريم، د عبد الحميد دياب د أحمد قرقوز، ص١٣٠.

ومنها أن الموارد الحيوانات وخاصة اللحوم منها لا يجب أن تكون أغذية بشرية وهذا الاعتقاد رائج بين من يصنفون تحت مسمى النباتيون وهذا اعتقاد مرفوض شرعاً لأن الشارع ما حرم من الموارد الغذائية الحيوانية إلا ما كان فيه نص قرآني أو نبوي شريف كالميتة والدم ولحم الخنزير وأصناف أخرى تستثنى من الطيبات لوجود علة في خبثها وعدم صلاحيتها لتكون أغذية بشرية وهناك فئة بشرية أخرى على النقيض تماماً من النباتيون لهذا نهى الشرع عن تحريم الطيبات كما يفعل البعض وذلك لأن الإنسان بحاج إلى الأغذية النباتية والأغذية الحيوانية لأن جسم الإنسان لا يستقيم على مورد واحد ومن ذلك أن الذين يعتمدون في غذائهم على الموارد النباتية كثيراً ما يعانون من فقر الدم وفقدان الفيتامين ب[1] في حين أن الذين يقتصرون في أغذيتهم على الموارد الحيوانية كثيراً ما يعانون من عدد من الأمراض نحن بصدد تبيانها وكلا الحالتين تناقضان القاعدة القرآنية الثانية والتي تعد وجه أخر للإسراف وهذا ما تثبته المادة العلمية التي تظهر تعرض البعض ممن يقتاتون على مورد غذائي دون الآخر لعدد من الأمراض منها:

١- السمنة والتي تنتج عن الإكثار من تناول الأطعمة الدهنية والسكرية والسمنة بدورها تؤدي إلى أمراض أخرى كاحتشاء العضلة القلبية وخناق الصدر وداء السكري وفرط توتر الدم وتصلب الشرايين حتى أضحت السبب الأول للوفاة في الولايات المتحدة الأمريكية[2] وبحسب التقرير المأخوذ عن الموقع الالكتروني لمنظمة الصحة العالمية والصادر في شهر شباط لعام ٢٠١٠ ميلادي فإن ما يقارب من مليار نسمة حول العالم يعانون من السمنة ومن فرط الوزن وهذا العدد مرشح للزيادة بحسب هذا المصدر والذي يقدره في عام ٢٠١٥ بقرابة المليار ونصف وأشار ذات التقرير إلى أن السمنة وفرط الوزن وراء وفاة ما لا يقل عن ٢٦٠٠٠٠٠ نسمة كل عام.

---

(١) روائع الطب الإسلامي، د محمد نزار الدقر، ج/٤ ص/١٧.

(٢) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، ص٧٠٤.

٢- الحصيات الكلوية والتي يعد العامل الرئيسي في حدوثها تناول اللحوم والحليب والجبن.

٣- تصلب الشرايين وهو مرض كثيراً ما يشاهد عند اللذين يكثرون من تناول الوجبات الدسمة.

٤- النقرس وهو ألم وخاصة في مفاصل القدم والإبهام وكثيراً ما يتعرض له الذين يكثرون من تناول وجبات كبيرة من اللحوم[1].

فلا حلال إلا ما أحله الله ولا حرام إلا ما حرمه الله لعلمه المسبق بما فيه صلاح عباده وأما إتباع الهوى فهو أمر منهي عنه شرعاً وسنرى لاحقاً أن الله سبحانه وتعالى ما حرم على عباده إلا كل ما هو خبيث ليقيه من الأمراض.

❁ ❁ ❁

(١) مع الطب في القرآن الكريم، د عبد الحميد دياب د أحمد قرقوز، ص١٣١.

العشاء قبل الصلاة:

قال رسول الله ﷺ: «إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء»[1].

في الحديث كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله لما فيه من اشتغال القلب به وذهاب كمال الخشوع[2].

فالعلة من الحديث كما وقف عليها من سلف من علماء وفقهاء الأمة هي التشويش المفضي إلى ترك الخشوع في الصلاة، ولكن للحديث جانب آخر يظهر الحكمة من الهدي النبوي الشريف في تقديم الأكل أثناء حضوره على الصلاة وهذا ما تبينه المعطيات العلمية الحديثة،وللوقوف على هذا الجانب لا بد لنا من توضيح عمل بعض الأعضاء لتحفيز الجسم على استقبال الطعام.

فالأنف وهو العضو المسؤول عن حاسة الشم يستقبل الروائح من خلال مئة مليون خلية عصبية مخصصة لهذا الغرض، وهذه الخلايا تتركز في القسم العلوي من الأنف بمساحة لا تزيد عن مئتين وخمسين ملم مربعاً، وهذه الخلية العصبية التي تعدُّ عشرين مليوناً لها أهداب لا تقل عن سبعة أهداب وهي بدورها عليها سائل مخاطي فيه مواد دهنية مذيبة تتفاعل مع الرائحة تفاعلاً كيميائياً وينتج عن هذا التفاعل شكل هندسي يختلف من رائحة إلى أخرى، ويرسل إشارة من خلال العصب الشمي إلى مركز الشم في الدماغ والذي تتم فيه عملية التعرف على نوع الرائحة ولمجرد أن يميز الدماغ رائحة الطعام فإنه يصدر أوامره إلى الغدد المتواجدة في المراكز الهضمية وخاصة في الفم لاستقبال الطعام.

وعلى أثر هذه الأوامر تفرز الغدد في الفم اللعاب وهذا بدوره يحتوي على شوارد معدنية وبروتين وسكر ومضادات حيوية وأنزيمات ولهذا اللعاب عدة وظائف

---

(١) صحيح مسلم، ك/المساجد ومواضع الصلاة ب/كراهة الصلاة بحضرة الطعام...

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ك/المساجد ومواضع الصلاة ب/كراهة الصلاة بحضرة الطعام...

منها قيامه بدور العصارة الهاضمة في الفم.

وتصدر الأوامر أيضاً من الدماغ إلى الغدد الهاضمة الموجودة في المعدة والتي يزيد عددها على خمسة وثلاثين مليون غدة هاضمة[1] لتفرز الأنزيمات وتفرز حمض كلور الماء وهذا الحمض بدوره مادة مذيبة تذيب كل شيء وقد يكون له بعض المضاعفات على المعدة في حال عدم وجود الطعام بداخلها.

والخلاصة:

أن الطعام عندما يوضع وتظهر رائحته تبدأ العصارات الهاضمة بالتدفق وذلك بعد تلقيها الأوامر من الدماغ الذي يقوم بتحليل هذه الروائح، ومن هذه العصارات اللعاب كما اشرنا وعصارة المعدة المتمثلة في الأنزيمات، وحمض كلور الماء منتظرة وصول الطعام إليها فإذا تأخر وصول الطعام إليها فقد تؤثر هذه العصارة على جدران المعدة أو في جدران البصلة العفجية محدثة فيها تقرحات[2] ونتيجة لذلك فقد يصاب المرء بضعف إفراز العصارة المعدية في حال كانت التنبيهات خاطئة وبالتالي يصاب بعسر الهضم.

❁ ❁ ❁

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان، ا د محمد راتب النابلسي، ص٢٩٥.

(٢) روائع الطب الإسلامي، د محمد نزار الدقر-(ج٤/ص٤٦).

النهي عن التنفس في الإناء:

عن ابن أبي قتادة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا شرب أحدكم فلا يتنفَّس في الإناء، وإذا بال أحدكم فلا يمسح ذكره بيمينه، وإذا تمسح أحدكم فلا يتمسح بيمينه»[1].

وأخرج مسلم و أصحاب السنن من طريق أبي عاصم عن أنس أن النبي ﷺ كان يتنفَّس في الإناء ثلاثاً ويقول: «هو أروَى وأبرأ وأمرَأ»[2].

أي أكثر رياً و أكثر إبراء من الأذى و العطش والمراد أنه يصير هنيئاً مريئاً سالماً من مرض أو عطش أو أذى.

وقال الإمام ابن حجر[3] في الحديث يؤخذ منه أن النهي عن الشرب في نفس واحد للتنزيه قال المهلب النهي عن التنفس في الشرب كالنهي عن النفخ في الطعام والشراب من أجل أنه قد يقع فيه شيء من الريق فيعافه الشارب ويتقذره إذ كان التقذر في مثل ذلك عادة غالبة على طباع أكثر الناس ومحل هذا إذا أكل وشرب مع غيره وأما لو أكل وحده أو مع أهله أو من يعلم أنه لا يتقذر شيئاً مما يتناوله فلا بأس قلت والأولى تعميم المنع لأنه لا يؤمن مع ذلك أن تفضل فضلة أو يحصل التقذر من الإناء أو نحو ذلك وقال بن العربي قال علماؤنا هو من مكارم الأخلاق ولكن يحرم على الرجل أن يناول أخاه ما يتقذره فإن فعله في خاصة نفسه ثم جاء غيره فناوله إياه فليعلمه فإن لم يعلمه فهو غش والغش حرام وقال القرطبي معنى النهي عن التنفس في الإناء لئلا يتقذر به من بزاق أو رائحة كريهة تتعلق بالماء أ. هـ.

هكذا فهم المتقدِّمون من العلماء الحديث الشريف و زاد فيه المعاصرون بأن في الحديث هدي آخر يُشَرِّفنا به سيدنا محمد ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق والنفخ في الطعام و الشراب خروج عن الآداب العامة و مجلبة للاحتقار و الازدراء.

---

(١) صحيح البخاري، ك/ الأشربة بـ/ النهي عن التنفس في الإناء.

(٢) صحيح مسلم، ك/ الأشربة بـ/ كراهة التنفس في نفس الإناء....

(٣) فتح الباري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ج/١٠ ص/٩٤.

فالتنفس شهيق وزفير فالأول يدخل الهواء الصافي المفعم بالأكسجين إلى الرئتين ليمد الجسم بما يحتاجه من الطاقة والزفير يُخرج من الرئتين الهواء المفعم بغاز الفحم مع قليل من الأكسجين وبعض فضلات الجسم الطيَّارة التي تخرج عن طريقهما بشكل غازي، وهذه الغازات تكثر نسبتها في هواء الزفير في بعض الأمراض كما في التسمُّم البَولي[1]... فهواء الزفير هو حامل لفضلات الجسم الغازية مع قليل من الأكسجين وما النفخ إلا اختلاط لهذه الفضلات بالطعام والشراب ومن ثم إعادتها إلى الجسم لذلك نهى النبي ﷺ عن النفخ في الطعام والشراب.

وأرشد صلوات الله وسلامه عليه أيضاً إلى مبدأ هام في أمره بالتنفس عند الشرب فمن المعلوم أن شارب الماء دفعة واحدة لا يتذوق طعم الماء ويضطر إلى كتم نفسه حتى ينتهي من شربه وذلك لأن طريق الماء و الطعام و طريق الهواء يتقاطعان عند البلعوم فلا يستطيعان أن يمرا معاً ولابد من وقوف أحدهما حتى يمر الآخر وعندما يكتم المرء نَفَسه مدة طويلة ينحبس الهواء في الرئتين فيأخذ بالضغط على جدران الأسناخ الرئوية[2] فتتوسع وتفقد مرونتها بالتدريج، ولا يظهر ضرر ذلك في مدة قصيرة، ولكن إذا اتخذ المرء ذلك عادة له و صار يعب الماء عباً تظهر عليه أعراض انتفاخ الرئة... فيضيق نَفَسُه عند أقل جهد و تزرقُّ شفتاه وأظافره، ثم تضغط الرئتان على القلب فيصاب بالقصور وينعكس ذلك على الكبد فيتضخم، ثم يحدث الاستسقاء والوذمات في جميع أنحاء الجسم، وهكذا فإن انتفاخ الرئتين مرض خطير حتى أن الأطباء يعدونه أخطر من سرطان الرئة، والنبي ﷺ لا يريد لأفراد أمته كل هذا العناء والعذاب، لذلك نصحهم أن يَمَصُّوا الماء مصاً وأن يشربوه على ثلاث دفعات فهو أروى وأمرأ وأبرأ.

والحقيقة أن هديه صلوات الله وسلامه عليه في النهي عن التنفس في الطعام والشراب ونهيه عن غب الماء أدب رفيع ومعجزة نبوية أظهرت حرصه ﷺ على سلامة المؤمنين.

---

(١) روائع الطب الإسلامي، د محمد نزار الدقر، ج/٤ ص/٣٨.

(٢) روائع الطب الإسلامي، د محمد نزار الدقر، ج/٤ ص/٣٦.

الميتـــــة:

قال تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [المائدة: ٣].

الميتة: إمَّا أنْ تكون منخنقة أو موقوذة أو مترديةأو نطيحة أو ما أكل السبع.

والمنخنقة: هي التي تموت خنقاً.

والموقوذة: هي التي تضرب بالخشب أو بالحجر حتى تموت.

والمتردية: هي الدابة التي تتردى من علوٍّ إلى أسفل فتموت.

والنطيحة: هي الشاة التي تنطحها شاة أخرى فتموت قبل أنْ تذكّى أي تذبح وفيها رمق من الحياة لقوله ﷺ في صحيح البخاري «فما أدركته يتحرك بِذَنَبِـــهِ أو بعينه فاذبح وكل»[1].

وما أكل السبع: أي ما افترسه كل ذي ناب أو ظفر من الحيوان.

وما ذبح على النصب: هو حجر يُنصب وتُصب عليه دماء الذبائح، أو هـــي حجارة كانت حول مكة كانوا يذبحون عليها، ولذلك فهي وإنْ كانت مذبوحة إلا أنها أهلَّ بها لغير وجه الله والتهليل هو رفع الصوت أثناء الذبح والقـــول الله أكـــبر فحرمتها أنها أريد بها غير وجه الله ذلك لأنَّ التعظيم غير جائز إلا للذات الإلهية وإنْ كان التعظيم في الذبح لغير الله المنعم علينا بهذه الأنعام فهذا الطعام غير جائز شـــرعاً

(١) صحيح البخاري، ك/ الذبائح والصيد بـــ/ التسمية على الصيد.....

والوليمة التي لا يراد بها وجه الله هي التي أهلَّ بها لغير الله لأنَّ التعظيم فيها يكون للمخلوق وليس للخالق فهي محرَّمة شرعاً.

والمقصود من المحرمات التي وردت في سياق الآية الكريمة الرد على المشركين الذين ابتدعوا ما ابتدعوه من تحريم المحرمات على أنفسهم بآرائهم الفاسدة من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ونحو ذلك فأمر الله رسوله أن يخبرهم أنه لا يجد فيما أوحاه الله إليه أن ذلك محرم وإنما حرم ما ذكر في هذه الآية من الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وما عدا ذلك لم يحرم وإنما هو عفو مسكوت عنه فكيف يزعم المشركون أنه حرام، و لم يحرمه الله وعلى هذا فإن ما حرموه المشركون ليس بحرام وإنما المحرم هو ما حرمه الله ورسوله، وهذا ما جاء تبيانه في النصوص القرآنية الكريمة والنبوية الشريفة كالنهي عن لحوم الحمر الأهلية ولحوم السباع وكل ذي مخلب من الطير على المشهور من مذاهب العلماء[1].

والبحيرة: من بحرت أذن الناقة أو الشاة شق أذنها بنصفين وكانت العرب تفعل بهما ذلك إذا نتجتا عشرة أبطن فلا ينتفع منهما بلبن ولا ظهر وتترك البحيرة ترعى وترد الماء ويحرم لحمها على النساء ويحلل للرجال فنهى الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ**﴾ [المائدة: ١٠٣].

السائبة: الناقة التي كانت تسيب في الجاهلية لنذر ونحوه[2] وقد قيل هي أم البحيرة حيث كانت الناقة إذا ولدت عشرة أبطن كلهن إناث سيبت فلم تركب و لم يشرب لبنها إلا ولدها أو الضيف حتى تموت فإذا ماتت أكلها الرجال والنساء جميعاً وبحرت أذن بنتها الأخيرة فتسمى البحيرة وهي بمنزلة أمها في أنها سائبة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، للإمام أبي الفداء عماد الدين الدمشقي-(ج٢/ص١٩١).

(٢) مختار الصحاح، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر الرازي، ص٢٨٥.

الوصيلة: في الشاة خاصة إذا ولدت أنثى فهي لهم وإذا ولدت ذكراً جعلوه لآلهتهم فإذا ولدت ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم والوصيلة التي كانت في الجاهلية الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن وهي من الشاة التي ولدت سبعة أبطن عناقين عناقين[1] فإن ولدت في السابع عناقاً قيل وصلت أخاها فلا يشرب لبن الأم إلا الرجال دون النساء وتجري مجرى السائبة.

الحامي: الفحل من الإبل يضرب الضراب المعدود قيل عشرة أبطن فإذا بلغ ذلك قالوا: هذا حام أي حمى ظهره فيترك فلا ينتفع منه بشيء ولا يمنع من ماء ولا مرعى.

الدم:

سنجعل مدخلنا للآية الكريمة الدم ليتسنى للقارئ الوقوف عليها وبشكلٍ أفضل ذلك بأنَّ الأنعام التي نقتات عليها ما هي في أجهزتها وأعضائها إلا كالإنسان في أعضائه وأجهزته فيها دماء، والدم سائل يحمل الغذاء وفضلات الاحتراق مِن وإلى أعضاء وأجهزة الجسم المختلفة فالدم الأحمر القانت الذي يأتي عبر الشريان الأبهر يغذي جميع خلايا الجسم،وفي الخلية تحدث عملية الاحتراق التي ينشأ مِن خلالها طاقة الجسد وعملية الاحتراق هذه لها فضلات ومنها حمض اللبن الناتج عن احتراق المواد السكرية في الخلية والذي يطرح في الدم ليصفَّى عن طريق الكليتين[2] ممَّا يعطي لدماء الأوردة اللون المائل إلى الزرقة ومن الفضلات الأخرى الناتجة عن عملية الاحتراق في الخلية غاز ثاني أكسيد الكربون القاتل الذي يصفَّى عن طريق الرئتين ويطرح من خلال عملية الشهيق والزفير وكذلك فإن لجهاز التعرُّق دور كبير بطرح بعض مخلفات هذا الاحتراق عن طريق التعرق كما يحمل الدم بعض السموم التي ينقلها من الأمعاء إلى الكبد ليصار إلى تعديلها[3].

---

(١) مختار الصحاح، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر الرازي، ص٦٤٠.

(٢) مع الطب في القرآن الكريم، د. عبد الحميد دياب د أحمد قرقوز، ص١٣٥.

(٣) روائع الطب الإسلامي، د محمد نزار الدقر-(ج٣/ص٣٦).

وبصيغة نهائية فإنَّ الدم يصفَّى من خلال الرئتين والكليتين وعبر غدد التعرق المنتشرة على سطح الجلد.

والخلاصة في ما تقدم بأنَّ الدم يعتبر مجمع لفضلات الجسم وذلك قبل أنْ يصفَّى فهو يحمل كل ما من شأنه أن يؤذي الجسم في حال التغذي عليه لذلك يعتبر الدم أكبر وسط لنمو الجراثيم[1] حتى إنَّ مزارع الجراثيم في المخابر العلمية تستخدمه أثناء التجارب هذا بالإضافة إلى احتوائه على مواد مهيجة للحساسية ترفع من ضغط الدم، كما أنه لا يحتوي على أي مادة غذائية بل إنه عسر الهضم جداً إما أن يتقيأه الإنسان أو يخرج مع البراز دون هضم على هيئة مادة سوداء أي أنَّ الدم عنصر فقير جداً من الناحية الغذائية وإنَّ القدر البروتيني الذي يحويه يأتي مختلطاً بعناصر شديدة السمية ويأتي في مقدمتها غاز ثاني أكسيد الكربون وهو غاز خانق قاتل وهذا ما يفسر تحريم المنخنقة من الحيوان والتي تنفق من خلال تراكم هذا الغاز في دمائها مما يجعل لونها مائل إلى الأزرق وذلك ناتج عن عدم طرح فضلات الدم بما فيها غاز ثاني أكسيد الكربون.

الدم لا يصلح غذاءً:

إن احتواء الدم على بروتينات قابلة للهضم كالألبومين والغلوبولين والفبرينوجين هو مقدار ضئيل جداً وكذلك هو الأمر بالنسبة للدسم المتواجد في الدم، في حين يحتوي الدم على نسبة كبيرة من خضاب الدم وهي بروتينات معقدة عسرة الهضم ثم إن الدم إذا تخثر فإن هضمه يصبح أشد عسرة وذلك نتيجة لتحول الفيبرينوجين إلى الليفين وهو من أسوء البروتينات وأعسرها هضماً وأما تناول الدم للحصول على عنصر الحديد المتواجد فيه فإن تواجد هذا العنصر يكون بشكل حديد عضوي وهذا بدوره أبطأ وأقل امتصاصاً من الحديد اللاعضوي المتواجد في مصادر غذائية أخرى كما أنه يعوض عن العناصر الغذائية المتواجدة في الدم والمختلطة

---

(١) الإعجاز العلمي في أسرار القرآن الكريم والسنة النبوية، محمد حسنى يوسف، ج/١ ص/١٢٤.

بعناصر سمية أخرى بتناول الكبد والطحال الذين لهما فوائد لا يشك بها.

وهكذا فإن الدم لا يعتبر بشكل من الأشكال في تعداد الأغذية الصالحة للاستخدام البشري بالإضافة لاحتوائه على السموم وفضلات الاستقلاب الضارة بأعضاء الجسم المختلفة وعلى كونه وسطاً مناسباً لتكاثر الجراثيم بعد خروجه من أوعيته الحيوانية أو الإنسانية[1] فعند تناول كمية كبيرة من الدم فإن مركباته تمتص ويرتفع مقدارها في الجسم بالإضافة إلى امتصاص المركبات التي قد تنتج عن هضم الدم نفسه، وبالتالي فإن ذلك يؤدي إلى ارتفاع نسبة البولة في الدم والتي بدورها يمكن أن تؤدي إلى اعتلال دماغي يمكن أن ينتهي بالسبات[2] وهذه الحالة تشبه ما يحدث في حالة الترف الهضمي العلوي حيث يلجأ الأطباء عندها إلى امتصاص الدم المتراكم في المعدة والأمعاء لتخليص الجسم منه وبشكل أو بأخر فإن علماء الصحة لم يعتبروا الدم من الأغذية الصالحة للاستهلاك البشري وباختصار نقول أن الدم.

يحمل سموماً وفضلات وهو وسط مثالي لنمو الجراثيم بشتى أشكالها وبالتالي فهو لا يصلح لأن يكون غذاءً بشرياً.

وهنا نقف على إحدى أسباب تحريم الميتة بكافة أصنافها المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة، والتي سنأتي على ذكرها وذلك لاحتوائها جميعاً على الدم الذي لم يصفى بعد ففي لحم الميتة تتكاثر الجراثيم وتفرز سمومها الفتاكة ويساعد على سرعة تكاثرها وجود الدم الذي لم يصفى بالذبح عندها تحدث عمليات التعفن والتحلل سريعاً.

الميتة:

الميتة: إمَّا أنْ تكون منخنقة أو موقوذة أو متردية أو نطيحة أو ما أكل السبع وإما أن تكون الدابة قد ماتت هرماً أو لإصابتها بمرض ما.

والميتة: باصطلاح الفقهاء هي ما فارقتها الحياة من غير ذكاة شرعية.

---

(١) عن كتاب روائع الطب الإسلامي، د محمد نزار الدقر، ص٣٨ بتصرف.

(٢) الإعجاز في التذكية الشرعية، هادية محمد كمال المصري، ص٦٨.

والميتة محرمة شرعاً لأنها مما لم يذكر اسم الله عليها وعدا عن كونهـــا لم تـــذكَّ ذكاة شرعية واحتوائها على الدماء التي ما زالت في أوعيتها تعتبر لحوم الميتة لحومـــاً فاسدة وذلك بسبب تعرض الميتة لتغيرات عديدة فبعد فترة من الزمن والتي لا تتجاوز الساعة تترسب الدماء إلى الأجزاء المنخفضة من بدن الميتة مشكلة ما يسمى بالزرقة الرُّمِّيّة وبعد فترة زمنية تتراوح بين ٣ إلى ٤ ساعات تتصلب عضلات البدن ويظهر ما يعرف بالتيبس الرُّمّ وبعدها تعود القلوية للعضلات وتغزو الجـــراثيم الهوائيـــة ثم اللاهوائية الجثة فتؤدي إلى تعفنها ومن ثم يأتي دور الجراثيم التي تفسخ الجثة وينـــتج عنها رائحة كريهة وينتج أيضاً غازات تؤدي إلى انتفاخها بعد عدة ساعات وإضافة إلى ذلك فإن انحباس الدم يؤدي إلى تسرع التعفن ويزيد من تكاثر الجراثيم[1] والـــتي بدوره تنفذ إلى الميتة من الأمعاء والفتحات الطبيعية والجلد، وتعتبر الأمعـــاء المنفـــذ الأكثر أهمية من غيره لأنه مفعم بالجراثيم وهذه الجراثيم لا تكون ممرضة زمن الحياة بسبب مقاومة الجسم الحي لها أما بعد الموت فإنها تنمو وتحل خمائرهـــا الأنـــسجة وتدخل الجدر المعائية ومنها تنفذ إلى الأوعية اللمفاوية والدموية[2].

المنخنقة:

والمنخنقة: هي التي تموت خنقاً أو التي تختنق فتموت أو التي تموت في خناقها[3] وقد كان أهل الجاهلية يخنقون الدابة فإذا ماتت أكلوها والمنخنقة هي أحد الأصناف التي جاء ذكرها في سياق الآية الكريمة والتي حرم علينا أن نقتات بها ويلتحق بها كل ما مات بكتم النفس أو الغرق أو الردم أو باستنشاق الغازات السامة فهـــي جميعـــاً تندرج تحت ما مات خنقاً وهي كلها حرام وقد يكون الـــسبب الأولى في تحريمهـــا

---

(١) عن كتاب مع الطب في القرآن الكريم، د. عبد الحميد دیـــاب د. أحمـــد قرقـــوز، ص١٣٤ بتصرف.

(٢) في رحاب الطب النبوي والعلم الحديث، محمود طلوزي، ص٨٥.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الإمام أبي جعفر محمد بـــن جريـــر الطـــبري- (ج٦/ص٦٨).

وجود الدم الذي لم يصفى بالذبح وفي الدم كل عوامل المرض والتفسخ والتصلب وعوامل الانتفاخ.

ومن علامات الدابة المنخنقة احتقان الملتحمة في عينها ووجود نزوف تحتها وبروز العين وزرقة في الشفتين ووجود احتقان رئوي وزبد رغوي فيها وكذلك احتقان معظم الأحشاء[1] والاختناق يزيد في سرعة تعفن الجثة[2].

الموقوذة:

والموقوذة: هي التي تضرب بالخشب أو بالحجر حتى تموت ويقال: وقذه يقذه وقذاً إذا ضربه حتى أشرف على الهلاك وعن قتادة في قوله والموقوذة: كان أهل الجاهلية يضربونها بالعصا حتى إذا ماتت أكلوها[3].

والدابة التي تموت ضرباً تصاب بالموت البطيء كالمنخنقة تماماً وبالإضافة إلى الموت البطيء فإن الضرب يتسبب في تمزيق الأوعية الدموية في مكان الضرب كما يمزق الخلايا فيه فيختلط تركيب الدماء مع تركيب الخلايا مما يتسبب في حدوث تفاعلات للمواد السامة[4] وهذا ما يعلل وجود التورم مكان الضرب الذي يكون ناتجاً عن التفاعلات الكيميائية الضارة التي أصبحت مولدات لمواد سامة إلى جانب التسلخ الذي يحدثه الضرب وبهذا تصبح الموقوذة مستودعاً للجراثيم الضارة وخطراً على صحة الإنسان الذي يقتات عليها.

المتردية:

المتردية: هي التي تتردى من الأعلى إلى الأسفل فتموت سواء كان ذلك من جبل أو في بئر ونحوه وهي متفعلة من الردى وهو الهلاك وسواء تردت بنفسها

---

(١) روائع الطب الإسلامي، د محمد نزار الدقر-(ج٣/ص٣١).

(٢) في رحاب الطب النبوي والعلم الحديث، محمود طلوزي، ص٨٦.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري-(ج٦/ص٦٩).

(٤) الإعجاز في التذكية الشرعية، هادية محمد كمال المصري، ص٧٢.

أو ردها غيرها[1].

والدابة التي تموت بهذه الطريقة تكون أشبه بالموقوذة التي تموت ضرباً، وذلك بسبب التمزق الذي يحدث مكان السقوط حيث تبدأ الدابة بالموت البطيء، وحتى إن لم تمت الدابة موتاً بطيئاً فإن الجراثيم سرعان ما تغزو الجسم وهذا ما يعلل سرعة تعفن الدابة بعد موتها وهذا دليل على كثرة ما في بدنها من جراثيم.

النطيحة:

النطيحة: وهي الشاة تنطحها أخرى أو غير ذلك فتموت قبل أن تذكَّى[2].

وهذا النوع من الميتة أشبه بموت المتردية ولكنه أخطر ذلك، لأن الحيوان عندما ينطح فغالباً ما يكون النطح في منطقة البطن وبالأخص في الأمعاء وبالتالي تنتقل الجراثيم إلى الدماء في أمعاء الحيوان عن طريق القرن الذي يكون ملوثاً وبالتالي تجري الدماء في بدن الحيوان المنطوح ثم يموت عندها يشكل تناول لحم الحيوان في هذه الحالة خطراً على صحة الإنسان.

ما أكل السبع:

وموت الدابة في هذه الحالة أشبه بالحالة السابقة حيث تنتقل الجراثيم عن طريق مخالب الحيوان المفترس إلى جسم الحيوان المُفتَرَس وهذه الجراثيم تنتقل بدورها إلى سائر الجسد عن طريق الدم.

وبشكل مختصر نقول إن من أحدى أسباب تحريم ما تقدم ذكره هو تواجد الدم في البدن وهذا بدوره كما ذكرنا له مخاطر كثيرة على صحة الإنسان.

هذا وقد يذهب البعض بالقول بأنَّ لحم الميتة قد يعالج من خلال عمليات الطبخ وغيرها من الأساليب، لكن الجراثيم تتفاوت في آثارها وأخطارها وقدرتها

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي-(ج٦/ص٤٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي-(ج٦/ص٤٩).

على تحمل الحرارة، ولذلك فإنَّ منها ما قد يموت بالطبخ ومنا ما قد لا يموت إلا أنَّ معظم السموم لا يقل مفعولها بطبخ لحوم الميتة فالذي يأكل لحمها إنما يأكل لحماً مسموماً وخير دليل على ذلك ما بات يعرف بجنون البقر.

جنون البقر: الاعتلال الدماغي.

في العقد المنصرم ذهب مربِّين الأبقار في بريطانيا إلى طحن لحم الجيف بعد معالجته وتجفيفه. وبعد ذلك وضع هذا الطحين في العلف البقري لاستخدامه كمادة غذائية وما هي إلا أعوام قليلة إلا كانت النتائج بما لا يتخيله العقل البشري ففي عام ١٩٩٧ أظهرت لنا هذا التجارب حكمة علمية أخرى من تحريم أكل لحم الميتة مما يضيف إلى الآيات التي أنزلت في تحريمه إعجازاً فوق إعجاز ذلك إنَّ هذه التجارب أظهرت الضرر المترتب عن الخروج عن المنهج الإلهي من بابين الأول إطعام البقر طحين لحم الجيف وهو حيوانٌ نباتيٌ الثاني استخدام الميتة كغذاء.

وحدث أنْ سبب أكل الأبقار لتلك المادة المصنعة من الجيف مرضاً بالمخ تجلى بأعراضٍ عصبية أطلق عليها اسم جنون البقر وأدى ذلك بالتالي إلى إصابة الناس بعدد من الأمراض من جراء تناولهم للحوم تلك الأبقار المصابة بالمرض حتى ذهب بعض العلماء للقول بأنَّ جنون البقر من جنون البشر.

كما واكتشف حديثاً أنَّ سبب حدوث المرض ليس بسبب الجراثيم والسموم ولكنه بسبب تغير كيميائي حدث في لحم الميتة نتجت عنه مواد عضوية في اللحم كان لها أثراً أكبر من تأثير السموم وقد تبين بأن هذه المواد تسبب مرضاً خطيراً بالخلايا العصبية في الجهاز المركزي وتدمرها فيصير المخ كالأسفنج وأعراض هذا المرض في البقرة المشي الثقيل ورفع القوائم وفرط الإدراك الحسي وفقد الشهية وعدم التحكم العصبي واقتران هذا كله بسلوك عدواني ثم الموت وأما أعراض هذا المرض على الإنسان فهي فقدان الذاكرة وفقد التوازن وفقد التناسق العضلي والعمى وفقد النطق ثم الوفاة خلال فترة زمنية لا تقل عن الثلاثة أشهر ولا تزيد عن عام من بداية ظهور الأعراض.

وما يحدث للبقر الذي يأكل لحم الميتة يحدث للإنسان الذي يأكل لحم الميتة ولكن تمر سنوات طويلة قبل ظهور أعراض هذا المرض في الإنسان لذلك لم يلاحظ البشر ذلك المرض من قبل وما عرفوا من أسراره شيئاً ولهذا السبب اضطرت بريطانيا وهي من أكبر الدول التي تربي الأبقار إلى إحراق ١١ مليون بقرة بقيمة مالية قدرت بـ٣٣ مليار جنيه إسترليني[١].

وقد أظهرت تقارير علمية أخرى بأنَّ أخطر ما في لحوم الميتة يكمن في شحومها ولحم الميتة مختلط بالدهن وخصوصاً اللحم السمين فإنَّ معظمه شحمٌ.

والسنة النبوية قد أشارت إلى أنَّ الخطر الأكبر يكمن في شحوم الميتة وأنه لا خطر بالانتفاع من جلودها لأنها مما لا يؤكل فقد جاء في صحيح البخاري ومسلم عن ابن عباس أنَّ الرسول ﷺ مرَّ بشاة ميتة فقال: «أنما حرم أكلها»[٢].

وروى الشيخان عن جابر ﷺ أنَّ الرسول ﷺ قال: «لا يذاب شحم الميتة ولا يباع ودكه»[٣] والودك دسم اللحم ودهنه.

وجاء في الصحيح عن عمر ﷺ أنَّ رسول ﷺ قال: «قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها وباعوها»[٤].

وحرمت عليهم الشحوم أي أكلها وإذا كان التحريم لليهود في أكل الشحوم في البقر والغنم فإنَّ في ذلك إشارة للمسلمين بأنَّ في الشحوم سبباً ينبغي اجتنابه وقد حرمت عليهم الميتة.

التذكية الشرعية:

كما أسلفنا فإنَّ الجراثيم الضارة تتكاثر في لحم الميتة وتفرز سمومها الفتاكة ويساعد على سرعة تكاثر الجراثيم وجود الدم الذي لم يصفَّى بالذبح لذلك حرم

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ا د محمد راتب النابلسي، ص٣٠١.

(٢) صحيح البخاري، ك/ الزكاة بـ/ الصدقة على موالي أزواج رسول النبي.

(٣) صحيح البخاري، ك/ البيوع بـ/ لا يذاب شحم الميتة ولا يباع ودكه.

(٤) صحيح البخاري، ك/ البيوع بـ/ لا يذاب شحم الميتة ولا يباع ودكه.

الشرع الإسلامي أكل الميتة بكافة أصنافها بل إنَّ السنة النبوية بينة الطريقة المثلة في الذبح وهذا ما جاء في صحيح البخاري فعن عطاء «لا ذبح ولا منحر إلا في المذبح والمنحر قلت أيجزي ما يذبح أن أنحره قال نعم ذَكَرَ الله ذبح البقرة فإن ذبحت شيئاً ينحر جاز والنحر أحب إلىَّ والذبح قطع الأوداج قلت فيخلف الأوداج حتى يقطع النخاع قال لا إخال وأخبرني نافع أنَّ ابن عمر نهى عن النخع يقول يقطع ما دون العظم ثم يدع حتى تموت وقوله تعالى (وإذ قال موسى إنَّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) وقال (فذبحوها وما كادوا يفعلون) وقال سعيد عن ابن عباس الذكاة في الحلق واللبة وقال ابن عمر وابن عباس إذا قطع الرأس فلا بأس»[1] قطع الأوداج العروق، واللبة موضع القلادة من الصدر وهي المنحر.

ونقف في الحديث على أمرين:

إحداهما: قطع الأوداج أي الذبح وهذا لإخراج الدم برمته من الذبيحة وكما أسلفنا بأنَّ الميتة بأصنافها حرمت في بعض جوانبها بسبب وجود الدم فيها بل وإنَّ الدم أولى في التحريم وذلك لأنَّ من أسباب تحريم الميتة هو الدم الفاسد لما يحمله من أضرارٍ بسبب تراكم الفضلات فيه نتيجة لتعطل أعضاء وأجهزة الجسم التي كانت تشرف على تنقيته.

ثانيهما: إبقاء الرأس معلق في الجسد أثناء الذبح وهنا نقف على أحد أوجه الإعجاز في قوله ﷺ.

فالقلب مضخة مزدوجة مهمته الأساسية ضخ الدم الذي يحمل الغذاء إلى كل الخلايا في الجسم، ولكن أثناء الذبح تنحسر مهمته بإخراج الدم بكامله خارج الجسم والمعروف أيضاً بأنَّ هذه المضخة تنقبض وتنبسط في الدقيقة ثمانين مرة ولكن يصل النبض في الجهد الطارئ إلى مئة وثمانين نبضة، وذلك من خلال الأوامر التي يتلقاها من الدماغ وعليه فقد نهى ﷺ عن قطع الرأس أثناء الذبح ليبقى القلب متصلاً

(١) صحيح البخاري، ك/ الذبائح والصيد بـ/ النحر والذبح.

بالدماغ وبالتالي يبقى القلب متصلاً بالدماغ لتلقي الأمر الاستثنائي برفع عدد الضربات أثناء الذبح من ثمانين ضربة إلى مئة وثمانين[1] ضربة وهذه الضربات كافية لإخراج الدم بكامله خارج جسم الذبيحة وهذا ما يسمى بالذبح على الطريقة الإسلامية لذا فإنَّ الدواب التي تذبح وفقاً للشريعة السَّمحاء تكون لحومها ذات لون وردي ناتج عن خروج معظم الدم.

ونتيجة لما تقدم نقول بأنَّ ما جاء به محمد ﷺ ما كان من علمه ولا من اجتهاده ولكن ﴿**إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾ [النجم: ٥].

فقضية إبقاء الرأس متصلاً بالجسد لم يكتشف الحكمة منها إلا في وقتنا الراهن نتيجة للتقدم العلمي فطالما هناك اتصال بين الرأس والجسد بقي هذا الأمر الاستثنائي قائماً بين الدماغ والقلب برفع نبضات الأخير من ثمانين ضربة إلى مئةٍ وثمانين عندئذٍ يمكن للقلب أنْ يضخ كامل الدم إلى خارج الجسد ومن خلال هذا الاتصال يستمر تقلص الألياف العضلية وحتى بعد توقف القلب عن النبض بحيث يتم اعتصار الدم من الشعيرات[2] وهذه التذكية التي أمر بها سيد الخلق محمدٌ ﷺ وبمجرد خروج الدم من أوعيته أصبح فاسداً وأصبح دماً مسفوحاً وهو محرمٌ شرعاً لأسباب بيناها سابقاً.

فأين من يدعون الحضارة والتقدم والعلم عندما يصعقون الحيوانات ولا يذبحونها؟

أين هم من تعاليم سيد الخلق؟

أين من يدعون الحضارة والتقدم والعلم؟

أين المنظمات الإنسانية لتقتدي بسيد الخلق في قوله ﷺ في ذبح البهائم المروي في سنن ابن ماجه عن عبد الله بن عمر القائل: «أمر رسول الله ﷺ بحدِّ الشِّفار وأنْ

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الآفاق، ا د محمد راتب النابلسي، ص٣٣٥.

(٢) الإعجاز العلمي في أسرار القرآن الكريم والسنة النبوية، محمد حسنى يوسف، ج/٢ص/٩٦.

توارى عن البهائم وقال إذا ذبح أحدكم فليجهز»؟[1].

أين جمعيات الرفق بالحيوان من قوله ﷺ «وأن توارى عن البهائم»؟.

أين المسلمين من بعضهم البعض أين من أصبحوا فرقاً وشيعاً من تعاليم سيد الرحمة أين من قال بهم سيد الخلق ﷺ «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»[2]؟.

أين هم من تعاليم سيد الرحمة ﷺ ألا تعني لهم هذه العبارة في البهائم «وأن توارى عن البهائم» شيئاً؟.

أم صدق قول الشافعي رضي الله عنه فينا:

نعيب زماننا والعيب فينا ... وما لزماننا عيبٌ سوانا

ونهجو ذا الزمان بغير ذنبٍ ... ولو نطق الزمان لنا هجانا

وليس يأكل الذئب لحم ذئبٍ ... ويأكل بعضنا بعضاً عيانا

لبسنا للخداع مسوح ضأنٍ ... فويلٌ للمغير إذا أتانا

ديانتنا التصنع والترائي ... فنحن به نخادع من يرانا[3]

أين الجميع من قوله ﷺ في سنن الترمذي والمروي عن شدادٍ بن أوس القائل «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنَّ الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلَةَ وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم إذا ذبح شفرته وليرح ذبيحته»[4]؟.

هذه تعاليمه ﷺ في الحيوان فأين نحن من تعاليمه في الإنسان؟

❁ ❁ ❁

---

(١) سنن ابن ماجه، ك/ الذبائح بـ/ إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح.

(٢) صحيح البخاري، ك/ الأدب بـ/ رحمة الناس والبهائم.

(٣) ديوان الشافعي، للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ص٥٥.

(٤) سنن الترمذي، ك/ الديات عن رسول الله بـ/ ما جاء في النهي عن المثلة.

ما أُهلّ لغير الله به :

والمراد من قوله تعالى في هذا الموضع أي ما ذبح فذكر عليه غير اسم الله فهو حرام، بل وتعد هذه الجريمة من جرائم الاعتداء على العقيدة ذلك لأن الله أوجب أن تذبح الأنعام من الإبل والبقر والغنم وغيرها من أنواع الحيوان والطير المباح أكله على اسمه العظيم، فمتى عدل عن ذلك وذكر اسم غيره من صنم أو شيخ أو ولي أو زعيم أو غير ذلك من سائر المخلوقات فإنها حرام بالإجماع، وبالتالي فإن هذا الطعام حرام لا يؤكل ذلك لان التعظيم لا يجوز إلا للذات الإلهية، بل يجب أن يكون الذبح مبتدءاً باسم الله والتكبير وذلك بأن يقول الذابح بسم الله والله أكبر.

وقد اختلف العلماء في ذبيحة المسلم التي لم يذكر اسم الله عليها وهو الذبح المتروك التسمية عليه إما عمداً أو نسياناً فهو مباح لدى جماعة من علماء المسلمين كالشافعية[1]، وذلك لما روي عن عائشة رضي الله عنها أن قوماً قالوا: يا رسول الله إن ها هنا أقواماً حديثٌ عهدهم بشرك يأتونا بلحمان لا ندري يذكرون اسم الله عليها أم لا قال: «اذكروا أنتم اسم الله وكلوا»[2].

❁ ❁ ❁

(١) المحرمات وآثارها السيئة على المجتمع، أ.د. وهبة الزحيلي.

(٢) صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل-(ج٤/ص٢٥٣٠/ح٦٩٦٣).

الحكمة في الأسماك:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّـهِ...﴾ [البقرة: ١٧٣].

وجاء في الحديث الشريف في سنن ابن ماجه عن النبي ﷺ: «أحلت لكم ميتتان ودمان فأمَّا الميتتان فالحوت والجراد وأمَّا الدمان فالكبد والطحال»[1].

والظاهر في الحديث النبوي الشريف أنَّ سيد الخلق استثنى من الدم والميتة بأصنافها المذكورة في الآية ميتتان ودمان.

وقد بينا سابقاً أنَّ من أسباب تحريم الميتة هو الدم، وقلنا بأنَّ الدم بالتحريم أولى ذلك لأنَّ الدابة الميتة التي تحتجز الدم في أوعيتها الدموية تتحلل وتخرج منه أحماض تؤدي إلى تصلب اللحم وتعفنه وبعد ساعات قليلة تتمكن الجراثيم من إفساد النُّسُج اللحمية التي بقي الدم فيها، وهذا ينتج عنه مركبات كريهة الرائح سامة التأثير.

وكنا قد بينا أيضاً أنَّ المقصود من التذكية الشرعية (هو إخراج الدم من جسم الحيوان) وهذا لا يتم إلا من خلال قطع الوريد الرئيسي وذكرنا أيضاً بأنه من الجدير أنْ لا ينفصل الرأس عن الجسد لتستمر العلاقة بين المخ والقلب وإنْ لم يكن الذبح على هذه الطريقة فإنَّ الدم سيبقى في العروق ويسري خلاله الحمض السام وهذا يؤدي إلى إلحاق الضرر بمن يقتات على هذه الأصناف من اللحوم.

وبينا أيضاً الحكمة من تحريم الدم المسفوح ذلك لأنَّ الدم يعتبر المناخ المناسب والأفضل لتكاثر الجراثيم الضارة بجسم الإنسان.

فما هي الحكمة من وراء استثناء سيد الخلق ﷺ للسمك من بين الميتة المذكورة في الآية الكريمة؟ والذي أقرَّ ذلك في زمنه وهذا ما يعرف في السنة النبوية بحديث العنبر أو جيش الخبط.

---

(١) سنن ابن ماجه، ك/ الأطعمة بـ/ الكبد والطحال.

ولعلَّ المادة العلمية تخبرنا بذلك حيث تتصف الأسماك دون الحيوانات الأخرى أثناء موتها بخاصية وهي أنّها لمجرد اصطيادها تتجمع دمائها في غلاصمها[1] وكأنها ذبحت لذلك فإنَّ الصيادين يميّزون الأسماك التي اصطيدت حديثاً من التي اصطيدت قديماً من خلال هذه الخاصية، في حين أنَّ الحيوانات الأخرى عند موتها تبقى الدماء منتشرة في بدنها، وبالتالي نقف على حقيقة تؤكد بأنَّ من أسباب تحريم الميتة هي الدماء.

قيمة السمك الغذائية:

السمك من الأغذية الرئيسية التي تمد العقل الإنساني بما يحتاجه من عناصر أساسية، فهو بحق غذاء العقل، وقد ذكر في القرآن الكريم في أكثر من موضع؛ كقوله تعالى في سورة النحل وهو يعدد نعمه على الناس: ﴿**وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً...**﴾ [النحل: ١٤].

كما قال جل وعلا في سورة فاطر: ﴿**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً...**﴾ [فاطر: ١٢].

كما قال جل وعلا في سورة المائدة: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ...**﴾ [المائدة: ٩٦].

وللسمك قيمة غذائية عالية جداً فهو يحتوي على نسبة كبيرة من البروتينات ذات القيمة الغذائية العالية الغنية بالأحماض الأمينية، التي تدخل في تكوين العضلات والأنسجة.

ويحتوي أيضاً على نسبة عالية من عنصر الفسفور الذي لا غنى للمخ عنه، لذا جاء الاعتقاد بأنَّ السمك هو الغذاء الأمثل للمخ، فنقص عنصر الفسفور يسبب إجهاداً ذهنياً وعدم القدرة على التركيز والتفكير وهو غني أيضاً بعنصر الكالسيوم

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، أ.د. محمد راتب النابلسي، ص٣٣٨.

الذي يعد من أهم المقومات الرئيسية في بناء أنسجة الأطفال وعظامهم، وكـــذلك لتعويض المرأة الحامل عما تفقده أثناء الحمل من هذا العنصر الهام، لذا تنصح الحوامل بالإكثار من أكل السمك. ومن المميزات التي يتميز بها السمك أيضاً بأنه يحتوي على نسبة قليلة جدا من الدهون لذا نجده سهل الهضم، كما وأنه يحتوي على نسبة عالية من فيتامين أ[1] ود وهو غني باليود الذي يعد من أهم العناصر لبناء الجسم.

❁ ❁ ❁

(١) روائع الطب الإسلامي، د محمد نزار الدقر، ج/١ ص١٦٦.

الإعجاز العلمي في ميتة الجراد:

روي في الصحيحين عن عبد الله بن أبي أوفى قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد»[1].

وفي سنن ابن ماجه عن النبي ﷺ قال: «أحلت لكم ميتتان ودمان فأما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال»[2].

وقال ابن القيم في الطب النبوي في لحم الجراد: هو حار يابس قليل الغذاء وإدامة أكله تورث الهزال وإذا تُبُخِّر به نفع من تقطير البول وعسره وخصوصاً للنساء، ويتبخر به للبواسير وسمائُه التي لا أجنحة لها تشوى وتؤكل للسع العقرب وضارٌ لأصحاب الصرع رديء الخلط.

وفي إباحة ميته بلا سبب قولان: فالجمهور على حلِّه وحرَّمه مالك ولا خلاف في إباحة ميته إذا مات بسبب[3].

ولعل استثناء الجراد في الأحاديث النبوية من الميتة التي حرمها الله على هذه الأمة في كتابه الكريم لخاصية يمتاز بها، سنأتي عل تبيانها ولعل هذا السبب هو الذي يجعل من الجراد طاهراً.

والسؤال لماذا انفرد الجراد من دون سائر المخلوقات بالأكل دون تذكية؟ ولماذا جاز أكله وهو ميت؟ وهل هناك سر وراء ذلك في جعله حلالاً لآكله؟.

كنا قد بينا من قبل لماذا حرم الله علينا أكل الميتة؟ ولماذا أمرنا بتذكية الحيوان أو الطير قبل أكله مع حله لنا؟ فما هي الحكمة من أن يكون للجراد هذه الميزة وذلك الاستثناء عن غيره؟

---

(١) صحيح مسلم، ك/ الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان بـ/ إباحة الجراد.

(٢) سنن ابن ماجه، ك/ الأطعمة بـ/ الكبد والطحال.

(٣) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، ص٤٠٢.

الجراد في اللغة:

الجرادة تقع على الذكر والأنثى قال الجوهري: وليس الجرادُ بذكر للجرادة وإنما هو اسم للجنس كالبقر والبقرة والتمر والتمرة والحمام والحمامة وما أشبه ذلك، فحقُّ مذكره أن لا يكون مؤنّثُه من لفظه لئلا يلتبس الواحدُ المذكرُ بالجمع؛ قال أبو عبيد: قيل هو سِرْوَةٌ ثم دبىً ثم غَوْغاءُ ثم خَيْفانٌ ثم كُتْفانُ ثم جَراد، قال أبو حنيفة: قال الأَصمعي إذا اصفَرَّت الذكورُ واسْوَدَّت الإِناثُ ذهب عنه الأَسماء إلا الجرادَ يعني أَنه اسم لا يفارقها؛ وذهب أبو عبيد في الجراد إلى أَنه آخر أَسمائه كما تقدم. و جُردت الأَرضُ، فهي م-جرودةٌ إذا أَكل ال-جرادُ نَبْتَها. وجَرَدَ الجرادُ الأَرضَ يَجْرُدُها جَرْداً: احْتَنَكَ ما عليها من النبات فلم يُبق منه شيئاً، وقيل: إنما سمّي جراداً بذلك[1].

الجراد في الشريعة الإسلامية:

من جند الله على الأرض أرسله على فرعون وقومه عقاباً لهم فقال تعالى: ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ**﴾ [الأعراف: ١٣٣].

فهو إذن عقاب وابتلاء يسلطه الله سبحانه وتعالى على من يشاء من عباده.

---

(١) لسان العرب، لابن المنظور، ج/٣ ص١١٥.

وذكر الجراد أيضاً في كتاب الله الكريم في سياق وصف يوم الحشر وحال الناس حين يخرجون فقال عز من قائل: ﴿**خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ**﴾ [القمر: ٧].

أي كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب إجابة للداعي جراد منتشر في الآفاق، منتشر في كثرتهم وتفرقهم في كل جهة والجراد مثل في الكثرة والتموج، حتى أنه ليعبر عن كثرة الشيء بالجراد.

وقد جاء في السنة النبوية عن سيد الخلق ﷺ: «أحلت لكم ميتتان ودمان فأما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال»(١).

وكما أسلفنا فقد روي في الصحيحين عن عبد الله بن أبي أوفى قال: «غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد»(٢).

الجراد من الناحية الفسيولوجية:

يتكون جسم الجرادة من رأس وصدر وبطن، أما الرأس فيغلفه جلُيد سميك متصلب يسمى علبة الرأس، ويوجد به العيون المركبة والعيون البسيطة وقرنا الاستشعار (الزباني) وأجزاء الفم القاضمة، وتتكون علبة الرأس من مساحات تفصلها عن بعضها البعض حزوز، وهي الجبة والدرقة والجداريّات والوجنة، وأما الصدر فيتصل بالرأس عن طريق العنق، ويتكون من ثلاث عقل أو شدف، تحمل كل منها زوجاً من الأرجل المجهرية للمشي والوثب العالي، أما الشدفة الصدرية الثانية

(١) سنن ابن ماجه، ك/ الأطعمة بـ/ الكبد والطحال.

(٢) صحيح مسلم، ك/ الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان بـ/ إباحة الجراد.

والشدفة الصدرية الثالثة فيحمل كل منها زوجاً من الأجنحة الغشائية الواسعة المساحة، وهي التي تتصل بالصدر عن طريق دواعم، ويتحرك الجناحان بعضلات قوية ترفرف بقوة تمكن الجراد من الطيران لمسافات طويلة تقطع خلالها مسافات شاسعة، أما دورة حياة الجراد فإنه يتكاثر في أجيال متعاقبة، وفي العادة يبدأ الجيل بوضع البيض وينتهي بقيام الإناث البوالغ بوضع البيض لإنتاج جيل جديد لاحق، ومن المعروف في الجراد أن البيض الموضوع يفقس لتخرج منه حوريات، وهي التي سماها العرب دبى وهذه تضطر للقيام بعمليات انسلا حتى تتمكن من النمو والازدياد في الحجم، والوصول إلى الشكل اليافع في حياتها، وهذه العملية العامة التي تسمى التحول.

وتكمن خطورة الجراد الصحراوي في قدرته على الترحال والقيام برحلات الهجرة والطيران التي تقطع فيها مسافات شاسعة، وكذلك اقتداره التكاثري في أجواء مختلفة حيث ينتشر في مناطق تضم أربعاً وستين دولة هي معظم دول إفريقيا حول خط الاستواء، وفي آسيا تشمل الدول شبه الجزيرة العربية وفلسطين ولبنان وسوريا وتركيا والعراق وإيران وأفغانستان وباكستان والهند وحدود ما كان يسمى الإتحاد السوفيتي المتاخمة لأفغانستان وإيران وتركيا.

طيران الجراد:

يستطيع الجراد أن يطير لمسافات بعيدة فتقطع الجرادة الواحدة مائة كيلو متر في اليوم الواحد وذلك بما لديها من قدرة عضلية تمكنها من الرفرفة بالجناحين لمدة تتراوح ما بين ست وست عشرة ساعة، وهي قدرة تساعدها على اجتياز الموانع

المائية والطبوغرافية. وبدراسة قدرة عضلات الطيران في الجراد، وجد أنها تعمل بكفاءة تفوق كفاءة عضلات الحركة في الإنسان بنحو ثماني مرات مع الأخذ في الاعتبار الفرق في الحجم فإذا علمنا هذه القدرة الهائلة على الطيران لساعات طويلة أثناء النهار، فمن أين لهذه العضلات أن تأتي بالطاقة المطلوبة لهذا النشاط؟ تأتيها هذه الطاقة من عمليات أيض المواد النشوية داخل خلايا الجسم، فإذا نفد ما لديها من مخزون النشا تبدأ في استنزاف احتياجاتها من مخزون الدهن الموجود بها، فهو الذي يمدها بالطاقة اللازمة لقطع مسافات طويلة في الطيران.

كيف يحصل الجراد على حاجته من الماء أثناء رحلة الهجرة؟

وربما أيضاً قد يخطر بالبال هذا التساؤل وهو كيف تأخذ الجرادة كفايتها من الماء وهي تطير كل هذه المسافات الشاسعة؟ ومعلوم أن كل مخلوق ذو نفس رطبة يحتاج إلى الماء؟ والجواب يأتينا من أهل الاختصاص بهذا المجال، حيث يقول الدكتور كارم السيد غنيم: يمكن للجراد المهاجر أن يقطع مسافة تبلغ آلاف الكيلومترات خلال ثلاث أسابيع وفي عام ١٩٥٦م لوحظ أن الجراد الحاج هو الأكثر قدرة على التحليق من أي نوع آخر، ولمسافات بعيدة، فلقد تمكن من عبور البحر لمسافة ٥٠٠كيلو متر للوصول إلى جزيرة Cap vert وطالما تم التساؤل حول الكيفية التي يستطيع بها الجراد قطع مسافة شاسعة من الصحراء دون ماء، والحقيقة أنه من خلال الدراسات تم التوصل إلى أن الجراد يقوم بهضم السليولوز الذي يعثر عليه في الأدغال اليابسة ويحلله إلى مادة دهنية تحتوي الهيدروجين، وعندما تدخل تلك الدهنيات في الدم، وتحصل عملية الاحتراق بواسطة الأوكسجين خلال الطيران، يتحرر ماء بمعدل (٧) ملليغرامات من كل (١٠) مليغرامات دهون، وهذا يسمى فسيولوجيا الماء الأيضي وهذه عملية تدل على المرونة الفسيولوجية لهذا النوع من الجراد، فقد واجه اختفاء الماء في الصحراء بإنتاج ما يحتاج إليه بطريقة كيميائية[1].

---

(١) المعلومات مأخوذة عن شبكة الإنترنت.

الحكمة من إباحة أكل الجراد:

لا يخفى أن المسلم لا يبحث عن العلة فيما أمره الله تعالى وشرعه له، لأن المسلم يعي أن خالقه هو مالكه وله الأمر والحكم وله المثل الأعلى والحكمة البالغة، فلا داعي لأن يشغل نفسه فيما كان زائداً عن الحاجة، غير إنه لما كان المجال الذي أكتب فيه هو الإعجاز العلمي، وهذا المجال يتطلب من المسلم أن يجمع بين النص الشرعي والحقيقة العلمية كان من المهم أن أعرج على الحكمة من التشريع ليتضح مدى أهمية الإعجاز العلمي في ثبوت النص وصحته، فيزول بذلك الشك لمن عنده شك أو تقوم به الحجة على الملاحدة والمعاندين.

والسؤال الآن هو إذا كان الدم هو سبب الأمر بالتذكية وهو من أسباب النهي عن أكل الميتة التي ماتت وفيها الدم المنهي عن أكله، السؤال هو هل أن الجراد ليس فيه دم ولذلك حل أكله؟ أم هو أمر تعبدي أمرنا به دون أن تعرف أسبابه والحكمة منه؟ كما أمر الله تعالى بني إسرائيل على لسان نبيهم أن لا يشربوا من النهر الذي ابتلاهم به اختباراً لهم وابتلاءً، قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٤٩].

ولعل العلم اليوم وبعد مرور أربعة عشر قرناً من الزمان يوضح لنا السر في ذلك فكما أسلفنا فإن من أسباب تحريم الميتة هو الدم المسؤول عن جذب الميكروبات التي تتفشى في سائر البدن، وكما يقول علماء اليوم: إنّ الدورة الدمويّة البسيطة التي يتكون منها الجراد وهي عبارة عن أنبوب رقيق أو تجويف دموي يبدأ من المخ وينتهي بالمؤخرة، يغلظ في أجزاء ظهرية تسمى جيوب تمثل القلب الغير متطور وتعتبر هذه الجيوب مخازن مؤقتة للدم، ويوجد لهذه الجيوب فتحات تمرر الدم

عبر الأنسجة، ويوجد عند بداية الجناحين تجويفين يمثلان أعضاء دموية نابضة مساعدة تقوم مقام القلب المتطور في دفع الدم في الجناحين ويتميز الجهاز الدموي في الجراد وبقية الحشرات بأنه نظام مفتوح وليس مغلق، وذلك يعني عدم احتفاظ الحشرة بالدم داخل الأوعية الدموية، لذلك ليس للجراد دم يسيل عند جرحه[1] وأما الدم القليل الموجود في الجراد فهو غير مسئول عن تبادل الأكسجين ويقتصر فقط على تبادل الغذاء بين أنسجة الجسم والجهاز الدوراني، والشكل المجاور يبين الدورة الدموية البسيطة للجراد. وربما يطرح سؤال نفسه هو إذا كان الدم هو سبب التحريم فلماذا لا تؤكل بقية الحشرات أو لماذا لم تذكر في مواطن الإباحة أسوة بالجراد؟ ولعل الجواب على هذا السؤال من وجوه:

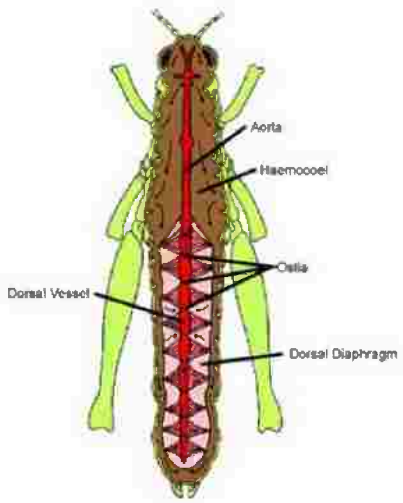

١- القرآن والسنة ليسا كتاب أكل وشرب ليذكر الله فيه كل ما حل أو حرم إنما هما منهج أمة ودستور منزّل، أنزله الله لهذا المخلوق المكرم ومنهما تستنبط الأحكام بحسب الوقائع بالقياس والجمع بين الأدلة وغير ذلك مما هو من اختصاص علماء الأمة الذين أمرنا الله بطاعتهم وسؤالهم عن أمر ديننا، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ [النساء: ٥٩].

٢- هناك الكثير من الحيوانات التي هي على شاكلة الحيوانات المباحة ولكنها محرمة منها ما عرف سبب تحريمه كالخنزير، ومنها ما لم يعرف منه إلا الأمر بالتحريم.

---

(١) في رحاب الطب النبوي والعلم الحديث، محمود طلوزي، ص٨٤.

٣- ومن الحشرات كذلك منها ما عرف سبب تحريمه ومنها ما لم يعرف ولكن منها ما يقاس على المحرم منها لتشابه العلة.

٤- ومن تلك الحشرات ما تعافها النفوس وذلك بسبب مواطن معيشتها كالتي تعيش في الأوساخ والقاذورات وفي أماكن النجاسات، ألا ترى أن الجلالة وهي البقرة التي تتبع النجاسات[١] منع الشرع من أكلها رغم أنها مباحة في الأصل إلا بعد تطهيرها مما أكلت باحتجازها في مكان طاهر مدة من الزمن.

٥- ولما كان الجراد يسبب كارثة بيئية خطيرة في الأماكن التي يجتاحها بحكم أنه مخلوق يتكاثر بشكل سريع جداً، وإن كمية الطعام التي تأكلها الجرادة يومياً تعادل وزنها وإذا علمت بأنه يوجد في الكيلو متر الواحد المربع من أسراب الجراد ما بين مئة مليون ومئتي مليون جرادة ويزيد بعض أسراب الجراد على أربعمئة كيلو متر[٢] لعلمت مدى الهلاك والدمار للمحاصيل التي يقع عليها فكان من حكمة الخالق سبحانه أن أباح أكلها لخلوها من مسببات المرض أولاً ولأنها تمثل عوضاً عما أصاب الناس من كارثة بسببها ثانياً، وبهذا تكون أشبه بالبديل الغذائي الأمثل لما يحتويه الجراد من مادة غذائية طبيعية.

٦- وإذا نظرنا إلى ما تكلفه عمليات اجتثاث الجراد والقضاء عليه من إمكانيات هائلة وأموال طائلة ومواد سمية وكيميائية ضارة على الأرض والبيئة والمخلوقات على حد سواء، ولعل المنظمات والمؤسسات والهيئات الدولية المعنية بالأمور الزراعية تعلم الميزانيات الضخمة التي تعدها لمكافحة الجراد المنتشر ما نجهله نحن، فهل استطاعت هذه الجهات أن تحد من خطر الجراد إذا ما سلطه الله على مكان من الأماكن؟ ستجد أنه في حكمة إباحة أكلها مصلحة لا تكاد تخفى على أي عاقل يريد الخير لمن على الأرض جميعاً.

---

(١) مختار الصحاح، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر الرازي، ص٩٥.

(٢) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الآفاق، أ. د. محمد راتب النابلسي، ص٤١٣.

وجه الإعجاز:

تبين بجلاء لا خفاء فيه الحكمة من إباحة أكل ميتة الجراد من الناحية الشرعية وكيف أن إباحتها مبني على أساس خلائها من الدم المسفوح الذي تحتويه باقي الحيوانات، الأمر الذي يتطلب تذكيتها وتخليصها من الدم، ومن ناحية أخرى فإنها من الحشرات التي لا تأكل القاذورات أو النجاسات لأنها تعيش في البراري فيكون أكلها مغايراً لباقي الحشرات، ومن ناحية أخرى تجلت الحكمة من إباحتها في كونها بديلاً هيأها الخالق لعباده بعد أن كانت سبباً في هلاك أقوامهم، والقضاء عليه.

فهلا أدرك العقلاء اليوم وعلمائهم الحكمة من إباحتها؟ وهل آن الأوان الاعتراف بالقرآن والسنة النبوية المطهرة بأنهما من خالق عليم خبير بأمور خلقه وما يصلحهم وما ينفعهم بدلاً من الإصرار على التمادي في البحث عن الحلول الجزئية الغير مجدية، والإعراض عن الهدي القويم، وتخيل معي كيف يكون الأمر لو اشتهر أمر إباحة الجراد للأكل وتوعية الناس وتثقيفهم ثقافة تناسب دينهم القويم، ما ينتج عنه من القضاء على مصيبة عظيمة وبلاء جسيم بأبسط الوسائل وأقل التكاليف وأسرع الحلول، وإبدالهم بطعام ثبت حله وطهارته ولذته بآخر هو من النجاسة أقرب، بل هو النجاسة بعينه، ولو أردت معرفة المزيد عن طعام بعض الأمم فما عليك إلا أن تسأل عن أنواع الحشرات التي يحبونها والهوام التي يتناولونها فستجد أنهم يتسابقون على الحيات والعقارب والصراصير والديدان، بدلاً من هذه الحشرة الطاهرة التي أحلها الله لعباده فسبحان الله ما أعظمه من دين وما أصدق أدلته التي إن دلت على شيء إنما تدل على أنها من الخالق وما دونه هم الخلق أفلا يتدبرون؟

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

الكبد والطحال:

الكبد والطحال هما ما استثناه سيد الخلق ﷺ من التحريم في الآية الكريمة التي حرمت الدم والميتة ومن الجدير بالذكر بأن الكبد والطحال المذكوران في الحديث النبوي الشريف يؤخذان من الحيوان المذكّى ذكاة شرعية وليس من الحيوان الميت أو من الأصناف التي حرمت بموجب النصوص الشرعية كالمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة.. الخ.

وأما إطلاق اسم الدم على كل من الكبد والطحال فهذا من قبيل التشبيه وذلك لعددٍ من الأسباب ومنها:

١- يمكن أن العرب كانوا يعتبرون الكبد والطحال من الدماء وبما أن الإسلام حرم الدم فاستثناهما حسب اعتبار المخاطبين من التحريم وأحلهما.

٢- إن كثرة احتواء كل من الكبد والطحال توجب الشبهة بتحريمهما لتحريم الدم فدفعت الشبهة بإعلان حلهما.

٣- إن اعتبار كل من الكبد والطحال دماً هو من باب المجاز وذلك لكثرة الدم والعروق الدموية فيهما نسبة إلى الأعضاء الأخرى.

٤- وهناك باب آخر للمجاز وهو أن هذين العضوين يتدخلان في توليد الكريات الحمر في الإنسان والحيوان، فالكبد باحتوائه على العامل المنضج للكريات الحمر تنبه النقي في توليد تلك الكريات وتساعد على اكتمال نموها ونضوجها.

أمّا الطحال فإنه مدفن للكريات الحمر ومخزناً لحديدها ليقدمها من جديد إلى الدم الذي يوصله إلى نقي العظام فيستخدمه هذا في تكوين خضاب الكريات الحمر.

فالكبد والطحال دمان من باب المجاز لاحتواء كل منهما على جيوب دموية تحتوي على كميات كبيرة من الدماء،وعلى سبيل المثال فالكبد عدا عن كونه يفرز في الثانية الواحدة مليونين ونصف من الكريات الحمراء، فهو مخزن للدم حيث

يستوعب ألفاً وخمسمئة سنتمتر مكعب من الدم[1] وأما الطحال فعدا عن كونه مدفن لكريات الدم الحمراء فهو جهاز احتياطي لصنع هذه الكريات، في حال تعطل نقي العظام عن هذه المهمة بل وهو مستودع لها[2]، وبالتالي يصعب التخلص من الدم من كليهما بعد الذبح بشكل كامل مقارنة مع الأعضاء الأخرى.

والكبد والطحال من الناحية التشريحية هما عبارة عن نسيجان عاديان لهما وظائفهما الخاصة،بل ويمتازان بميزات دموية دورانية وهي غنى الشبكة الشعرية فيهما ووجود تفرعات وريد الباب في الكبد ووجود الجيوب الوريدية في الطحال فهما أغنى الأعضاء بالدم،وكما أسلفنا فإن إطلاق اسم الدم عليهما في الحديث الشريف من باب التشبيه.

الفوائد الطبية للكبد والطحال:

ومن الناحية الطبية فالواقع أن الطب لم يثبت أي ضرر من أكل الكبد والطحال، كما ثبت طبياً الضرر من أكل الميتة بل على العكس فقد دل الطب على كونهما مادتين غذائيتين غنيتين بالكثير من المواد الهامة[3].

فللكبد فوائد غذائية منها ما يفيد في معالجة فاقات الدم المختلفة ولاسيما فقر الدم الخبيث كما يفيد في معالجة قصور الكبد والأمراض الأخرى التي تضطرب فيها وظيفة الخلايا الكبدية،ويفيد استعمال الكبد المرضى المكبودين إذ أنه ينشط الوظيفة الصفراوية والسكرية والمضادة للسموم عند المصابين بقصور الكبد وتعدل خلاصة الكبد المائية سموم كثيرة من جراثيم الأمعاء الحالة للدم.

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان، أ.د. محمد راتب النابلسي، ص٢٩٧.

(٢) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان، أ. د. محمد راتب النابلسي، ص٢٨٢.

(٣) مع الطب في القرآن الكريم، د عبد الحميد دياب د أحمد قرقوز، ص١٣٧.

وأما فوائد الطحال الغذائية وخاصة طحال الغنم فيعتبر بالدرجة الأولى مضاداً لفقر الدم ولاسيما للمصابين بالبرداء الملاريا، وذلك لغناه بالدم كما وتفيد خلاصته المستعملة حقناً في معالجة بعض أمراض الجلد.

وهكذا يمكن للمصاب بالفاقة الدموية أن يتناول الكبد والطحال كغذاء ودواء وقد يكون ما أوردناه كافي للوقوف على بعض جوانب الحكمة من قول سيد الخلق ﷺ: «أحلت لكم ميتتان ودمان فأما الميتتان فالحوت والجراد وأما الدمان فالكبد والطحال».

الخنزيـــر:

الخنزير: من أشهر المحرمات في الأطعمة الإسلامية لورود اسمه في أربع آيات في القرآن الكريم وبشكلٍ صريحٍ وهي قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ....**﴾ [البقرة: ١٧٣].

وقوله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ...**﴾ [المائدة: ٣].

وقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ...**﴾ [النحل: ١١٥].

وقوله تعالى: ﴿**... إِلا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ...**﴾ [الأنعام: ١٤٥].

ولِذكره في السنة النبوية في عددٍ من الأحاديث والتي ينفِّر بعضها من الخنزير لمجرد اللمس لقوله ﷺ: في صحيح مسلم «مَن لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه»[(١)].

ولقوله ﷺ: في سنن أبي داود عن أبي ثعلبة الخشني أنَّه سأل رسول الله ﷺ قال: إنَّا نجاور أهل الكتاب وهم يطبخون في قدورهم الخنزير ويشربون في آنيتهم الخمر فقال رسول الله ﷺ: «إنْ وجدتم غيرها فكلوا فيها واشربوا وإنْ لم تجدوا غيرها فارحضوها بالماء وكلوا واشربوا»[(٢)].

والواضح في الحديث بأنّه لا يجوز استعمال الأواني التي يطبخ فيها لحم الخنزير إلا بعد الغسل والتنظيف.

---

(١) صحيح مسلم، ك/ الشعر بـ/ تحريم اللعب بالنردشير.

(٢) سنن أبي داود، ك/ الأطعمة بـ/ الأكل في آنية أهل الكتاب.

وذهب الجمهور مِنَ الفقهاءِ بالقولِ بقتل الخنزير حتى إذا وجد في دار الكفر وغيرها وذلك لقوله ﷺ: في صحيح البخاري «ليوشكن أنْ يَنزل بكم ابن مريم حَكَماً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ»[1].

وظاهر الحديث أنَّ مَن قتل خنزيراً لا يضمن لأنَّه فعل مأموراً به وقد أخبر ﷺ بأنَّ عيسى عليه السلام سيفعله.

وقال الفقهاء أيضاً بتحريم اقتناء الخنزير وتحريم أكله وإباحة قتله، وذهبت طائفة منهم إلى القول بكراهة الانتفاع به حتى وإنْ كان ببيع شعره وذلك لقوله ﷺ في سنن أبي داود: «إنَّ الله حرم الخمر وثمنها وحرم الميتة وثمنها وحرم الخنزير وثمنه»[2].

فما هي الحكمة مِن وراءِ هذا التحريم في النصوص القرآنية وهذا التنفير في الأحاديث النبوية الشريفة وإنْ كان لمجرد اللمس؟ وكيف يكون التهديد والوعيد الأكيد على أكله والتغذي به؟ ومَا هي الحكمة مِن خلقه؟

الناحية العلمية:

في البدء لا بد مِن الإشارة إلى أخطر أنواع الأمراض التي قد تترتب مِن جراءِ تناول لحم الخنزير، وهذا ما تظهره الدراسات الجادة والتي تفيد بأنَّ الإنسان قد يتطبَّع بصفات الكائن الذي يقتات عليه وهذا ما نلتمسه ونشاهده في المجتمعات الغربية بانتشار الدياثة، وعدم الغيرة مِن جراء تناول لحم الخنزير الذي يكاد ينفرد بهاتين الصفتين دون الحيوانات الأخرى، ولعلّ مَا نشاهده في المجتمعات التي تتخذ مِن لحوم الخنازير طعاماً لها مِن انعدام الغيرة وظهور الشذوذ الجنسي المتمثل بأبشع العلاقات الجنسية مِن تبادل الزوجات والزواج الجماعي وغيرها مِن العلاقات الجنسية المشبوهة، وأصناف أخرى مِن هذه الأمراض مردّها في الغالب إلى أنَّ هذه المجتمعات تتخذ مِن مَا حرّم الله طعاماً لها.

---

(١) صحيح البخاري، ك/ البيوع بـ/ قتل الخنزير.

(٢) سنن أبي داود، ك/ البيوع بـ/ في ثمن الخمرة والميتة.

وعليه قد يسأل سائل من الجدوى والمنفعة من خلق الخنزير التي جعلت منه الشريعة الإسلامية نجس وفي هذا نقول وبالله المستعان:

إنَّ الخنزير من الحيوانات الرَّامَّة التي تقتات على أصناف متعددة من الأطعمة فهو يقتات على النباتات واللحوم الحيوانية الأخرى على حدٍ سواء، ولكن من أفضلِ مَا يقتات عليه هذا الكائن هي الجيف وخاصةً إنْ كانت لخنزيرٍ ميتٍ بل أنَّ الوجبة المفضلة لهذا المخلوق هي الجرذان، ولذلك تخلو مزارع الخنازير من الجرذان وبالتالي فإنَّ من أولويات هذا الكائن هي النظافة، أي تنظيف الوسط المحيط به من أنواع الجيف وأشباهها، والسؤال في هذا هل يصلح هذا المخلوق أنْ يكون غذاء إنساني؟ ولاسيما إذا علمت بأنَّ الأبحاث العلمية والطبية قد أثبتت أنَّ الخنزير من بين سائر الحيوانات يعدّ من أكبر مستودعات الجراثيم الضّارة بصحة الإنسان بالإضافة إلى العديد من الأمراض التي قد تترتب عن أكل لحمه، ونذكر منها:

١- الأمراض الفيروسية:

وخير ما تتجلى به هذه الأمراض بما نسمعه ونقرؤه في الآونة الأخيرة في وسائل الإعلام من إصابة الإنسان بما بات يعرف بأنفلونزا الخنازير، والتي ذهبت منظمة الصحة العالمية إلى التحذير منه كي لا يصبح وباء عالمياً ممَّا حذا ببعض الدول إلى اتخاذ إجراءات وتدابير منها: قتل الخنازير وإعلان أعلى درجات الحظر الصحي.

ومن الأمراض الأخرى التي قد يصاب بها آكلي لحوم الخنازير التهاب الدماغ والتهاب عضلة القلب وغيرها من الأمراض الفيروسية.

٢- الأمراض الجرثومية:

ومن أخطر هذه الأمراض الإصابة بجرثوم-التوكسو بلازما جواندي[1]- والذي تؤدي الإصابة به إلى مجموعة من الأمراض كالإصابة بالحمَّى وتضخم الكبد والطحال وغيرها من الأمراض الجرثومية الخطيرة.

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، ٦٤٩.

٣- الأمراض البكتيريا:

وقد يصاب الإنسان بعددٍ مِن الأمراض البكتيريا مِن جراء تناول لحوم الخنازير نذكر منها الكوليرا والحمَّى المالطية والسل الرئوي.

٤- الأمراض الطفيلية:

وهي مِن الأمراض الشائعة بين متناولي لحوم الخنازير، وذلك لاحتواء عضلة لحم الخنزير على أصناف عدة مِن الآفات الفتاكة بالإنسان، وقد جاء في المعهد الطبي للولايات المتحدة الأمريكية أن نسبة الوفيات تتراوح بين ٥-٣٥% بسبب الديدان الموجودة في لحم الخنزير[١]، ومنها الدودة الشريطية-تينا سويلم- والتي يتراوح طولها مِن ستة إلى ثمانية أمتار[٢].

حيث تقبع يرقات هذه الدودة في عضلات الخنزير وتنتقل للإنسان خلال الغذاء به ولمجرد بلوغ هذه اليرقات أمعاء الإنسان تتحرر البيضة والتي تذيب صدفيّتها العصارة المعدية لتخترق الأمعاء، وتسري في الدم لتصل إلى المخ وبالتالي قد يصاب الشخص بتشنج عصبي ونوبات صرع وقد يصل عدد البويضات التي تضعها الدودة الواحدة إلى خمسين ألف بويضة في المرة الواحدة، ومِن النتائج التي قد تترتب عن الإصابة بهذه الدودة الإحساس المستمر بالجوع الذي يصل بالمصاب إلى درجة الصرع مِن شدَّة الشره على الأكل، وبالرغم مِن استمرار المصاب في الأكل غير أنه

---

(١) الإعجاز العلمي في أسرار القرآن الكريم والسنة النبوية، محمد حسنى يوسف، ج/١ص١٢٤.

(٢) الإعجاز الطبي في القرآن، د. السيد الجميلي، ص١١٥.

يشكو مِن نقصٍ في الوزن، بل وقد يتوقف جسمه عن النمو تماماً إنْ كان في مرحلة الشباب وقد يصاب المريض أيضاً بحالاتٍ مِن الإسهال مع حالات مِن الإمساك بالإضافة إلى انسداد أمعائه مِن جراء الكتل الهائلة مِن الديدان في القناة الهضمية بالإضافة إلى تهيج الخلايا العصبية لمخ المصاب بهذه الدودة مِن جراء وصول سمومها إليه عن طريق الدم، وبالتالي يشكو المريض مِن صداعٍ حادٍ واضطراب في التفكير.

ومِن جهةٍ أخرى قد يصاب الإنسان بالدودة اللولبية التي تعد مِن أخطر الديدان بالنسبة للإنسان، وتتركز هذه الدودة في عضلات آكلي لحوم الخنازير ممّا قد يسبب ألماً شديداً تشلّ حركة هذه العضلات، كما وقد تتركز هذه الدودة في الحجاب الحاجز، وبالتالي قد تؤدّي كثرتها إلى وقف التنفس ثم الموت.

ويتولد أيضاً من لحم الخنزير الذي يأكله الإنسان دودة خطيرة تتواجد بذرتها في هذا اللحم والتي بدورها تنشب في أمعاء الإنسان بصورة غير قابلة للعلاج بالأدوية الطاردة لديدان الأمعاء، بل تنشب تلك الدودة الخنزيرية ضمن عضلات الإنسان بصورة عجز الأطباء إلى اليوم عن تخليص الإنسان منها بعد إصابته بها وهي خطر على حياته، وتسمى هذه الدودة تريشين ومن هنا تظهر بعض جوانب الحكمة من تحريم لحم الخنزير في الإسلام.

وقد جاء في موسوعة لاروس الفرنسية إن هذه الدودة الخبيثة إنما تكمن خطورتها على الإنسان بأنها تنتقل إليه بعد أن يتناول وجبة من لحم الخنزير وبعد الإصابة بها تتجه إلى القلب ثم تتوطن في العضلات وخاصة في عضلات الصدر وعضلات الجنب والحنجرة والعين والحجاب الحاجز وتبقى أجنتها محتفظة بحيويتها في الجسم سنين عديدة.

وهناك عدد آخر مِن الديدان الطفيلية التي قد يصاب بها الإنسان مِن جـــراء تناول لحم الخنزير، والتي تعد مِن الآفات القاتلة له ونذكر منـــها دودة الإســـكارس ودودة الإنكلستوما التي تفتك بالأمعاء، وتمتص صحة الإنـــسان والبلهارســـيا ذات التأثير المدمر على الكبد والطحال[1] والدوسنتاريا.

دودة الإسكارس

٥- الأمراض البيولوجيا:

حيث يحتوي لحم الخنزير على كميات كبيرة مِن حامض البوليك ولا يفرز منه إلا القليل بنسبة لا تتجاوز ٣ في المائة بينما يفرز الإنسان مِن هذا الحامض ما نسبته ٩٠ في المائة لذلك يشكو آكلي لحم الخنزير مِن آلامٍ روماتيزمية والتهاب المفاصل المختلفة[2].

هذا بالإضافة إلى عددٍ مِن الأمراض التي قد يسببها أكل لحم الخنزير التي قد يطول شرحها والإفصاح عنها بشكلٍ كافٍ في هذا الموضع، لكن مَا أردنا تبيانه في هذا الباب بأنَّ لحم الخنزير غير صالح لاستخدامه كطعامٍ بشري وهذا مَا تؤكده الدراسات التي تعنى بهذا المجال، وآخر القول في هذا الموضع بأنَّ مِن رحمة الله بعباده أنْ حرّم عليهم لحم الخنزير لما يحمله هذا المخلوق مِن آفاتٍ وأضرارٍ صحيةٍ وماليةٍ وأخلاقيةٍ للإنسان وبالتالي

---

(١) التداوي بالقرآن، عبد المنعم قنديل، ص٦١.

(٢) الإعجاز العلمي في أسار القرآن الكريم والسنة النبويـــة، محمـــد حـــسنى يوســـف، ج/١ص/١٢٤.

نقف على وجه من أوجه الحكمة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ...**﴾ [البقرة: ١٧٣].

ولا يمكن الوقوف عند هذه الاكتشافات العلمية في التعليل بل يمكن للعلم الذي اكتشف في الخنزير هذه الآفات أن يطلعنا في كل حين عن مضار أخرى تترتب عن تناول لحم هذا المخلوق، أو جعله طعاماً وبأي شكل كان ولهذا المخلوق مضار أخرى لا تقترن بكونه طعام غير صالح للإنسان وخير ما تتجلى به هذه المضار في الوقت الراهن ما اكتشف حديثاً وهو ما بات يعرف بأنفلونزا الخنازير، والذي كما أسلفنا بأن معظم الدول أخذت التدابير اللازمة لمكافحة هذا المرض الناتج عن تربية الخنازير بل أن منظمة الصحة العالمية قد حذرت من أن هذا المرض قد يصبح وباء عالمي بعد ازدياد عدد المصابين به.

وأمّا موجز القول في الخنزير فإن الله سبحانه وتعالى يقول فيه: (فإنه رجس) والرجس الشيء القذر، والأقذار والنجاسات هي السبب الأكبر في إصابة الإنسان بالأمراض المختلفة لما فيها من جراثيم وطفيليات ممرضة، فالخنزير ينقل إلى الإنسان كثيراً من الكائنات الدقيقة الخطرة حيث يصاب الخنزير بعدد كبير من الأمراض الوبائية لا تقل عن (٤٥٠) مرضاً ويقوم بدور الوسيط لنقل أكثر من (٧٥) مرضاً وبائياً للإنسان غير الأمراض العادية الأخرى التي يسببها أكل لحمه، مثل تليف الكبد وعسر الهضم والحساسية الغذائية وتصلب الشرايين وتساقط شعر الرأس وضعف الذاكرة والعقم، وتنشيطه لمرض الربو والروماتيزم وكثرة الأكياس الدهنية وعلاوة على آثاره السيئة على العفة والغيرة في التكوين النفسي.

فالحمد لله الذي حرم علينا هذا الرجس من الطعام والذي لولا هداه لما اهتدينا لهذا فبعد أن كان المسلمين يجهلون تفاصيل وعلة هذا التحريم جاءت الاكتشافات الحديثة التي اكتشفت في الخنزير عوامل المرض وخفايا الجراثيم الضارة.

❁ ❁ ❁

علة تحريم أكل الجوارح:

عن ابن عباس ﷺ قال: «نهى رسول الله ﷺ عن كل ذي ناب من السباع وعن كل ذي مخلب من الطير»[1].

كما حرم النص القرآني تناول الميتة والدم ولحم الخنزير جاءت السنة النبوية بتحريم الحيوانات المفترسة كالأسد والنمر والذئب وبتحريم الطيور الجارحة ذوات المخالب كالنسر والصقر، ولعل من الحكم الكامنة من وراء هذا التحريم ما فيه سلامة الفرد من الأمراض وصيانة طباعه من الطباع الحيوانية، وهذا ما تبنه الدراسات العلمية الحديثة.

العلة العلمية من التحريم:

لقد أثبتت المعطيات العلمية الحديثة والتي تعنى بهذا الشأن وخاصة علم التغذية من خلال الدراسات التي قام بها علماء اختصاصيون في هذا المجال، والتي قادتهم إلى اختلاف الآثار الخلقية للإنسان باختلاف نوع اللحوم التي يقتات عليها، ومن تلك الأبحاث والدراسات ما أجراها علماء أمريكيون على أطفال من ولاية ماريلاند والتي انتهوا فيها إلى القول بأن نوعية الطعام تؤثر على شخصية وسلوك الإنسان وتصرفاته[2] وهذا ما نجد له إشارة في السنة النبوية المطهرة فقد أشار سيد الخلق ﷺ إلى أثر الطعام في خلق آكليه بقوله: «السكينة والوقار في أهل الغنم والفخر والخيلاء في أهل الإبل»[3].

وهذا ما قال به رائد علم الاجتماع العلامة ابن خلدون في مقدمته حيث بين ما للطعام من أثر في خلق الإنسان وبدنه، إذ يقول وكذا المتغذون بألبان الإبل ولحومها أيضاً مع ما يؤثر في أخلاقهم من الصبر والاحتمال والقدرة على حمل

---

(١) صحيح مسلم، ك/الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان بـ/تحريم أكل كل ذي ناب...

(٢) روائع الطب الإسلامي، د محمد نزار الدقر، ج/ ٣ ص/٦١.

(٣) مسند أحمد، ك/ باقي مسند المكثرين بـ/ مسند أبي سعيد الخدري.

الأثقال الموجود ذلك للإبل[1].

وقد تبين أن الحيوانات المفترسة عندما تهم بافتراس فريستها تفرز في أجسامها هرمونات ومواد تساعدها على القتال واقتناص الفريسة، ولاحظ علماء التغذية إن هذه الإفرازات تخرج في جسم الحيوان المفترس حتى إن كان حبيساً وذلك من خلال تصرفاته العدائية عندما تقدم له قطعة من اللحم ليأكلها، وقارنوا حالة الحيوان المفترس أثناء تغذيته مع ما يظهر عليه من بوادر الغضب والشراسة والبطش مع حالة الحيوانات الأليفة أثناء تغذيتها مع ما يظهر عليها من مظاهر الوداعة واللين.

وقد لوحظ هذا السلوك العدائي في الشعوب التي يكون من ضمن أغذيتها لحوم الجوارح، وذلك من خلال الشراسة والميل إلى العنف في سلوكياتهم وقد انتهت تلك الدراسات والبحوث إلى ظاهرة أخرى في تلك الشعوب، وهي ظاهرة الفوضى الجنسية وهي حالة أقرب إلى حياة الحيوانات المفترسة التي يقتاتون على لحومها.

وهذا من الأسباب التي تبرر انعدام الغيرة في أوساط المجتمعات الغربية وظهور حالات الشذوذ الجنسي والتفكك الأسري نتيجة للتغذي على لحم الخنزير المعروف علمياً، ومن بين باقي اللحوم بأنه يحتوي على أكبر قدر من الدهون وقد جاء في الموسوعة الأمريكية[2] أن كل مئة رطل من لحم الخنزير تحتوي على خمسين رطل من الدهن أي بنسبة النصف من مجموع اللحم، في حين أن الدهن في الضأن لا يتجاوز نسبة ١٧% من اللحم وفي العجول لا يزيد عن ٥% هذا بالإضافة إلى ما يحتويه لحم الخنزير على مواد ضارة بصحة الإنسان لاسيما الكولسترول، فنسبتها تزيد عن ما هو موجود في لحوم البقر إلى عشرة أضعاف وهذه المادة لها تأثير خطير إذا ما ارتفعت في دم الإنسان عن الحد الطبيعي، لأنها من الأسباب المسؤول عن تصلب

---

(١) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، ج/١ ص/٩٨.

(٢) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، يوسف الحاج أحمد، ص٦٦١.

الشرايين وارتفاع ضغط الدم، وهي السبب الرئيسي في معظم حالات الذبحة القلبية المنتشرة في المجتمعات التي تقتات على لحم الخنزير ولاسيما في أوروبا حيث أظهرت الإحصاءات أن نسبة إصابة الأوربيين بالذبحة القلبية وتصلب الشرايين تزيد عن مثيلتها في العالم الإسلامي بخمسة أضعاف، هذا بالإضافة إلى الأثر التي تتركه هذه اللحوم على آكليها من التوتر العصبي.

وهذا تماماً ما ينطبق على الشعوب التي تقتات على لحوم الجوارح وعلى الرغم من اختلاف العلماء في أثر الغذاء على خلق وسلوك الإنسان، لكن الذي لا ريب فيه بينهم وكما أسلفنا بأن العلماء قادتهم التجربة إلى الاستدلال على اختلاف الآثار الخلقية باختلاف نوع اللحوم المكثر من تناوله، ناهيك عن الأثر الصحي الذي يتركه تناول لحوم هذه المخلوقات على صحة الإنسان لانتشار الطفيليات بينها حيث ينتشر طفيل (الشعرنية ناتيفا) بين الدببة والثعالب القطبية والتي يصاب الإنسان بها فور تناول لحوم هذه الحيوانات أو الحيوانات الحاضنة لهذا الطفيل بصورة ثانوية كالقط، كما ينتشر طفيل (تريخينلا نلسوني) في الضباع وبنات آوي والنمور والأسود وبعض الحيوانات المفترسة الأخرى، وتقع معظم الإصابات البشرية في أفريقيا بتناول لحم الخنزير الداجن والوحشي، وهما حاضنان ثانويان لهذا الطفيل لأنهما يتغذيان على الجيف، كما تنتشر الطفيليات التي تعرف بالشعرينات شبه الحلزونية (تريخنيليا سود وسيبراليس) في الطيور الجوارح (ذات المخلب) ويصاب الإنسان بالعدوى إذا تناول لحم الجوارح من الطيور كالنسر والعقبان والصقور وغيرها.

تحريم الخمـــر:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِـــنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

أم الخبائث.

الخمر: أصل الخمر ستر الشيء ويقال لما يستر به خمار لكن الخمار صـــار في التعارف اسماً لما تغطي به المرأة رأسها والتخمير التغطية ويقال خمَّر وجهه أي غطـــاه وسميت بذلك لكونها خامرة العقل.

وإن كان الخمر دل على كل مسكر لقوله ﷺ: «كل مسكرٍ خمرٌ، وكل مسكرٍ حرامٌ»(١).

غير أن العرب قالت هي المدام لأنها ليس شيء تستطاع إدامة شربه إلا هي.

وهي الصهباء للونها المأخوذ من العنب الأبيض.

وهي خندريسٌ ومعتقةٌ لقدمها.

وبابليةٌ منسوبةٌ إلى بابل بلد السحر والخمر.

وهي المشعشعة لرقتها التي أرقَّ مزجها.

وهي الراح لإراحة صاحبها إذا شربها.

والخمر ما أخذ من العنب.

والنبيذ ما أخذ من التمر.

والسُكركة ما أخذ من الذرة.

والبِتْعِ ما أخذ من العسل.

وقد قيل فيها قديماً وحديثاً قصائد تعد من روائع الأدب العربي حـــتى سمـــي جليس المخمور نديماً.

---

(١) صحيح مسلم، ك/ الأشربة بـــ/ بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام.

قصة الخمر:

في الخمرة نصوص شرعية عدة مآلها جميعاً التحريم ومنها ما روي عن عمر رضي الله عنه قال: «لما نزل تحريم الخمر قال اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت هذه الآية التي في سورة البقرة ﴿**يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير**﴾ قال فدعُى عمر رضي الله عنه فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية التي في سورة النساء ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى**﴾ فكان منادي رسول الله إذا أقام الصلاة نادى أن لا يقربن الصلاة سكران فدعي عمر رضي الله عنه فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية التي في المائدة فدعي عمر رضي الله عنه فقرئت عليه فلما بلغ ﴿**فهل أنتم منتهون**﴾ قال عمر رضي الله عنه انتهينا انتهينا»[1].

وقد روي عن ابن عمر، والشعبي، ومجاهد، وقتادة، والربيع بن انس، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في تفسير القرآن العظيم بأن أول آية نزلت في الخمر هي ﴿**يسألونك**﴾ ثم نزلت الآية في سورة النساء ثم التي في المائدة فحرمت الخمر[2].

ولعل السبب الكامن وراء نزول الآيات في الخمرة على مراحل هو التدرج في التحريم ذلك أن الناس كانوا قد ألفوها وكانوا مولعين بشربها في صدر الإسلام وهذا التدرج من رحمة الله بعباده.

وكانت أول إشارة في القرآن إلى الخمر هي قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [النحل: ٦٧].

والتي فُهم منها أن المادة المسكرة ليست رزقاً حسناً فقد روي عن ابن عباس في تفسير القرآن العظيم قوله: السكر ما حرِّم من ثمرتيهما، والرزق الحسن ما أحلَّ من

---

(١) مسند أحمد، ك/ مسند العشرة المبشرين بالجنة بـ/ أول مسند عمر بن الخطاب.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج/١ ص/٢٦٣.

ثمرتيهما وفي رواية السكر حرامه والرزق الحسن حلاله[1].

ومن الإشارة في نصوص القرآن إلى توجيه إرشادي بقوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**﴾ [البقرة: ٢١٩].

والتي فهم منها بأن المنافع من الخمرة منافعُ دنيويةُ كبيعها والانتفاع بثمنها واللذة المطربة التي فيها وبعض الجوانب الأخرى التي كان يعتقد من خلالها بأن الخمرة نافعةٌ للبدن من تهضيم للطعام وسواه ولكن هذه المصالح لا توازي مضرتها ومفسدتها الراجحة لتعلقها بالعقل والدين فكان التوجيه في الآية هو قوله تعالى: ﴿... **قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا...**﴾ [البقرة: ٢١٩].

أي أن الضرر المترتب عن الخمرة أكبر من نفعها ولهذا كانت الآية ممهدة لتحريم الخمر و قال عمر لما قرئت عليه اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً.

– ومن التوجيه الإرشادي إلى التحريم الزمني بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ...**﴾ [النساء: ٤٣].

وفي هذه الآية نهى الله عباده عن الصلاة في حال السكر الذي لا يدري معه المصلي ما يقول وقد روي عن علي بن طالب قوله: «صنع لنا عبد الرحمن ابن عوف طعاماً، فدعانا وسقانا من الخمر فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة فقدَّموني فلاناً قال فقرأت: قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون فأنزلت الآية»[2].

– ومن التحريم الزمني إلى حكمٍ شرعيٍ وتحريمٍ قطعي بقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [المائدة: ٩٠].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج/٢ص٥٩٦.

(٢) سنن الترمذي ك/ تفسير القرآن عن رسول الله بـ/ ومن سورة النساء.

ونسخت بهذه الآية الآيات السابقة وحرم الخمر وجعل منه رجسٌ من عمل الشيطان والشيطان لا يأتي منه إلا الشر فأكملت الآية سياقها بقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**﴾ [المائدة: ٩١].

واقترن بالمعاصي الخطيرة ولهذا قال تعالى: ﴿**فاجتنبوه**﴾ والاجتناب ذكر أيضاً في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ [النحل: ٣٦].

فاجتناب الخمر أشد حرمةً من شربه ذلك لأنه لا يجوز اقتنائه أو بيعه أو مجالسة شاربه وهذا ما بينته السنة النبوية المطهرة بقوله ﷺ: «أتاني جبريل فقال يا محمد إن الله عز وجل لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه وبائعها ومبتاعها وساقيها ومستقيها»[1].

وبهذا حرمت الخمر وبالتدرج فمن إشارة إلى توجيه إلى تحريم زمني إلى تحريم قطعي.

ومن تدرج في التحريم وثبوةٍ في السنة النبوية وإجماعٍ في الأمة على هذا التحريم.

إلى حدٍ على شاربها بالجلد ثمانين جلدة وإلى حكمٍ على من استحلها بالقتل وفق ضوابط شرعية.

فما لهذا الداء من أثرٍ يستوجب كل ما تقدم من تنفيرٍ وتحريمٍ في النصوص القرآنية إلى حدٍ بالجلد وقتل في السنة النبوية.

الخمرة والعقل:

قال تعالى في وصف خمر أهل الجنة: ﴿**بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٨) لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُونَ**﴾ [الواقعة: ١٩].

---

(١) مسند أحمد، ك/ من مسند بني هاشم بـ/ باقي المسند.

من نزف الشارب وأنزف: أي لا يحصل لهم منها صداع ولا ذهاب عقل بخلاف خمر الدنيا[1].

فالعقل من أعظم النعم وأجمل هبات الله التي اختص بها الإنسان فالإنسان بالعقل يستدل على خالقه وبالعقل يدير شؤونه وبالعقل يختار وبه يميز مابين الخير والشر والخطأ والصواب، وبه يفرق ما بين الهدى والضلال لهذا كان العقل مناط التكليف في الشرع الإسلامي بل إن التكليف لا يجب على مجنونٍ لأن الله إذا أخذ ما أوهب أسقط ما أوجب وكما أسلفنا فإن الخمر ما خامر العقل من الشراب وخامره أي غطاه وجعله لا يدرك فالخمرة لما لها من أثرٍ على العقل تفقد المرء رشده فيتحرر من ضابطه -العقل- وتتحرك النفس إلى ما تشتهي دون رقيب عليها فيفعل المرء ما أراد غير مكترثٍ ولا مبالٍ بالعواقب فيأثم بما فعل والشواهد على ذلك لا تعد ولا تحصى.

فالسكر ينحدر بالمرء من مصاف الإنسان المكلف إلى مصاف البهائم إن لم تكن البهائم أفضل حالا منه حينها أي أن السكر يضعف الأسباب بين الإنسان وخالقه، وكلما ابتعد العبد عن خالقه ابتعد عنه خالقه في حين إن مسؤوليات الإنسان ترقى بارتقاء فكره ورجاحة عقله، ولما كان السكر حالةً تعرِض بين المرء وعقله والعقل أشرف ما في الإنسان لهذا حرم الله على هذه الأمة الأشربة المسكرة صيانة لعقولها.

أثر الخمرة على الجسد:

إن للخمرة آثار في الجسد لا تقل في خطورتها عن آثارها في العقل فبالإضافة إلى أثارها الاجتماعية الظاهرة في تصرفات الشارب، وما يترتب عنها من أضرار فإن لها أثر صحي يكاد يشمل الجسد بكامله وما الأمراض التي يعاني منها شاربو الخمر والتي تطلعنا عليها الأبحاث الطبية بين الفينة والأخرى بخفية على أحد في وقتنا الراهن بل إن ما نجهله أكثر بكثير من ما نعلمه عن أضرار الخمرة ونلخص بعضاً منها بالآتي.

---

(١) تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي جلال الدين، ص٥٣٥.

١- أثرها في الجهاز العصبي:

ويتمثل بشكلٍ مبدئي بعدم تمكن المخ ومراكزه العصبية من إدارة الجسم لدى غير المدمنين وأما آثرها في المدمنين فيكون أكثر ضرراً، وهذا لا يعفي غير المدمنين من أضرارها المباشرة حيث أثبتت بعض الدراسات إلى أن كأساً واحد من الكحول يؤدي إلى موت إحدى خلايا الدماغ، وهذه الخلايا بدورها غير قابلة للتجدد بعكس خلايا الجسم الأخرى القابلة للتجدد والتكاثر[١]، ومن ناحية أخرى فإن تعاطي ٦٠ غراماً من الكحول يومياً يؤدي إلى زيادة كبيرة في حدوث ضغط الدم والسكتات الدماغية وأمراض الكبد والعقم وضعف الباءة وأمراض الجهاز العصبي[٢].

وهنا نقف على الحكمة من قوله ﷺ: «أنهاكم عن قليل ما أسكر كثيره»[٣].

وأما أثارها على المدمنين فهي مدمرة نذكر منها التهاب الأعصاب الطرفية والضعف الجنسي وضعف الذاكرة والشلل[٤] في بعض الأحيان كما وقد تؤدي إلى بعض نوبات الإغماء والتشنج.

٢- أثرها في الجهاز الهضمي:

بينت بعض الدراسات أن ٩٠% من المصابين بسرطان المري هم من مدمني الخمرة كما وتعد الخمرة من مسببات سرطان المعدة، وقد تؤدي إلى التهابات معوية مزمنة وأقل أضرارها تتلخص بأنها تسبب إدراراً كبيراً للعصير المعدي مما يؤدي إلى احتقان الغشاء المخاطي وهذا بدوره قد يسبب تقرحات في المعدة.

٣- أثرها على القلب:

ويتجلى هذا الأثر في تصلب الشرايين[٥] عندَ بعض المدمنين وهذا بدوره يؤدي

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، ص٦٢٧.

(٢) الإعجاز العلمي في أحاديث التداوي بالخمر، د محمد علي البار، ص٦٢.

(٣) سنن النسائي، ك/ الأشربة بـ/ تحريم كل شراب أسكر كثيره.

(٤) الإعجاز الطبي في القرآن، د السيد الجميلي، ص١٢١.

(٥) التداوي بالقرآن، عبد المنعم قنديل، ص٤٢.

إلى إصابة القلب بأضرار كثيرة.

٤- أثرها في الوظيفة الجنسية:

من بعض أثار الخمر على الجهاز التناسلي الضعف الجنسي وقد يؤدي في بعض الأحيان بمدمنيه إلى الشذوذ الجنسي.

٥- أثرها على مقاومة الجسم:

وهذه الآثار تتجلى في إصابة المدمن بالتهابات ناتجة عن قلة مقاومتهم للعدوى.

وتعد هذه الأمراض وغيرها، رداً على البعض ممَن يرون في الخمر دواءً لبعض الأمراض ومصداقاً لقوله ﷺ: «إنه ليس بدواء ولكنه داء»[(١)].

فالخالق عز وجل ما حرَّم الخمر على هذه الأمة إلا لرجسه وفي هذا التحريم حمية لهم وصيانة لعقولهم ورحمة بهم، وبالتالي لا يناسب أن يكون في الخمر شفاء من الأمراض والعلل وإن صح هذا الشفاء فإن الخمر يترك سقماً في القلب بقوة خبثه ورجسه فيكون الطبيب قد سعى إلى إزالة مرض البدن بمرض القلب والدين[(٢)].

٦- أثرها في الإمراض الجلدية:

ولشرب الخمر تأثير في الأمراض الجلدية حيث أثبتت الدراسات بأن للخمر أثر في نوعين من الأمراض الجلدية:

- الصدفية: فشرب الخمر بكميات كبيرة يؤدي إلى زيادة في حالة المريض المصاب بالصدفية بحيث يؤدي إلى انتشار الطفح الجلدي بالإضافة إلى إسهامه في عدم تجاوب المريض المصاب بالصدفية للعلاج.

- مرض هودجكن: ولعل من أبرز أعراض هذا المرض هي الحكة وقد ثبت بأن الخمر تزيد من حالة المريض سوءً[(٣)].

---

(١) صحيح مسلم، ك/ الأشربة بـ/ تحريم التداوي بالخمر.

(٢) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، ص١٦٩.

(٣) الإعجاز العلمي في أسرار القرآن الكريم والسنة النبوية، ج/١ ص/١٣٧.

وخير شاهد على أثرها في المجتمع ما أظهرته بعض الدراسات المتخصصة بهذا الشأن في الدول المتقدمة والتي أشارت إلى ما تعانيه هذه المجتمعات من التبعات السلبية على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والصحي والمتمثلة في بعض جوانبها بانتشار الجريمة وارتفاع إعدادها ومعدلاتها فيما بين الدول وذلك بحسب تزايد إعداد المدمنين فيها فقد ذكر تقرير منظمة الصحة العالمية عام ١٩٨٠م والذي أجرى دراسته في ٣٠ دولة أن ٨٦% من جرائم القتل و٥٠% من جرائم الاغتصاب تمت تحت تأثير الخمور[١] ففي الولايات المتحدة الأمريكية بلغت جرائم القتل ٦٠ جريمة يومياً وذلك قبل عام ١٩٩٣م وفي ذات العام وصلت عدد جرائم القتل في جمهوريات الإتحاد السوفيتي إلى ٨٠ جريمة في اليوم الواحد وكان الكثير من قتلى هذه الجرائم ضحايا لمشاجرات المخمورين وبالإضافة إلى ما يحدثه السكر في أوساط السائقين مما يؤدي إلى ازدياد حوادث السير حيث تتفق جميع المصادر على أن ما لا يقل عن ٥٠% من جميع حوادث السير تمت تحت تأثير الخمور ففي الخرطوم وخلال عامي ١٩٧٥م و١٩٧٦ تبين أن ٥٢% من حوادث المرور كانت بسبب الخمور[٢] ناهيك عن ما تحدثه الخمور من ضياع للممتلكات العامة والخاصة وذلك بارتفاع الإنفاق الصحي إلى مبالغ طائلة في معالجة الأمراض المترتبة عن تناول الخمر ومعالجة مدمنيها ففي الولايات المتحدة الأمريكية يصرف الشعب الأمريكي على المشروبات الكحولية ٤٤ مليار دولار سنوياً[٣] بحيث تشير الإحصاءات إلى وجود ١١ مليون مدمن خمر و٤٤ مليون شارب خمر ٤٠% من الرجال يعانون من أمراض عابرة بسببها في حين أن ٥%من النساء و١٠% من الرجال يعانون من أمراض مزمنة حتى قدرت الخسائر المالية الناتجة عن تعاطي الخمور في هذا البلد بثلاثين مليار دولار عام

(١) الإعجاز العلمي في أحاديث التداوي بالخمر، د محمد علي البار، ص٥٦.

(٢) الإعجاز العلمي في أحاديث التداوي بالخمر، د محمد علي البار، ص٥٥.

(٣) التربية الوقائية من المخدرات، د سعيد محمد الحفار، ص١٨٣.

١٩٧١ وارتفعت عام ١٩٧٩ لتصل إلى ٤٣ مليار دولار وأما بحلول عام ١٩٨٦ قفز رقم الخسائر المالية المترتبة عن الخمور ليصل إلى ١٢٠ مليار دولار[١] هذا بالإضافة إلى ارتفاع أعداد الوفيات الناتجة عن أمراض الخمر ففي فرنسا وحدها يموت أكثر من ٢٢ألف شخص سنوياً ناهيك عن الأشخاص الذين يموتون جراء التسمم الغولي والذين قدر عددهم خلال ستة أشهر بـ١٧ ألف[٢].

ومن تبعاته أيضاً تدني مستوى الإنتاج في الدول الصناعية وما يترتب عنه من أضرار مادية وغيرها فقد قدرت الولايات المتحدة الأمريكية الخسائر الناتجة عن انخفاض الإنتاج بسبب تعاطي الخمور من تغيب عن الوظائف ومرض وحوادث بـ ٧٧,٥٤٦ مليار دولار وذلك خلال عام ١٩٧٩م[٣] وهذا ما دفع بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٣٠ إلى تحريمه وتحريم الاتجار به ولذات السبب حرمته المؤسسة الشيوعية في الإتحاد السوفيتي قبل انهيارها بأعوام ففي روسيا وحدها أظهرت دراسة إحصائية أن عدد مدمني الكحول يصل إلى ٣٥ مليون وهذا ما أدى إلى أنخفض معدل الحياة لدى الرجال الروس من ٦٤,٩ عاماً إلى ٥٨ عاماً كما وأشارت دراسة بريطانيا مختصة في المجال ذاته بأن ٢٦٢ ألف روسي توفوا في عام ١٩٩٢ نتيجة إصابتهم بالتسمم الكحولي مقابل ١١٧ ألفاً قبل خمس سنوات كما وأشارت الإحصاءات الروسية إلى ارتفاع ملحوظ في عدد حوادث العمل القاتلة المرتبطة بتناول الكحول وارتفع استهلاك الكحول من ١٠,٧ ليترات للفرد الواحد في عام ١٩٨٧إلى ١٤ ليتراً في عام ١٩٩٢[٤].

---

(١) الإعجاز العلمي في أحاديث التداوي بالخمر، د محمد علي البار، ص٥٣.

(٢) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، ص٦٢٠.

(٣) الإعجاز العلمي في أحاديث التداوي بالخمر، د محمد علي البار، ص٥٨.

(٤) أيها الشباب احذروا الموبقات، فوزي محمد حميد، ص١٩٣.

الخمر والانتحار:

بينت الدراسات المختصة أن خطر الانتحار يتضاعف عند تناول الخمور ليبلغ ستين ضعفاً وهذا ما بينته الدراسات التي أجريت في الدول الاسكندنافيا كالسويد والدنمارك وسويسرا كعينة من الشعوب التي تتناول الخمور، حيث بينت بأن تلك الدول تمتاز عن غيرها بارتفاع عدد المنتحرين في أوساط أبنائها وخاصة بين المدمنين المصابين بحالات من الاكتئاب فقد وجد أن ٨٠% من المنتحرين قاموا بتلك الجريمة تحت تأثير الخمر وبينت ذات الدراسات بأن محاولات الانتحار تكون للفت نظر الآخرين ولكن غالباً ما تكون هذه المحاولات غير جديا وقد أثبتت الإحصاءات أن ١٠%[1] من المحاولين ينتحرون فعلاً ومحاولات الشروع بالانتحار هي أكثر شيوعاً لدى الإناث عنها لدى الذكور وخاصة عند الأرامل والمطلقات وهي أكثر عند الفقراء منها عند الأغنياء.

حتى باتت هذه المسألة تستأثر بالمهتمين من رجال الاجتماع والتربية وأطباء النفس.

فالغرب وجد ضالته المنشودة عقب طول عناء ليقف على حقيقة تتجلى في كلمة من كلمات القرآن فمن أمراضٍ إلى علاج فدراسات وأبحاث وإحصاءات وتقارير ليجدوا ضالتهم في كلمة ﴿**فاجتنبوه**﴾.

فالحمد لله الذي جعلنا من إتباع سيدنا محمد ﷺ النبي الأمي وجعل اعتقادنا بدينه في مكانه جملةً وتفصيلاً فمن صح اعتقاده بلا إله إلا الله كان اعتقاده في كلمة ﴿**فاجتنبوه**﴾ صحيحاً.

❁ ❁ ❁

(١) أيها الشباب احذروا الموبقات، فوزي محمد حميد، ص١٧٦.

المخـــدرات:

إن ما يطلق عليه اليوم اسم المخدرات يشتمل على مواد كثيرة كالحشيش والذي له قرابة ٣٥٠ اسم[١] وهذه المواد مختلفة ومتباينة في تأثيرها وخطورتها على الفرد والمجتمع وتصنف بحسب طريقة إنتاجها أو بحسب تأثيرها أو بحسب نظرية الاعتماد النفسي والعضوي أو بحسب صفاتها كما أن لها أثر ازدواجي كونها تستخدم في المجال الطبي للتخفيف من حدة الألم والمعاناة في حين يؤدي سوء استخدامها إلى أثار مدمرة للعقل والفكر والجسد على الصعيد الفردي كما ويمكن حصر الآثار السلبية للمخدرات على الصعيد الجماعي من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية.

المواد المخدرة:

عرفها الباحثون في مجال الاختصاص بأنها كل مادة خام أو مستحضرة تحتوي على جواهر منبهة أو مسكنة من شأنها إذا استخدمت في غير الأغراض الطبية أو الصناعية الموجهة أن تؤدي إلى حالة من التعود أو الإدمان عليها وبالتالي تسبب تسمم في الجهاز العصبي.

التعريف العلمي للمخدرات: هي مادة كيمائية تسبب النعاس في الغالب والغياب عن الوعي أحياناً ولها خاصة تسكين الآلام ويحظر تداولها أو زراعتها أو الاتجار بها إلا لأغراض يحددها القانون وبوساطة جهات مرخص لها بذلك.

التعريف القانوني للمخدرات: هي مجموعة من المواد تؤدي إلى الإدمان في حال سوء استخدامها وتسبب تسمم الجهاز العصبي[٢].

التعريف اللغوي للمخدرات: هي المواد التي تفقد الوعي بدرجات متفاوتة، كالأفيون وما شابهه[٣].

---

(١) همسة في أذن شاب، د. حسان شمسي باشا، ص١٥٣.

(٢) أيها الشباب احذروا الموبقات، فوزي محمد حميد، ص١٢٦.

(٣) القاموس المدرسي، ص٢٩٦.

إذاً فالمخدرات مادة ذات صلة بالأضرار الصحية في حال سوء استخدامها والمداومة عليها،ناهيك عن الأثر المباشر الذي يترتب عنها من غياب للوعي والتخبط بين الخيال والواقع ولهذا الجانب أثر لا يقل في خطورته عن الجانب الصحي والذي سنتحدث عنه لاحقاً فالمتأمل في التاريخ القريب يقرأ ذلك وبوضوح حيث حاولت الدول الاستعمارية ومن خلال مخططاتها وسعيها الحثيث لاستعباد العالم الإسلامي خصوصاً والدول النامية عموماً إدخال المخدرات وعلى نطاق واسع كما فعلت بريطانيا عندما شجعت على زراعة الأفيون في الهند وكما فعلت من أجل السيطرة على الصين والتي احتلتها لأكثر من ثلاثة قرون ففي عام ١٨٣٦م أصبحت الصين بفضل عمليات التهريب من الهند المحتلة من قبل بريطانيا الأخطر في تاريخ البشرية بسبب إدمان معظم مواطنيها عام ١٨٣٨ ولتصبح أغلبية الإدارة الصينية مدمنة وفاسدة وتلا هذه الحقبة الزمنية ما عرف بحرب الأفيون الأولى والتي كان من نتائجها أن أرغمت الصين على تقديم تنازلات مذلة لبريطانيا كتنازلها عن هونغ كونغ ومن ثم جاءت حرب الأفيون الثانية عام ١٨٥٦م والتي انتهت بمذلة أخرى للصين وتتالت الأحداث تحت وطأة هذه الآفة الفتاكة حتى اضطرت الصين إلى توقيع أكثر من ١١٠٠ معاهدة[1] غالبيتها مرتبطة بالمواد المخدرة واستمر هذا الوضع حتى قيام الجمهورية الصينية الشعبية عام ١٩٤٣م.

وهذا ما حذا بالولايات المتحدة الأمريكية وتحت قيادة الرئيس كارتر إلى صرف بلايين الدولارات لزيادة إنتاج الأفيون في الأراضي الأفغانية وليصبح منتجو الأفيون والمدعومين من قبل أميركا يمتلكون ٦٠% من سوق الهيروئين في الولايات المتحدة وأوروبا وحينها كانت أجهزة الإعلام الأمريكية تصف هذه الفئة باسم المحاربون من أجل الحرية وأما في الوقت الراهن فإن فئة أخرى من أبناء ذلك المجتمع الرافض للهيمنة الأمريكية يصنفون وحسب المصالح الأمريكية تحت مسمى ما بات يعرف بالإرهاب.

---

(١) أيها الشباب احذروا الموبقات، فوزي محمد حميد، ص١٥٤.

أقسام المخدرات:

تقسم المخدرات أو العقاقير المسببة للاعتماد النفسي والعضوي في كتب الصيدلة كالآتي:

١- مجموعة الأفيون ومشتقاته مثل المورفين والهيروئين والكودائين وهذه المجموعة هي التي يطلق عليها اسم المخدرات.

٢- مجموعة مثبطات الجهاز العصبي مثل الكحول والباربيتورات ومجموعة البتروديازبين مثل الفاليوم والليبريوم.

٣- مجموعة منبهات الجهاز العصبي وتشمل الكوكائين والأمفتامين ويلحق بهذه المجموعة القات.

٤- المهلوسات ويمثلها عقار ل س د والحشيش والذي يصنف في بعض التقسيمات لوحده ويدخل في هذه المجموعة أيضاً جوزة الطيب.

٥- الغازات والمواد المستنشقة كالغاز الضاحك والأستون والدهان ومذيب البوية والإيثير.

٦- التبغ والمادة المسببة للاعتماد فيه هي النيكوتين[١].

أشهر المخدرات:

١- الأفيون: ويعتبر من أخطر أنواع المخدرات على صحة الفرد الجسمية والعقلية والنفسية لاعتباره جزءاً لا يتجزأ من حياة المدمن في حال إدمانه بحيث لا يمكن لأعضاء المدمن القيام بوظائفها بدون الحصول على الجرعة اللازمة منه نتيجة للآلام الحادة التي يشعر بها ويعاني منها وتأتي خطورته أيضاً من أن إدمانه يحصل لمجرد تعاطيه لثلاث مرات ويؤدي الانقطاع عنه وبشكل مفاجئ إلى الموت.

وتستخرج مادته المخدرة بإحداث شقوق في نبات الخشخاش للحصول على سائل أبيض اللون والذي بدوره يتحول إلى اللون القاتم بعد أن يجف معطياً مادة الأفيون.

---

(١) عن كتاب همسة في أذن شاب، د. حسان شمسي باشا، ص١٥١.

وتختلف أثار الأفيون من شخص لآخر وذلك بحسب عددٍ من العوامل منها الكمية التي يتناولها المتعاطي، وتبعاً لشخصيته وتكوينه الجسمي والنفسي وبالرغم من أن متعاطيه يشعر للوهلة الأولى بالنشاط والقدرة على التخيل والتكلم، ولكن هذا الشعور لا يدوم طويلاً فسرعان ما ينتاب المتعاطي ضعفٌ عام في الجسد واصفرارٌ في اللون وزرقة في العينين واضطرابٌ في الحالة النفسية وبالتالي ينتهي الأمر بالمتعاطي إلى النوم العميق والذي يتحول في بعض الأحيان إلى السبات.

وقد يؤدي الأفيون في بعض حالات إدمانه إلى هبوط عام في الجهاز العصبي وتغيرات في أوعية المخ الدموية وبالتالي إحداث الترف الدموي أو الجلطة[1].

وللأفيون استخدامات في المجال الطبي باعتباره مادة مخدرة تدخل في عدد من الأدوية.

٢- المورفين: وهو من مشتقات الأفيون وأكثرها شيوعاً ويستخلص منه بعمليات كيميائية ويترك ذات الصفات الجسمية والنفسية التي يتركها الأفيون على متعاطيه ومدمنيه وتتلخص المظاهر العامة للمورفين على مدمنيه بسيلان الأنف والإقياء المتكرر والضعف العام والتشوش في الإدراك وجفاف الفم وقد تحدث الجرعة الزائدة منه إحباطاً لمركز التنفس وهبوطاً في ضغط الدم وقد يحدث السبات الذي ينتهي بالموت[2] وللمورفين بعض الاستخدامات في الأغراض الطبية باعتباره مسكن للألم.

٣- الهيروئين- الديامورفين: من مشتقات الأفيون أيضاً ويستخرج منه بعمليات كيميائية بسيطة ويعتبر الهيروئين أكثر مادة مخدرة مسببة للاعتماد العضوي فإدمانه واعتياده يجري بعد فترة وجيزة من التعاطي وهو من أشد المخدرات سيطرةً على مدمنيه بحيث يشعر المدمن ولمجرد الانقطاع عن أي جرعة بتصلب

---

(١) أيها الشباب احذروا الموبقات، فوزي محمد حميد، ص١٤٧.

(٢) أيها الشباب احذروا الموبقات، فوزي محمد حميد، ص١٥٠.

العضلات والآلام الشديدة ويعتبر أيضاً من أغلى المخدرات ثمناً وهو ذو قوة تخديرية تعادل أضعاف قوة المورفين بحيث يعتبر مسكن للألم بقوة تصل من ٥ إلى ٨ أضعاف المورفين[١] وللهيروئين ذات الآثار التي يتركها الأفيون على المتعاطي فهو يشعره في بادئ الأمر بالنشاط والحيوية ثم ينتابه شعور بالضعف الجسدي العام وفقدان للشهية والأرق.

٤- الحشيش: ويطلق هذا الاسم كمصطلح شعبي في الأوساط العربية على المادة المستخرجة من العصارة الصمغية والتي تفرزها الأجزاء العليا من نبات القنب الهندي وتختلف هذه التسمية من بلد إلى آخر وذلك تبعاً للمنطقة التي يزرع فيها أو المنطقة التي يستهلك فيها في حين أن التسمية العلمية لهذه المادة المخدرة هي القنب الهندي والتي غالباً ما تطلق في ميدان الطب ويستخرج من هذه النبتة أيضاً مادة مخدرة أخرى وهي خليط من الأوراق والأزهار وتعرف باسم الماريجوانا ومن أهم أصناف الحشيش انتشاراً هو ما يعرف باسم زيت الحشيش والمعروف باسم صبغة القنب الهندي في الصناعة الصيدلانية وهو عبارة عن مادة لزجة ذات لون أخضر غامق.

ومن أهم السمات التي يتركها الحشيش على المتعاطي الشعور بالنشوة والميل إلى الضحك ولكن هذا الشعور يترافق بهلوسات سمعية وبصرية بحيث تختل أحجام وأشكال المرئيات والمسافات ويمر الزمن ببطء شديد عند المتعاطي وتختل ذاكرته وتحمر عيناه وتتسرع دقات قلبه وعلى الرغم من سهولة الإقلاع عن تعاطي الحشيش غير أن هذا الأمر يصعب عندما يكون هناك إدمان مزدوج وهو الحاصل من ترافق تعاطي الحشيش مع مخدر آخر كالهيروئين والكوكائين.

٥- الكوكائين: وهي مادة مخدرة تستخرج من أورق نبات الكوكا فقط واستخرجت لأول مرة منذ حوالي المائة عام وتوجد هذه النبتة في جبال الأنديز في أمريكية الجنوبية وفي بعض دول القارة الآسيوية.

---

(١) روائع الطب الإسلامي، د محمد نزار الدقر، ج٣ ص١١١.

وعلى الرغم من اعتبار الكوكائين منبهاً قوياً غير أن تعاطيه سرعان ما يؤدي إلى تسمم النهايات العصبية ويحدث فاقة دم دماغية إذا ما وصل تأثيره إلى أوعية المخ[1] وغالباً ما ينتهي بالموت ولذلك يعتبر من أشد المخدرات فتكاً بالإنسان وأكثر مادة مخدرة مسببة للاعتماد النفسي-الإدمان النفسي- وكنتيجة لتعاطيه عن طريق الأنف فإنه يؤدي إلى تقرحات في الأغشية المخاطية وإلى انثقاب الجدار بين المنخرين وللكوكائين ذات الآثار التي تتركها المواد المخدرة على المتعاطي فهو في البدء يشعر متعاطيه بالبهجة والنشاط ولكن سرعان ما يتبع ذلك شعوراً بالقلق والخوف واللذان يوصلان المتعاطي إلى درجة الهلوسة وغالباً ما تؤدي الجرعات الكبيرة من الكوكائين إلى الموت المفاجئ.

ونتيجة لأضرار الكوكائين على المتعاطي والتي قد تصل به إلى حالة الإدمان منع الأطباء استخدامه الدوائي واقتصر استخدامه كمخدر موضعي وسرعان ما منع عند ظهور المخدرات الموضعية الأسلم ومن مشتقات الكوكائين مادة الكراك[2] والتي تعد أكثر مفعولاً منه من الناحية التخديرية.

آثار المخدرات:

١- الأثر الصحي والنفسي:

على الرغم من أن تعاطي المخدرات يسبب شعوراً مؤقتاً بالسعادة والنشاط غير أن هذا الشعور سرعان ما يتلاشى ويزول بعد عدة جرعات حيث يظهر الأثر السمي في الجهاز العصبي والذي يتحكم بأجهزة الجسم المختلفة وهذه السمية بدورها تؤدي إلى وقف وظائف أجهزة الجسم المختلفة نتيجة للمخدر الذي يتركز داخل الأعصاب، وبالرغم من أن لكل مخدر تأثيره الخاص على العضوية بسبب نوع المخدر وتركيبته وخواصه وطريقة استعماله وسرعة وصوله إلى الدماغ غير أنها

---

(١) أيها الشباب احذروا الموبقات، فوزي محمد حميد، ص١٦٢.

(٢) همسة في أذن شاب، د. حسان شمسي باشا، ص١٥٥.

بمجملها في حالة إدمانها وسوء استخدامها تؤدي إلى تلك السمية وبالتالي تظهر الآثار المدمرة في أجهزة الجسم المختلفة كالقلب والكلى والمخ وجهاز الهضم وجهاز الدوران وغيرها من أجهزة الجسم واللافت من تلك الأضرار ما تحدثه المخدرات من آثار تدميرية على الخصوبة والتناسل والأجنة والأمهات وبما يتناقض تماماً مع الاعتقاد السائد في أوساط مدمنيها ظناً منهم بأنها تسهم في زيادة الرغبة والإثارة الجنسية وتزيد من متعتهم غير أن كل الباحثين والمختصين في هذا المجال أكدوا أن الإدمان في نهاية المطاف ما هو إلا وبال يهدد الجنس البشري ويؤدي إلى العنانة والعجز الجنسي لدى الرجال وإلى العقم والبرود الجنسي لدى النساء المدمنات.

ويكمن سبب هذا الاعتقاد في أوساط المدمنين والمتعاطين بأن معظم المواد المخدرة تشوه وتحرف الإدراك الزمني أي أن المدمن يفقد الشعور بالزمن وذلك من خلال اتساع حيز الزمان وبالتالي يفقد القدرة على إدراك الزمن الحقيقي لتمتد الدقيقة عنده لوقت غير متناهي وعندها يعتقد بزيادة المتعة الجنسية من خلال قدرته على الجماع وتأخر القذف ومن هنا جاء هذا الإدعاء الكاذب بأن للمخدرات أثر في القدرة الجنسية أو في إطالة القذف بل على العكس تماماً فكثيراً ما يصاب المدمنون بعدد من الأمراض والمشاكل الجنسية كالعنانة وفشل القذف أو الشعور بالألم أثناءه وقد يصل بالبعض منهم في نهاية المطاف إلى ضعف الشهوة الجنسية[1] فمثلاً وصلت نسبة العنانة في أوساط مدمني الهيروئين إلى ٣٩% في حين كان أثره على النساء المدمنات أن فقدن الرغبة الجنسية بينما كان للمورفين خطر أكبر عليهن حيث أثبتت الدراسات العلمية أن إدمانه يمنع الإباضة وهذا بدوره يؤدي إلى العقم وأما إدمان الماريجوانا المديد فإنه يؤدي إلى تغيرات جنسية في قدرة الذكر الإنجابية من خلال تأثيره وبشكل مباشر على هرمون الذكورة التستوستيرون ناهيك عن الضعف الذي يحدثه في عدد الحيوانات المنوية والتي قد تصل إلى النصف كما أن للقنب ومشتقاته

(١) روائع الطب الإسلامي، د محمد نزار الدقر، ج/٣ص/١١١.

أثر مباشر على الخصية والمبيض وأما إدمان القات فله دور في الضعف الجنسي من خلال أهلاكه للصلب وإضعافه للمني وبالتالي يؤدي بمدمنيه إلى العنانة كما وأن إدمانه من قبل النساء يقلل من حليب الأمهات المرضعات وأما إدمان ما يسمى ل س د فهو يحدث تغير في الكر وموسومات الحاملة للصبغيات الوراثية[1] وبالتالي يؤدي إلى تشوه الأجنة عند المدمنات الحوامل وأما إدمان الأمفيتامين فيؤدي بصاحبه إلى الضعف الجنسي وهذا هو شأن الكوكائين فإن مدمنيه يمتازون بفقدان كامل للاهتمامات الجنسية بل ويتعدى ضرر إدمانه للمدمنين ليصل إلى ذريتهم فغالباً ما تكون غير طبيعية.

ومن ناحية أخرى فقد أشارت الدراسات العلمية إلى وجود ترابط وثيق بين إساءة استعمال المخدرات وانتشار الأمراض المنتقلة بالجنس وخاصة ما يعرف باسم مرض نقص المناعة المكتسب الإيدز[2].

وأما الأضرار النفسية للمخدرات فإن الخصائص النفسية للمدمن تختلف باختلاف نوع الإدمان إلا أن هناك خصائص مشتركة بين المدمنين تكاد تنحصر في عدم ترابط الأفكار وضعف التركيز والحالة العصبية والحساسية الزائدة والشعور بالاضطهاد والكآبة والقلق والتوتر وحدوث أهلاس سمعية وبصرية وتخيلات قد تؤدي إلى الخوف فالجنون أو الانتحار[3].

٢- الأثر الاقتصادي:

إن الضرر الاقتصادي للمخدرات لا يحصر بالفرد بحد ذاته بل يتعداه لينعكس على المجتمع بأكمله وخاصة عندما يتحول تعاطي المخدرات من مجرد حالة فردية إلى ظاهرة اجتماعية عامة وفي هذه الحالة يصبح الضرر الاقتصادي للمخدرات عبئاً ثقيلاً

---

(١) أيها الشباب احذروا الموبقات، فوزي محمد حميد، ص١٧١.

(٢) روائع الطب الإسلامي، د. محمد نزار الدقر، ص١٠٧.

(٣) روائع الطب الإسلامي، د. محمد نزار الدقر، ص١٢٢.

على كاهل المجتمع وغالباً ما تكون هذه الأضرار على الصعيد الفردي مرتبطةً بتدني إنتاج الفرد المدمن وبطالته كنتيجة للحالة التي يعاني منها ولكن كما أسلفنا فإن الضرر يتعدى الفرد ليصل إلى المجتمع وهذا ما تظهره بعض الدراسات المختصة في هذا المجال والتي أشارت إلى ما تعانيه بعض المجتمعات من التبعات السلبية لتعاطي المخدرات وإدمانها وخير ما تتجلى فيه تلك الأضرار انتشار الجريمة وارتفاع أعدادها وازدياد حوادث السير وضياع الممتلكات الخاصة والعامة وارتفاع الإنفاق الصحي إلى مبالغ طائلة في معالجة الأمراض المترتبة عن تعاطي المخدرات أو إيجاد مراكز صحية ونفسية لمعالجة المدمنين وبالتالي تبديد طاقات المجتمع في عمليات المكافحة والضبط والسجون والملاحقة.

ولذات الغرض فقد رسمت السلطات الأمريكية المختصة بمكافحة المخدرات الطريق الحالي الذي يسلكه نبات الكوكا منذ أنتاجه في حقول أمريكا اللاتينية وحتى وصوله إلى يد المستهلك فالمزارع يبيع ما وزنه ٥٠٠ كغم من أوراق الكوكا بنحو ٢٥٠ دولاراً وهذه الكمية تحول إلى ٢,٥ كغ من معجون يتراوح ثمنه من ١٠٠٠ إلى٣٠٠٠ دولار ويستخدم في إعداد كيلوا غرام واحد من الكوكائين النقي الذي تتراوح قيمته ما بين ٥٠٠٠ و ١٠٠٠٠ دولار والذي يحول إلى كيلوا غرام واحد من هيدروكلوريدات الكوكائين ليباع بمبلغ يتراوح بين ٨٠٠٠ و ١٥٠٠٠ دولار ونفس هذه الكمية وبمجرد تهريبها من دول أمريكا اللاتينية إلى الولايات المتحدة ترتفع قيمتها لتصل إلى ما بين ٣٦٠٠٠ و٣٨٠٠٠ دولار ولدى وصولها إلى تجار الجملة فإنهم يذيبونها بإضافة مواد أخرى إليها لمضاعفة وزنها وبهذا يتضاعف ثمنها ليتراوح ما بين ٧٢٠٠٠ و٧٦٠٠٠ دولار وأما حين تصل هذه الكمية إلى أيدي تجار التجزئة في الشوارع فإن نسبة نقائها تكون قد انخفضت من ١٠٠% إلى نحو ١٢% وبذا ترتفع أرباحها إلى ٨٠٠٠٠٠ دولار[1].

(١) عن كتاب التربية الوقائية من المخدرات، د. سعيد محمد الحفار، ص٤٤.

وللقارئ نذكر بعض الأرقام والتي تبين في طياتها الأضرار الاقتصادية المترتبة عن تعاطي المخدرات على صعيد الفرد والمجتمع.

فعلى سبيل المثال فإن سعر الغرام الواحد من الهيروئين وهو أغلى أنواع المخدرات ثمناً يتراوح ما بين ١٠٠٠ و٢٠٠٠ فرنك فرنسي فالمدمن الذي يستعمل غراماً واحداً في اليوم يحتاج إلى ٣٠ ألف فرنك فرنسي أي ما يعادل ٥٠٠٠ دولار في الشهر فمن أين للمتعاطي هذا الدخل الكبير لينفقه على المخدرات إلا إذا سلك طريق الجريمة وهذا ما يدفعه إلى إتباع أنماط الجرائم المختلفة كالسرقة والسطو المسلح والقتل لتوفير ما يحتاجه من أموال لينفقها على المخدرات وهذا ما تبينه المادة التالية ففي الولايات المتحدة الأمريكية وصل عدد المقبوض عليهم في جرائم ذات علاقة بالمخدرات إلى ٢٠% من مجموع السجناء الأمريكيين وعلى مدى الأعوام الخمسة عشر المنصرمة اعتقل شخص بمعدل دقيقتين من متعاطي الماريجوانا وأما في كندا فقد تبين أن كل تسعة مدمنين من أصل عشرة ملاحقين بجريمة أخرى غير جريمة الإدمان.

وأما الأضرار الاقتصادية للمخدرات في المجتمع فتبينها أعداد المدمنين والمبالغ التي تنفق من قبلهم للحصول على المواد المخدرة أو الأموال التي تنفق من قبل الدول لمكافحة هذه الظاهرة فالإحصاءات تشير إلى وجود مليون ومئتي ألف مدمن في إيران وحدها من بينهم ٧٠٠ ألف يتعاطون المخدرات بشكل غير منتظم حتى بلغ وزن ما تستهلكه العاصمة طهران وحدها من المواد المخدرة نحو خمسة أطنان يومياً لذلك كان يترتب على الدولة هناك أن تنفق أكثر من ٧ بليون دولار لمكافحة المخدرات.

وأما في الولايات المتحدة الأمريكية فيستورد بصورة غير رسمية ما قيمته ١١٠مليارات دولار من الماريجوانا والكوكائين والهيروئين فقط وليصل عدد من يتعاطوا الكوكائين والمخدر المشتق عنه والمعروف باسم الكراك أكثر من عشرة ملايين أمريكي بصورة شبه منتظمة ويقدر ما ينفق على هذين الصنفين كقيمة شرائية بنحو ٣٠ بليون دولار سنوياً وقد قدر المعهد القومي لمكافحة الإساءة في

استخدام المخدرات هناك عدد الأمريكيين الذين جربوا تعاطي الكوكائين خلال العقد المنصرم بقرابة ٢٢ مليون أمريكي وأن نحو ٥,٧ مليون شخص آخرين يواظبون على تعاطيه كما وتقدر السلطات الأمريكية قيمة المخدرات الثقيلة التي تستهلك في الولايات المتحدة بقيمة مالية تتراوح بين ٤٠ و٥٠ ألف مليون دولار سنوياً وحتى ندرك ضخامة هذا المبلغ لا بد من مقارنته بما تصرفه الحكومة الأمريكية على نظام التعليم الابتدائي والثانوي والذي يبلغ ١٨٣ ألف مليون دولار في حين يبلغ ما تنفقه على النظام القضائي بـ٤٦ ألف مليون.

وفي كولومبيا فقد أنفقت الحكومة خلال عام ١٩٩٥م ما مجموعه ٩٠٠ مليون دولار لمكافحة المخدرات.

وأما في جامايكا فيتم استهلاك ٥٠٠ طن من الماريجوانا سنوياً في حين بلغ عدد مدمني المخدرات في روسيا ما يقارب ٣٠٠ ألف مدمن ووصل عدد من يتعاطون المخدرات بأصنافها المختلفة في الوطن العربي أكثر من خمسة ملايين عربي.

وأما على الصعيد العالمي فقد بلغ حجم ما أنفقته الدول عام ١٩٧٤ في مجال تجارة المعلومات بنحو ١٠٠ مليون دولار وقد نوهت المصادر المنبثقة عن هيئة الأمم المتحدة وقبل قرابة العقد من الزمن إلى أن حجم تجارة المخدرات قد ناهز ٤٠٠ مليار دولار أي ما يعادل ٨% من حجم التجارة العالمي وهذه التجارة تحتل المرتبة الثالثة بعد تجارة الأسلحة والدعارة وهي تفوق حجم تجارة النفط والغاز والكيمياويات وضعف صناعة السيارات وأما عدد الحشاشين على الصعيد العالمي وبحسب ذات المصادر فقد بلغ أكثر من ٣٠٠ مليون حشاش.

٣- الأثر الاجتماعي:

قد يقع على الأسرة الضرر الأكبر من حالات الإدمان الفردية ولاسيما إن كان الأب هو المدمن وتتلخص الأضرار الاجتماعية على المستوى الأسري في عدد من النقاط نذكر منها تردي أوضاع الأسرة و تفسخ الروابط الاجتماعية في ما بين

أفرادها وتبديد طاقات الأسرة المادية لعلاج المدمن أو المتعاطي أو لتوفير احتياجهما من المواد المخدرة وهذا ما قد يدفع بالأسرة إلى سلوك المنحى اللاأخلاقي واللاشرعي للحصول على المال وخير مثال على ذلك ما أشارت إليه الإحصاءات الرسمية في أوروبا والذي يفيد بأن قرابة ١٥ مليون فتاة تتراوح أعمارهن بين الثالثة عشرة والسابعة عشرة يمارسن الدعارة نتيجة لتفشي الإدمان بين أفراد أسرهن.

وأما الأضرار الاجتماعية عندما تتخطى المستوى الفردي والأسري إلى المستوى الجماعي فيكون ذلك مؤشراً عن تحول ظاهرة التعاطي والإدمان من الحالة الفردية إلى الظاهرة الجماعية وحينها يمكن اعتبار المخدرات معول هدمٍ للمجتمع بأسره حيث لا يمكن حينها حصر الأضرار التي قد تترتب عن هذه الظاهرة.

فالمخدرات تعد أكبر مصدر للجريمة من خلال ازدياد أعدادها وارتفاع معدلاتها في المجتمعات التي تعاني من هذه الظاهرة كما ويترتب عنها ازدياد حوادث السير وضياع الممتلكات العامة والخاصة وتدني مستوى الإنتاج في العمل وقد بينت بعض الدراسات أن ٧٠% من الذين يتعاطون المخدرات في تلك المجتمعات إنما يفعلون ذلك في أماكن عملهم سواء كانت تلك الأماكن أجهزة حكومية أو شركات أو مصانع كما ويترتب عن هذه الظاهرة أيضاً ازدياد النفقات المالية للمجتمع والتي تصرف في مجال المكافحة أو في مجال إقامة المراكز الأمنية المختصة في شؤون المخدرات أو في مجال إقامة المراكز الصحية الطبية والنفسية التي تشرف على معالجة حالات الإدمان والأمراض المترتبة عنه وبالتالي يصبح المجتمع فاقد للسيطرة على كيانه ومقوماته لهذا كانت الدول الاستعمارية تلجأ إلى ترويج المخدرات أو تشجع على زراعتها في المناطق التي تحتلها أو تريد احتلالها لفرض سيطرتها وبسط نفوذها وسلطانها وخير مثال على ذلك ما أسلفنا ذكره من حروب الأفيون والتي سيطرة من خلالها بريطانيا على أكبر تجمع بشري ولمدة ثلاثة قرون.

ومن أخطر الأضرار الاجتماعية للمخدرات أن هذه الآفة سرعان ما تجد لها طريقاً في أوساط صغار السن فقد أشارت التقارير المختصة بأن ٤,٢% من مستهلكي المخدرات على الصعيد العالمي هم دون الخامسة عشرة.

وأما على الصعيد الدولي فقد بلغ عدد من يدخنون خليطاً من الكوكايين والماريجوانا والتبغ في كولومبيا قرابة ٦٠٠٠٠٠ ألف من صغار السن وذلك خلال عام ١٩٨٣م في حين كان عدد المتعاطين لأصناف مختلفة من العقاقير المشتقة من المخدرات في المكسيك قرابة ٣٠٠٠٠٠ طالب وقد أظهرت الدراسات الطبية أن عدد المراهقين الذين يتعاطون المخدرات في موسكو زاد خلال عام ١٩٩٨م ١٤ ضعفاً ليبلغ عدد من راجعوا مراكز العلاج من آفة تعاطي المخدرات خلال ستة أشهر قرابة ٦٥٠٠ مراهق وفي عام ١٩٩٧ بينت الدراسات أن حوالي ٢٣% من طلبة المرحلتين الإعدادية والثانوية ما بين الصف السابع والحادي عشر جربوا المخدرات ولو لمرة واحدة وأما في أمريكا وكنتيجة لتفشي هذه الآفة بين طلاب المدارس فقد وجه الرئيس الأمريكي عام ٢٠٠٠[1] نداءً دعا فيه إلى تحرير المدارس الأمريكية من وباء المخدرات.

ونتيجة لآثار المخدرات الاجتماعية والاقتصادية والصحية تنبهت البشرية في القرن الماضي للأخطار المحدقة بها والمترتبة عن سوء استخدام المخدرات ولهذا الغرض عقدت ما لا يقل عن اثنتي عشرة معاهدة متعددة الأطراف على الصعيد العالمي لمراقبة العقاقير بين عامي ١٩١٢ و١٩٧٢ وكانت الاتفاقية الوحيدة للمخدرات عام ١٩٦١ في نيويورك وبصيغتها المعدلة عام ١٩٧٢ أول عمل متكامل للرقابة على المخدرات في نطاق الأمم المتحدة والتي جمعت بين معظم المعاهدات والاتفاقيات السابقة والتي يوصي أغلبها بتبادل المساعدات والتعاون بين الدول لتعقب مجرمي المخدرات ومساعدة المنظمات الدولية في جهودها من أجل مكافحة المخدرات.

---

(١) الأرقام مأخوذة عن كتابي التربية الوقائية من المخدرات، د. سعيد محمد الحفار. وأيها الشباب احذروا الموبقات، فوزي محمد حميد.

كما وتم من خلالها إيجاد جهاز دولي لمراقبة المخدرات وهذا بدوره يصدر تقريراً سنوياً عن استخدامها في العالم واعتبر يوم ٢٦ حزيران من كل عام يوماً عالمياً لمكافحة المخدرات والاتجار غير المشروع بها.

وكون العلاقة بين المجتمع والمخدرات مشكلة في تطور مستمر وكنتيجة للاهتمام العالمي في معالجة هذه الآفة لا يكاد يخلو عقد من الزمن في الآونة الأخيرة إلا وفيه عدد من الاتفاقيات الدولية أو الإقليمية والتي تسهم بشكل أو بآخر في الإقلال من عمليات التهريب والاتجار غير المشروع بالمخدرات وبالتالي فإن هناك دور لهذه الاتفاقيات في الحد من انتشار المخدرات بين أفراد الجنس البشري ولهذا ذهبت الكثير من الدول إلى تجريم كافة الأنشطة غير الرسمية المتعلقة بالمخدرات وفرضت عقوبات متفاوت ومتباينة أدناها الاعتقال المؤقت والذي قد يصل في كثير من الأحيان إلى الاعتقال المؤبد أو الإعدام في بعض الدول.

وكون الإسلام منهج شمولي وتفصيلي فقد وقف من المخدرات وقفة صارمة وجعل حكمها في التحريم كحكم الخمر.

الإسلام والمخدرات:

لا يوجد نص صريح في النصوص الشريفة من آيات الذكر الحكيم أو النصوص النبوية المطهرة ينص على تحريم تعاطي المخدرات والسبب في غياب هذا النص والمختص بتحريم المخدرات بالاسم بأنها لم تكن معروفة زمن التنزيل وهي سواء كانت طبيعية كالحشيش والأفيون وأوراق الكوكا والقات أو كانت مصنعة مثل المورفين والهيروئين أو مركبة كالمنومات أو المسكنات والعقاقير المنبهة والمنشطة والمهلوسات كانت غير موجودة في تلك الحقبة الزمنية فالقات مثلاً نقله الأحباش معهم إلى اليمن عام ٥٢٥ ميلادي وأما الكوكائين فقد استخرج من نبات الكوكا لأول مرة منذ حوالي القرن وظهر المورفين في مطلع القرن التاسع عشر[1] فالمخدرات بأصنافها

(١) روائع الطب الإسلامي، د محمد نزار الدقر ج/٣ ص١٠٦.

المختلفة وخاصة ما كان منها مصنعاً أو مركباً مستحدثة في حين إن المخدرات الطبيعية كانت نادرة أو غير موجودة في ذلك الوقت ولهذا السبب لم يتكلم فيها الأئمة الأربعة ولكن من جاء بعدهم من فقهاء وعلماء هذه الأمة تكلموا فيها وقاسوها بالخمر وقالوا بأن الحد واجب على شاربها كحد شارب الخمر[1] وقالوا بأن أعراض الخمر تبدأ بفترة من النشاط والنشوة والشعور بالدفء ومن ثم الإحساس بالارتخاء والدوار وبالتالي تصبح حركات المخمور غير متزنة وهذه الأعراض هي ذاتها أعراض المخدرات فهي نشوة في البدء ثم يتبعها تعب وهمود وكسل وميل للنوم ناهيك عن ما تحدثه من تخيلات وغياب للعقل واضطرابه لذلك أجمع فقهاء المذاهب على تحريمها[2] لما فيها من ضرر حسي ومعنوي ونفسي وصنف الفقهاء المسكر إلى نوعين:

أحدهما: ما كان فيه لذة وطرب سواء كان هذا المسكر جامداً أو مائعاً أو كان مطعوماً أو مشروباً أو كان من حبٍ أو ثمرٍ أو لبنٍ أو غير ذلك وجعلوه كالخمر المحرم شربه وأدخلوا في هذا الصنف الحشيشة التي تؤخذ من ورق القنب وغيرها مما يؤكل لأجل لذته وسكره وفي هذا الصنف يقام الحد.

والثاني: ما يزيل العقل ويسكر ولا لذة فيه ولا طرب كالبنج ونحوه فلا حد فيه إن كان للتداوي وأما إن كان تناوله لغير حاجة مبررة شرعاً فقد قال أكثر العلماء بحرمته لأنه يسبب إزالة العقل لغير حاجة[3] وفيه التعزير[4] لأن من أهداف الإسلام الحفاظ على عقل الإنسان ذلك لأنه مناط التكليف وهو قاعدة المسؤولية لذلك فإن كل ما يغيب العقل يحرم باتفاق المسلمين.

وفي هذا يقول الإمام ابن تيمية: وأما قول القائل إن هذه.. أي المخدرات.. ما فيها آية ولا حديث فهذا من جهله فإن القرآن والحديث فيهما كلمات جامعة هي

---

(١) فتاوى الخمر والمخدرات، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ص١٠٨.

(٢) في رحاب الطب النبوي والعلم الحديث، محمود طلوزي، ص٨٢.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ص٧٩٩.

(٤) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ص٧٩٩.

قواعد عامة وقضايا كلية تتناول كل ما دخل فيهما وكل ما دخل فيها فهو مذكور في القرآن والحديث باسمه العام وإلا فلا يمكن ذكر كل شيء باسمه الخاص ومثال ذلك دخول جميع المسكرات في معنى الخمر لذلك قال ﷺ عندما سئل عن شراب يصنع من الذرة فقال كل مسكر حرام وبذلك بين بكلمة جامعة بأن كل مسكر حرام فالقاعدة الكلية في الشريعة الإسلامية هي تحريم الخبائث وإباحة الطيبات بل أن كل ما ثبت ضرره ثبتت حرمته فالطيبات التي أباحها الله هي المطاعم النافعة للعقول والأخلاق والخبائث هي الضارة للعقول والأخلاق لقوله تعالى: ﴿... **وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**...﴾ [الأعراف ١٥٧].

فلذلك كان كل مسكر خمر وحرام وأن ما أسكر كثيره فقليله حرام وسواء كان المسكر من الثمار أو الحبوب أو العسل أو لبن الخيل أو غير ذلك.

وقال فيها أيضاً وكانت هذه الحشيشة الملعونة من أعظم المنكرات وهي شر من الشراب المسكر من بعض الوجوه والمسكر شر منها من وجه آخر فإنها مع أنها تسكر آكلها حتى يبقى مصطولاً تورث التخنيث والديوثة وتفسد المزاج فتجعل الكبير كالسفنجة وتوجب كثرة الأكل وتورث الجنون[1].

فالمخدرات حرمت في الشريعة الإسلامية كونها من الخبائث وبها يزال العقل بالإضافة إلى أنها مدعاة إلى التبذير والإسراف ودافعاً للجريمة.

❁ ❁ ❁

(١) فتاوى الخمر والمخدرات، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ص٣١.

النظافــة:

لقد حرص الإسلام بداية على نظافة القلب وذاك بتخليه من أوبئــة الــشرك والكبر والغل فقد قال ﷺ: «من فارق الروح الجسد وهو بريءٌ من ثلاث دخل الجنة من الكبر والغلول والدين»[1].

بل وحض الإسلام على نظافة القلب من الحسد ليتجنب أمراض النفس التي قد تكون في كثير من الأحيان أشد فتكاً بنا من أمراض البدن العضوية.

وكما أولى الإسلام اهتماماً بنظافة القلب كان اهتمامه بنظافة الجسد جلياً مــن خلال الحض على كل ما من شأنه أن يجعل هذا الجسد طاهراً من كل الأدناس التي قد تشوبه واللافت في النصوص الشريفة بأن الإسلام أمر بالتعقيم وحارب التلوث حيث أطلق في هذه النصوص على التعقيم اصطلاح الطهارة والمقصود بها هنا خلو الشيء من العوامل الممرضة أو المواد الحاملة لهذه العوامل ومنها الميكروبــات وأطلقــت كلمــة النجاسة على المواد الملوثة الحاملة لهذه العوامل.

وشروط الإسلام لإزالة النجاسة هي إزالة الميكروب وكان يــستخدم لهــذا الغرض في بعض الأحيان السدر وهو ورق شجرة كانت تغني عن الصابون تنظيفــاً ورائحة ومثلها الأشنان[2] ولكي نضمن إزالة الميكروب يشترط على الفــرد إزالــة النجاسة ورائحتها وطعمها أيضاً وبهذا يكون الشرع الإسلامي أول من نبــه إلى أن تغيير اللون والرائحة والطعم دليلاً على وجود ميكروب يتفاعل لذا قــال الفقهــاء بنجاسة الماء غير المطلق الذي تغير فيه اللون أو الطعم أو الرائحة ضــمن ضــوابط شرعية وبعدم جواز استخدامه للطهارة[3].

---

(١) سنن ابن ماجه، ك/ الأحكام بـــ/ التشديد في الدين.

(٢) يوم الفزع الأكبر، الإمام القرطبي، ص٤٧.

(٣) تنوير القلوب، للعلامة محمد أمين الكردي، ص١٠٣.

أما النجاسة والمادة النجسة التي أشار إليها الإسلام والتي قد تحمل الميكروبات فمنها القيح والبراز والدم والبول والقيء والخمر ولعاب الكلب وجسم الخنزير وكل شيء عفن كبقايا الحيوان الميت أو الحي واللافت للانتباه أيضاً بأن الإسلام تحدث عن الميكروبات والطفيليات وأطلق عليها في بعض النصوص كلمة الخبث أو الخطايا أو الشيطان ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ: «إذا توضأ العبد المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة له»[1].

وفي ذلك إشارة واضحة إلى الميكروبات التي تعيش في هذه الأماكن وكثيراً ما يشير القرآن الكريم إلى النجاسة والميكروب بكلمة الرجس والشيطان كقوله تعالى: ﴿**قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ...**﴾ [الأنعام: ١٤٥].

ويشير إلى الطهارة أي التخلص من الميكروب بالغسيل بالماء الجاري[2] فيقول تعالى: ﴿**...وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ**﴾ [الأنفال: ١١].

والدعوة إلى نظافة الجسد وطهارته وإزالة آثار النجاسة عنه واضحة في التعاليم الإسلامية من خلال دعوة المسلم إلى الاستحمام مرة في الأسبوع على الأقل، وبالاستنجاء بعد قضاء الحاجة وبالوضوء خمس مرات في اليوم الواحد وفي كل مرة يغسل العضو ثلاث مرات، وحبب استخدام السواك قبل وبعد الأكل وفي الصيام وعند كل

---

(١) سنن النسائي، ك/ الطهارة بـ/ مسح الأذنين مع الرأس وما يستدل به...

(٢) قبسات علمية من القرآن والسنة، أ. د. دلاور محمد صابر، ص٢٦٨.

صلاة وقبل النوم وحين الاستيقاظ بل وجعل الإسلام خمس من الفطرة فعن النبي ﷺ «خمس من الفطرة الختان والاستحداد ونتف الإبط وتقليم الأظفار وقص الشارب»[1].

ولنا أن نقف عند كل طريقة من هذه الطرق بالرغم من بيان الحكمة التي أريدت منها جميعاً وهي النظافة.

السبيلين:

ونبدأ بنظافة السبيلين -القبل والدبر- فهما مخرج الفضلات والنفايات من الجسد وهذه بدورها تحتوي على قدر هائل من الكائنات الدقيقة الضارة بالبدن والسموم الفتاكة به لذلك أمر الإسلام بغسلهما بالماء لإزالة آثار النجاسة عنهما لكي لا يعلق من هذه النجاسات أي شيء بالجسد أو بالثياب وقد أثبتت الدراسات أن الاستنجاء بالماء يزيل البكتريا التي تستطيع أن تنفذ من ثماني طبقات من ورق التواليت إلى اليد وتلوثها أثناء عملية التخلص من بقايا البراز بواسطتها وقد ندرك حجم الخطر إذا ما علمنا أن في الغرام الواحد من البراز عشرات الملايين من الجراثيم إنْ لم نقل مئات الملايين وللقارئ أن ينظر في الحديث المروي عن ابن عباس قال: «مرَّ رسول الله ﷺ على قبرين فقال إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير أمَّا هذا فكان لا يستنزه من بوله وأما هذا فإنه كان يمشي بالنميمة»[2].

ليقف على عظمة التشريع الإسلامي في الحض على نظافة البدن فالعذاب المذكور في الحديث مترتب على أن الذنب قادم من عدم تتره المعذب من بوله لأنه كان يترك عدة قطرات تعلق بثيابه.

ومن خلال الحديث ندرك أيضاً شدة الاهتمام بنظافة السبيلين بل إن الشرع الإسلامي عدَّ ذلك من العبادة وقد وجد علمياً أن إهمال نظافة الأعضاء التناسلية قد يكون سبباً في إصابتهما بالسرطان.

---

(١) صحيح البخاري، ك/ اللباس بـ/ قص الشارب.

(٢) سنن النسائي، ك/ الطهارة بـ/ التتره من البول.

الاستحمام:

وأمَّا الحكمة من حض الإسلام على الاستحمام وإنْ كان مرة في الأسبوع فلقد ثبت علمياً أن الجلد المتسخ يعتبر مخزناً لنسبة عالية من البكتريا والفطريات كذلك تعتبر الإفرازات المتراكمة هي المناخ الأمثل لتكاثر ونمو الميكروبات[1].

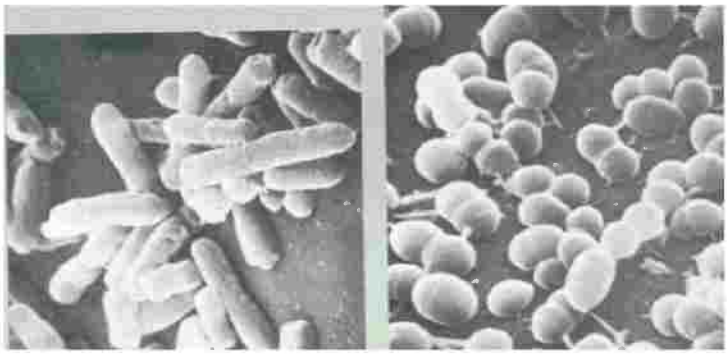

صورة حقيقية لبعض الميكروبات العنقودية والعصوية التي يصاب بها الإنسان

حيث يكثر معظمها على البشرة وجذور الشعر ويتراوح عددها من عشرة آلاف إلى مائة ألف جرثومة في كل سنتمتر مربع من الجلد الطبيعي وأمَّا في المناطق.

المكشوفة منه فإنَّ عدد الجراثيم يصل من مليون إلى خمسة ملايين جرثومة في كل سنتمتر مربع وترتفع هذه النسبة في الأماكن الرطبة مثل المنطقة الأربية وتحت الإبط إلى عشرة ملايين جرثومة ففي حين أنَّ الوضوء ينظف الأماكن المكشوفة من الجسد وهي الأكثر تلوثاً بالجراثيم لذا فإنَّ الوضوء ولخمس مرات باليوم وتكرار غسل هذه المناطق من شأنه أن يزيل القدر الأكبر منها فإن الاستحمام وبحسب الدراسات العلمية يزيل عن الجلد ٩٠% من هذه الكائنات الدقيقة أي بأكثر من مئتي مليون جرثومة في المرة الواحدة وهذه الجراثيم تلتصق بالجلد بواسطة أهداب قوية تمكنها من التعلق به لذا أمر الإسلام بتدليك الجلد في الوضوء والغسل وبالتالي نقف على الحكمة المرادة من التدليك أثناء استخدام المياه للنظافة وهي إزالة أكبر

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي الشريف، عبد الرحيم ماردييني، ص٩٦.

عدد من الجراثيم وخاصةً في حالة الجنابة حيث يترك الإنزال في جميع أنحاء الجسم وخاصة الثنايا إفرازات تفرزها الغدد العرقية المنبثقة[1] الموجودة تحت الإبط وحول السّرة وحول الأعضاء التناسلية وإذا ما تركت هذه الإفرازات على الجسم فإنها تلتصق بالملابس مما يهيئ للبكتيريا المناخ المناسب للنمو والتكاثر وبالتالي خروج رائحة غير مستحبة.

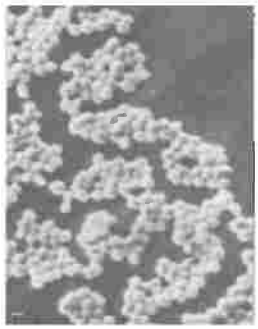

صورة حقيقية تبين أعداداً من الميكروبات العنقودية

ومن ناحية أخرى فإن العملية الجنسية تزداد فيها إفراز مادة الأدرينالين التي تسرع ضربات القلب وتزيد من سرعة التنفس وترفع ضغط الدم وتزيد من إفرازات الغدد العرقية وهذه التغيرات تصل إلى ذروتها عند القذف فيفقد المرء حينها ٦ كيلو سعر حراري في الدقيقة لمدة ٣٠ ثانية وهي فترة قمة اللذة كما يفقد المرء ما يقارب ٤,٥ كيلو سعر حراري في الدقيقة بعد الوصول إلى قمة اللذة وبالتالي فإن العملية الجنسية عبارة عن بذل مجهود عضلي يتبعها خمول وكسل جسمي ولا يعيد النشاط إلى الجسم بعد هذه الفترة إلا الغسل[2].

فالحكمة من وراء الاستحمام تكمن في تخليص الجسد من أنواع الميكروبات التي تلتصق به ومن أنواع الإفرازات التي تساعد في تكاثر ونمو هذه الميكروبات لهذا

---

(١) الإعجاز العلمي في أسرار القرآن الكريم والسنة النبوية/ محمد حسنى يوسف، ج/٢ص/١٥.

(٢) موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي الشريف، عبد الرحيم ماردينى، ص٩٤.

حث سيد الخلق ﷺ على الاستحمام ولو لمرة واحدة في الأسبوع فسنَّ لنا سنة الاستحمام لصلاة الجمعة وفي ذلك يقول: «إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل»[1].

التهابات ميكروبية في الجلد نتيجةً لعدم المواظبة على الاستحمام

المضمضة:

ومضمضة الفم بالماء ثلاث مرات في خمس أوقات من اليوم تخلصه من عدد هائل من الكائنات الدقيقة حيث تستقر داخل الفم أعداد وأنواع كثيرة منها تزيد على ثلاثمائة مستعمرة ويتراوح عدد الجراثيم في اللعاب حوالي مائة مليون جرثومة في كل مليمتر كما وتوجد بعض الفطريات والطفيليات الأولية بأعداد هائلة وهي تتغذى على بقايا الطعام بين الأسنان وينتج من نموها وتكاثرها أحماض وإفرازات كثيرة تؤثر على الفم ورائحته وعلى لون الأسنان وأدائها وهناك عدد من الأمراض التي تترتب عن عدم تنظيف الفم والأسنان نذكر منها:

صورة حقيقية تبين الأعداد الهائلة للميكروبات المتكونة على الأسنان

---

(١) صحيح البخاري، ك/ الجمعة بـ/ فضل الغسل يوم الجمعة....

١- القلح: وهو عبارة عن ما يترسب من مواد عضوية وغير عضوية وكميات ضئيلة من معادن أخرى.

٢- اصطباغ الأسنان: وله نوعان الأول ما يعرف باسم طرامة ويطلق على تلون الأسنان باللون المائل للخضرة والثاني ما يعرف بالحَبَر ويطلق على تلون الأسنان باللون الأصفر.

٣- نخر الأسنان.

٤- التهاب الفم واللسان واللثة.

٥- تقرحات الفم واللسان.

٦- البَخَر: وهو انتشار رائحة كريهة من الفم.

٧- الرُّعال: وهو القيح السنخي السني[١].

ولهذا حضَّ الإسلام على استخدام السواك.

السواك:

قال ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»[٢].

وجاء الحض على استخدام السواك في مجموعة أخرى من الأحاديث النبوية الشريفة وعود السواك من شجرة الأراك وهذه من الفصيلة الأراكية وهي شجيرة دائمة الخضرة تنمو في المناطق الحارة كالسعودية ومصر والسودان واليمن وجنوب أفريقيا والهند وغيرها.

وقد أكدت الدراسات العلمية الحديثة أن المسواك يحتوي على العفص المادة المضادة للعفونة والتي تعمل على قطع نزيف اللثة كما ويحتوي على مادة السنجرين والتي تساعد على الفتك بالجراثيم بالإضافة على احتواء المسواك على مواد تفيد في

---

(١) في رحاب الطب النبوي والعلم الحديث، محمود طلوزي، ص٣٨.

(٢) صحيح البخاري، ك/ الجمعة بـ/ السواك يوم الجمعة.

تنظيف الأسنان وهي مجموعة من بلورات السيليكا وحماضات الكلس ويحتوي أيضاً على مادتين صمغية وكبريتية تحميان الأسنان من التسوس.

كما وأثبتت الدراسات المخبرية بأن لمحاليل الأراك تأثيراً موقفاً لنمو الجراثيم وفي دراسات أخرى أكدت أهمية المواد الكيميائية الموجودة في المسواك كمواد قاتلة للجراثيم بالإضافة إلى العديد من المواد العطرية والسكرية والصمغية والمعدنية واحتواء المسواك على مادة كربونات الصوديوم وهي مادة مستخدمة في تحضير معاجين الأسنان[1].

وبشكل مختصر نقول أن الدراسات العلمية الحديثة أظهرت الحكمة والجدوى من استخدام السواك فقد ثبت علمياً أنه يقضي على الجراثيم والبكتريا السبحية وذلك بزيادة حموضة الفم وجرف الفضلات وإزالة القلح مما يقي من أمراض الفم واللثة والأسنان ويمنع الحمى الروماتيزمية كما ثبت أيضاً أن للسواك تأثير مهبطاً للسكر وتأثيراً مضاداً للسرطان وبالتالي يمكننا اعتبار المسواك فرشاة طبيعية يحتوي على معجون ذاتي في حين أن مفعول المعجون الطبي لا يستمر أكثر من ٢٠ دقيقة فإن للمسواك أثر في قتل الجراثيم يصل إلى مدة ساعتين.

الاستنشاق والاستنثار:

قال ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاثاً فإن الشيطان يبيت على خيشومه»[2].

الاستنشاق: هو إدخال الماء إلى الأنف.

الاستنثار: هو إخراج الماء من الأنف بعد استنشاقه.

واستنشاق واستنثار الماء من الأنف له فوائد طبية كثيرة أهمها: أنه يزيل الإفرازات المتراكمة في جوف الأنف والغبار اللاصق على غشائه المخاطي كغبار الوسط المتواجد فيه وبعض بذور الفطريات والعفنيات المتناثرة في الهواء ويرطب

(١) الإعجاز العلمي في أسرار القرآن الكريم والسنة النبوية، محمد حسنى يوسف، ج/٢ ص٢٢.

(٢) صحيح البخار، ك/ بدء الخلق بـ/ صفة إبليس وجنوده.

جوف الأنف للمحافظة على حيوية الأغشية المخاطية داخله كما أنه يزيل الكائنات الدقيقة التي تعلق في جوف الأنف وتستقر به ولقد أثبتت الدراسات والبحوث التي أجريت لغرض معرفة تأثير الوضع على صحة الأنف أنَّ أنوف من لا يصلُّون تعيش بها مستعمرات جرثومية عديدة وبكميات كبيرة من الجراثيم وأنَّ أنوف المتوضئين ليس بها أي مستعمرات من الجراثيم وإن وجدت هذه الجراثيم في أنوف الذين يصلُّون فهي بأعداد قليلة جداً وسرعان ما تزول لمجرد إتقان الاستنشاق وأنه بعد المرة الثالثة منه يصبح الأنف خالياً تماماً من الجراثيم وهذا يؤدي إلى تحديد طبقة الأنف المخاطية وينشطها مما يساعدها على القيام بوظيفتها على أكمل وجه.

التهابات ميكروبية باللوزتين والحلق والأنف نتيجة لعدم المواظبة على تنظيف الفم المتكرر بالماء وعدم تنظيف الأنف باستنشاق الماء واستنثاره

سنن الفطرة:

والتزام سنن الفطرة المبينة في قوله ﷺ: «خمس من الفطرة الختان والاستحداد ونتف الإبط وتقليم الأظفار وقص الشارب»[1].

(١) صحيح البخاري، ك/ اللباس بـ/ قص الشارب..

لها فوائد كثيرة أثبتتها الأبحاث العلمية ونبدأ بالختان.

الختان:

الختان: موضع القطع من الذكر[١] ومنه قوله ﷺ: «إذا التقى الختانان»[٢].

والأقلف من لم يختتن والقلفة بالضم الغرلة[٣] وهي الجلدة التي تقطع عند الذكر والتي تغطي الحشفة ويسمى الختان بحق الأنثى خفضاً وهو قطع الزائدة من البظر والشفرين الصغيرين وهذا الشيء يشاهد عند النساء في المناطق الحارة.

وقد ورد عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «اختتن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم»[٤].

وجاء في بعض الأحاديث بأن أول من اختتن هو نبي الله إبراهيم عليه السلام والقدوم آلة صغيرة وقيل هو موضع بالشام.

وللختان عند الذكور فوائد صحية عديدة نذكر منها:

١- يعتبر موضع القلفة من القضيب المكان المناسب لتجمع المفرزات الجلدية وخلايا البشرة وهذه بدورها تعتبر الوسط الملائم لنمو الجراثيم والفطور مما يساهم في التهاب القضيب والحل الأمثل لهذه المشكلة يتمثل في الختان.

٢- الختان وقاية من الالتهابات الموضعية في القضيب ومن مسببات هذا انحباس الحشفة الأمامي حيث يحدث تجمع للبول داخل القلفة وبالتالي حدوث إنتان والتهاب الحشفة والقلفة[٥].

---

(١) مختار الصحاح، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر الرازي، ص١٤٩.

(٢) صحيح البخاري، ك/ الغسل بـ/ إذا التقى الختانان.

(٣) مختار الصحاح، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر الرازي، ص٤٨٣.

(٤) صحيح البخاري، ك/ أحاديث الأنبياء بـ/ قوله تعالى واتخذ الله إبراهيم خليلا..

(٥) في رحاب الطب النبوي والعلم الحديث، محمود طلوزي، ص٣٥.

٣- الختان يقي الأطفال من التهاب المجاري البولية حيث وجد من خلال الدراسات أن ٩٥% من التهاب المجاري البولية تحدث عند الأطفال غير المختونين وهذه الالتهابات بدورها قد تؤدي في ٣٥% من الحالات إلى تجرثم الدم وقد تؤدي إلى التهاب السحايا والفشل الكلوي.

٤- وفي الختان وقاية من السرطان وهذا ما أظهرته الدراسات والبحوث التي أجريت لهذا الغرض حيث ثبت أن سرطان القضيب نادر جداً عند اليهود وعند المسلمين الذين يختنون في حين أكدت دراسات أخرى أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية أن معظم المصابين بسرطان القضيب لم يكن بينهم رجل واحد مختون منذ الصغر.

٥- قد يترتب عن عدم الختان بعض الأمراض الجنسية وخاصة عند النساء ومنه العقبول الجنسي وبعض الأمراض الزهرية وسرطان عنق الرحم[١].

٦- إن إصابات مرض الإيدز وبحسب منظمة الصحة العلمية في غير المختونين أكثر بثمانية مرات منها في المختونين[٢].

ومن السنة النبوية أن يتم الختان في اليوم السابع من العمر إذا لم يكن هناك من مانع يحول دون الختان وقد أكد العلم الحديث هذا الهدي النبوي وذلك من خلال تأكيده على أن بول الصبي يكون أقل تلوثاً مما هو عند الأكبر سناً مما يقي الجرح من الإنتان.

وكذلك ففي اليوم السابع تكون عوامل التخثر قد اكتملت مما يقي من الترف[٣].

وبشكل مختصر وبما يخص السنة الأولى من سنن الفطرة نقول بأن الأبحاث العلمية أثبتت أنَّ غير المختونين من الرجال يصابون بمعدل أكبر بأمراض المسالك البولية بسبب ازدياد نسبة الصديد والبكتريا لديهم في البول وخصوصاً الإريشيا

---

(١) عن كتاب روائع الطب الإسلامي، د محمد نزار الدقر، ص١٢٤بتصرف.

(٢) في سبيل صحة أفضل، د عبد الرزاق الكيلاني، ص١٢.

(٣) موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي الشريف، عبد الرحمن ماردييني ص٩٢.

كولاي والكلبسيلا وغيرها من الأمراض التي قد تكون فتاكة ومنه سرطان القضيب كما وقد ثبت علمياً بوجود علاقة بين سرطان عنق الرحم وبين عدم اختتان الرجال فلعدم الختان أضرار نلتمسها على كلا الجنسين.

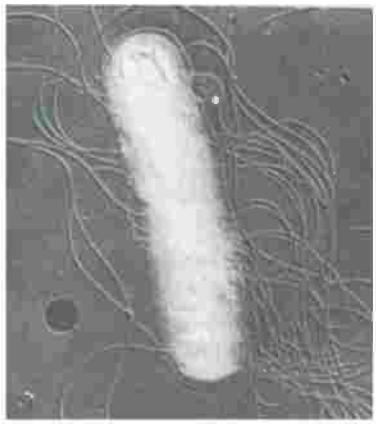

ميكروب الإريشيا كولاي ذو الأهداب الكثيرة التي تجعله يلتصق بإحكام

ختان المرأة.. الخفض:

وقد ورد ختان المرأة في السنة النبوية بعدد من الأحاديث الصحيحة وقد قال جمهور الفقهاء والعلماء بجواز ذلك وعلى أن الأمر للندب أو الاستحباب عدا الشافعية الذين أوجبوه.

ويكون ختان المرأة بأخذ الجزء اليسير من البظر وأما ما يتم في بعض المناطق من أخذ البظر بكامله فهو مخالف للسنة النبوية وهديها ويؤدي من الناحية الصحية إلى مضاعفات كثيرة وهو ما يعرف بالختان الفرعوني وغالباً ما يكون الختان للإناث في المناطق الحارة حيث يغلب أن يكون للنساء بظر نامٍ بشدة مما يزيد في الشهوة الجنسية للأنثى لدى احتكاكه بالبدن أو بالثياب ولختان المرأة فوائد نذكر منها:

١- أن استئصال الجزء اليسير من البظر يعدل من الشهوة لدى الأنثى.

٢- في بعض الأحوال يكون طول البظر عائق للعملية الجنسية بين الذكر والأنثى وبالتالي فإن عملية استئصال مقدم البظر يكون لجعل الجماع ممكناً.

٣- في بعض الأحيان يكون طول البظر من الأمور المساعدة على تجمع الجراثيم تحت القلفة النامية وبالتالي فإن الخفض يسهم في الوقاية من الالتهابات.

الاستحداد:

الاستحداد: هو حلق شعر العانة أي إزالة شعر العضو التناسلي.

ويلتحق بحلق شعر العانة نتف الإبط والحكمة في إزالة الشعر من هذين الموضعين تتجلى بأن إزالة الشعر من هذه المناطق يكون فيها وقاية من بعض الأمراض فترك الشعر في هذه الأماكن هو المسؤول عن مرض تقمُّل العانة والإبط الذي يؤدي إلى تقرحات والتهابات في هذه المناطق التي تتجمع فيها الأوساخ والجراثيم وخصوصاً الفطرية منها كما أنَّ بعض الجراثيم تهوى العيش على مادة الشعر نفسها في هذه الأماكن والتي غالباً ما تكون رطبة ومهيأة لأن تكون وسط مناسب لتكاثرها بالإضافة إلى توجد الغدد العرقية المنبثقة في هاتين المنطقتين التي تفتح في جراب الشعرة حتى يخرج من خلالها الإفرازات وقد ورد في بعض الأحاديث النبوية الشريفة أنه لا يجوز ترك شعر العانة دون حلق أكثر من أربعين يوماً وأما الحكمة في الأربعين يوماً فإن الشعرة تنمو يومياً بمعدل ٠,٠٣مم وبهذا فإن طولها بعد الأربعين يوماً يصل إلى ١,٢سم[1] وهو طول مناسب لنتفه أو حلقه.

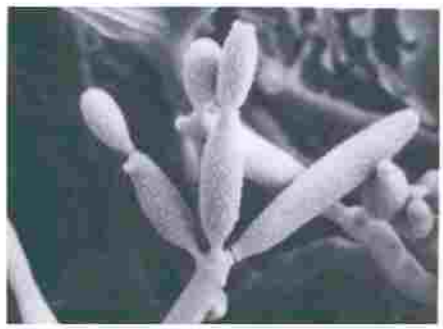

صورة لنوع من أنواع الفطريات التي يصاب بها الجلد وتدعى الكانديدا

(١) الإعجاز العلمي في أسرار القرآن الكريم والسنة النبوية، محمد حسنى يوسف، ج/٢ ص/٣٤.

تقليم الأظافر:

وأمَّا تقليم الأظافر فهو سنة مؤكدة لما روي عن رسول الله ﷺ في كتب الأحاديث وأشهرها تلك التي تحدثت عن سنن الفطرة وقد ورد عن أنس ابن مالك رضي الله عنه في صحيح مسلم قوله: «وقَّت لنا رسول الله ﷺ في قص الشارب وتقليم الأظافر ألا نترك أكثر من أربعين ليلة»[1].

وفي الحديث إشارة إلى أن الأربعين ليلة هي أكثر مدة وقيل الأولى أن يكون الحد الأدنى لتقليم الأظافر من الجمعة إلى الجمعة.

وأما من الناحية العملية والعلمية فقد ثبت أن الأظافر عندما تطول تتجمع تحتها ملايين الجراثيم التي تتخذ من ثنيات الجلد في هذه الأماكن كهوفاً وأخاديد لها وخاصة بعد الاستنجاء مما يسبب الأمراض إنْ أهملنا نظافتها.

قص الشارب:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «انهكوا الشوارب وأعفوا اللحى»[2].

وعنه أيضاً أن النبي ﷺ قال: «من الفطرة قص الشارب»[3].

ويكون قص الشارب وبشكل خاص الجزء المتدلي منه تحت حافة الشفة فهذا الجزء المتدلي معرض للهواء والغبار وهذه بدورها تحتوي على الجراثيم التي تعلق به.

والحكمة في قص الشارب هي أنَّ طوله يؤدي إلى انغماس الشعر في الإناء أثناء الشرب فيلوثه بالجراثيم العالقة به وبالتالي تنتقل للجوف مع الطعام والشراب.

---

(١) صحيح مسلم، ك/ الطهارة بـ/ خصال الفطرة.

(٢) صحيح البخاري، ك/ اللباس بـ/ إعفاء اللحى....

(٣) صحيح البخاري، ك/ اللباس بـ/ قص الشارب.

ولم يقتصر الإسلام على نظافة البدن بل وحرص على نظافة الثوب وهذا ما يبينه قوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤].

فالإسلام جعل من النظافة سلوكاً ملزماً للمسلمين فهو بذلك جعلها جزءاً لا يتجزأ من تعاليم العبادة لقوله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان»[1].

فالدين الحنيف يعلمنا أن المسلم غير النظيف دينه ناقص.

وخير ما تتجلى الحكمة من النظافة التي دعا إليها الإسلام هي تجنب الإصابة بالأمراض العضوية.

❁ ❁ ❁

(١) صحيح مسلم، ك/ الطهارة بـ/ فضل الوضوء.

الذهب:

تحريم الذهب:

قال ﷺ: «أحلَّ الذهب والحرير للإناث من أمتي وحرم على ذكورها»[1].

وقال: «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها»[2].

ولا خلاف بين العلماء من حرمة استعمال آنية الذهب والفضة وهو مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي والعلة في تحريم الشرب فيها ما يتضمنه ذلك من الفخر والخيلاء وكسر قلوب الفقراء ومهما كانت علة التحريم فإن التحريم من باب العبادة أولى.

واللافت في تحريم لبس الذهب على الرجال هو ما أطلعتنا عليه بعض المواقع الإلكترونية بأن له آثر سلبي على الرجال دون النساء لولا ما يعكر صفو هذه الأقوال من حجج سنذكرها في حينه وملخص القول في هذا أن للذهب آثر في البرود الجنسي على الرجل من ناحية ومن ناحية أخرى فقد وجد أن كل المصابين بمرض الزهايمر عندهم نسبة عالية من الذهب في الدم والبول.

الذهب والزهايمر:

أوردت بعض المصادر الإلكترونية أن كل المصابين بمرض الزهايمر أو ضعف الذاكرة وهو من أهم أمراض الشيخوخة وأخطرها وأكثرها انتشاراً، والمتوقع أن يصل عدد المصابين به نحو ١٥٠ مليون شخص خلال الخمس سنوات القادمة، والذي تكمن خطورته إلى أن الطب لم يجد له علاجاً حتى الآن إلا بواسطة بعض العقاقير كعلاج مؤقت في حين أن العلاج الحاسم ما زال بعيد المنال والواضح بحسب التحاليل أن أصحاب هذا الداء عندهم نسبة عالية من الذهب في الدم والبول وهو ما يعرف

---

(١) مسند أحمد، ك/أول مسند الكوفيين ب/حديث أبي موسى الأشعري.

(٢) صحيح البخاري، ك/الأطعمة ب/الأكل في إناء مفضض.

بهجرة الذهب وهذه الظاهرة معروفة للفيزيائيين ذلك أن الذهب إذا لامس معدن آخر تتسلل أو تهاجر قليل من ذراته إلى العنصر الملامس له وطبعاً هذا يحدث خلال فترة طويلة و لم يعرف أن ذرات الذهب تتسلل من خلايا جلد الإنسان إلى الدم إلا حديثاً وتجدر الإشارة هنا إلى أن النساء لا تعاني من هذا الموضوع لأن أي ذرات مضرة تخرج شهرياً من جسم المرأة.

ووردت معلومات أخرى مفادها أن بعض البحوث الطبية أثبتت أن الذهب يؤثر على كريات الدم الحمراء للرجال دون النساء بسبب وجود طبقة شحمية بين الجلد واللحم للنساء تمنع الإشعاعات الناتجة من معدن الذهب إلى الولوج إلى بنيتها الداخلية وأثبتت البحوث الطبية أن إشعاعات معدن الفضة لا تؤثر على الرجال والنساء على حد سواء كما وأثبت أن إشعاعات الذهب قد تضعف القوة الجنسية للذكر بل وقد تصل بالبعض منهم إلى حد البرود الجنسي وتبين أيضاً أن لهذه الإشعاعات دور سلبي على الهرمونات الجنسية الذكرية.

ونلفت عناية القارئ الكريم أن هذه البحوث لم ترقى إلى درجة الحقائق العلمية وإنما أوردناها هنا لأن هذه البحوث تشير بطريق أو بأخرى إلى الأثر السلبي الذي يتركه الذهب على الرجال دون النساء.

الحجة:

ذهب بعض العلماء بعد اطلاعهم على هذه الدراسات إلى القول بأن هذه الدراسات يمكن أن يستأنس بها وذلك لوجود أثر سلبي للبس الذهب على الرجال ولكن لا يعوَّل على هذه الدراسات حتى الآن وذلك لوجود ما ينقضها بشكل أو بآخر ذلك لأن هذه الدراسات تفيد بأن للذهب أثر في دم الرجل وإن كان هذا لكان أمرَ من يستعمل الذهب بالحجامة ليذهب عنه ما يكون في دمه ذلك لأنهم زعموا أن أثر الذهب السلبي يذهب عن المرأة بالحيض هذا من جهة ومن جهة أخرى لو أن أثر الذهب السلبي يزول عن المرأة ويخرج خلال الدورة الشهرية فماذا يقال

بشأن المرأة الحامل التي لا تحيض حينها لمنعت من لبس الذهب ولوجب ذلك بحق المرأة الكبيرة أيضاً.

وبالتالي فإن كل هذه الواردات والاعتراضات تضعف القول بأن تحريم الذهب على الرجال من أجل ضرره على الدم وإنما تبقى الحكمة المنصوص عليها أظهر وأوضح وهي أن استعمال الذهب والفضة والحرير بأنها للكفار في الدنيا وللمؤمنين في الآخرة لقوله ﷺ: «لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة»[1].

وما أجمل قول الإمام ابن قيم الجوزية[2] رحمه الله في الذهب إذ يقول: إنه أعظم حائل بين الخليقة وبين فوزها الأكبر يوم معادها وأعظم شيء عصي الله به وبه قطعت الأرحام وأريقت الدماء واستحلت المحارم ومنعت الحقوق وتظالم العباد وهو المرغب في الدنيا وعاجلها والمزهد في الآخرة وما أعده الله لأوليائه فيها فكم أميت به من حق وأحيي به من باطل ونصر به ظالم وقهر به مظلوم وما أحسن ما قال فيه أبو قاسم الحريري:

تباً له من خادع مماذق ... أصفر ذي وجهين كالمنافق
يبدو بوصفين لعين الرامق ... زينة معشوق ولون عاشق
وحُبه عند ذوي الحقائق ... يدعو إلى ارتكاب سخط الخالق
لولاه لم تقطع يمين السارق ... ولا بدت مظلمة من فاسق
ولا اشمأز باخِلٌ من طارق ... ولا اشتكى الممطول مطل العائق
ولا استعيذ من حسود راشق ... وشر ما فيه من الخلائق
أن ليس يغني عنك في المضايق ... إلا إذا فرَّ فرار الآبق

(١) صحيح البخاري، ك/الأطعمة ب/الأكل في إناء مفضض.

(٢) الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، ص٣٣٠.

الربـا:

الحكمة من تحريم الربا:

لما كان المجتمع في الإسلام كلٍ متكامل لا انفصال لأفراده عن بعضهم البعض في علاقاتهم ومعاملاتهم مثلهم كالبنيان يشد بعضه بعضا كما اخبرنا بهذا سيد الخلق ﷺ.

فقد فرض المنهج الإلهي القواعد التي تسهم في تلاحمه وحض عليها وأوجب لفاعلها الأجر والثواب في حين نهى عن السبل المؤدية إلى انحلاله وحرمها واوجب على مرتكبها العقاب فأحل الزواج وحرم الزنا وأحلّت الطيبات وحرِّمت الخبائث وأُحلَّ الشراب وحُرِّم الخمر... الخ.

فكل نافع للمجتمع حلال أحله الله وكل ضار فهو حرام في شرع الله.

ولما كان المال من قوام الحياة أولت الشريعة الإسلامية اهتماماً كبيرا به بل وكانت التشريعات المالية في الإسلام تأتي في الدرجة الأولى، وهذا ما بينته النصوص القرآنية والتي حددت القواعد والضوابط لهذه المعاملات بل وكانت الآية ٢٨٢ من سورة البقرة وهي الأطول بين آيات القرآن مختصةً بهذه المعاملات.

وكثيراً ما اقترن ذكر المال في النصوص القرآنية بالصدقة ومضاعفة الأجر والثواب قال تعالى: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٦١].

ذلك باعتبار الصدقة باباً من أبواب تكافل وتضامن المجتمع وواجباً على كل مسلم كما بينتها السنة النبوية المطهرة بقوله ﷺ: «على كل مسلم صدقة فقالوا يا نبي الله فمن لم يجد قال يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق قالوا فإن لم يجد قال يعين ذا الحاجة الملهوف قالوا فإن لم يجد قال فليعمل بالمعروف وليمسك عن الشر فإنها

له صدقة»[1].

واقترن ذكر الربا في الآيات القرآنية بالعقاب ومحق المال المكتسب عنه وبوعيد من الله للمرابي بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٧٩].

ووصف سيد الخلق ﷺ أيسر الربا بقوله: «الربا سبعون حوباً أيسرها أن ينكح الرجل أمه»[2].

وحوباً: نوعاً.

وضيق في حديث آخر على المتعاملين به فقال ﷺ: «لعن آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء»[3].

وكان الحد في الإسلام على المرابي أن يستتاب من قبل إمام المسلمين فإن هو أبى ضرب عنقه.

فما هي الحكمة الكامنة وراء هذا التشديد والتغليظ؟

وما عظمة هذا الذنب الذي يستوجب حرباً من الله ورسوله؟

المال:

المال قيمة مطلقة لكل الأعمال البشرية به يقيم الجهد البشري وعليه فإن الأعمال تلد المال.

وهو بالآن ذاته وسيلة لبلوغ غايات معينة بها يحيى الإنسان ويستمر إذاً فالمال وسيلة وليس غاية لذلك أوجب الشرع الإسلامي أن تكون الوسيلة مباحة والغاية

---

(١) صحيح البخاري، ك/ الزكاة بـ/ على كل مسلم صدقة....

(٢) سنن ابن ماجه، ك/ التجارات بـ/ التغليظ في الربا.

(٣) صحيح مسلم، ك/ المساقاة بـ/ لعن آكل الربا ومؤكله.

مشروعة أي أن يكون الكسب وفقاً لمنهج الله بأعمالٍ مباحةٍ كالزراعة والصناعة والتجارة بكافة أصنافها وإضافة إلى مشروعية الكسب أوجب الشرع الإسلامي الإخلاص في العمل والإتقان والصدق والأمانة وترك الغش والكذب والاحتكار والاستغلال وأوجب أن يكون المال مكتسباً عن طريق الحرف اليدوية والمهنية وبصيغة أخرى فكل شيء تأخذه مقابل الشيء يكون كسب حلال ويسمى في الفقه الإسلامي فقه المعاوضات وهو بصيغته البسيطة مبنيٌ على أن تقدم جهداً مقابل مالاً وبالتالي يكون المال المكتسب بالحق جائز أكله وأن لا يكون المال المكتسب عن التجارة بالبضائع المحرمة كالدخان والخمور والمخدرات وأشباهها فكل ضارٍ بالمجتمع حرام في شرع الله وأن تكون الغاية من المال أي إنفاقه بما يرضي الله ووفقاً لمنهجه والذي يعود بالفائدة والنفع على عباده وما دون ذلك يعد حراماً وما الجزء الأكبر من المعاصي إلا وجه من أوجه كسب المال وإنفاقه بما لا يرضي الله.

ولما كان اكتساب المال وإنفاقه يحتاج إلى نظامٍ دقيقٍ يضبطه كانت التشريعات المالية في الإسلام تأتي بالدرجة الأولى.

فالمال إذا أكتسب بالحق وانفق بالحق وفق منهج الله أعمرت الأرض وإن أكتسب بالباطل وأنفق بالباطل فسدت الأرض.

الفساد الاقتصادي:

الفساد هو إخراج الشيء عن طبيعته والمفسدة ضد المصلحة[1].

وقد اقترن الفساد بكسب اليد المخالفة لمنهج الله قال تعالى: ﴿**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [الروم: ٤١].

وطرق كسب المال بالباطل كثيرة لا تعد ولا تحصى فقد يكون كسب المال مبنياً على الغش أو الكذب أو الاحتكار أو الاحتيال مما يؤدي إلى الفساد المالي

---

(١) مختار الصحاح، للإمام الشيخ محمد بن أبي بكر الرازي، ص٤٤٣.

والذي يتجلى في أخطر أوجهه بأن تجمع الأموال في أيدي قلةٍ قليلةٍ من الناس وتُحرم منه الكثرة الكثيرة وهذا ضد مصلحة العباد وخروج عن منهجٍ الله القاضي أن يكون المال دولةً بين الناس كافة.

وما معظم المشكلات التي تعاني منها البشرية في وقتنا الراهن من اختلاسات واحتيالات ونصب إلا صورة من صور هذا الاختلال الراجع إلى أن الفئة الكثيرة محرومة من المال.

وما بعض المآسي المتمثلة بالثورات والحروب الأهلية في بعض الدول إلا نتاج لانحسار المال في يد قلةٍ قليلة من الناس لذلك يعد الربا من أعظم المعاصي في الشريعة الإسلامية بل ويعد قضية كبرى من قضايا الإسلام نتاجه يحصر رؤوس الأموال في أيدٍ قليلة هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن المال عند ما يلد مالاً يكون بمثابة إهلاك لليد العاملة وهذا يتجلى في البطالة في المجتمع الربوي وبالتالي يكون الضرر أكبر على المجتمع وأمَّا المعاصي الأخرى كالزنا والسرقة وغيرها إذا ما قورنت بالربا ما هي إلا ذات أثرٍ سلبيٍ محدود قد يحصر في عددٍ من الأفراد في حين أن للربا أثر أشد قسوة على المجتمع ومن نتائجه أن تستعبد الفئة القليلة من الناس العباد والبلاد وتتحكم بأقواتهم ومصائرهم ولذلك عده سيد الخلق من المهلكات – الموبقات– بقوله: «اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات»[1].

وخير شاهد ودليل على الربا وأثره في المجتمع الأزمة الاقتصادية العالمية والذي يعتمد في تعاملاته على النظام الربوي فقد أشارت بعض التقارير بأن الأزمة المالية العالمية قد تحولت إلى أزمةٍ اقتصادية استنزفت تريليونات الدولارات في عملية الإصلاح بدون جدوى رغم إتباعها واعتمادها على أكثر النظريات صرامة في التعامل وهذا ما

(١) صحيح البخاري، ك/ الوصايا بـ/ قوله تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً.

حذا ببعض أكبر وأشهر الشركات العالمية إلى تسريح عشرات الآلاف من العمال والموظفين بل وأدى التعامل الربوي بالبعض من الشركات والبنوك إلى إشهار إفلاسها وصدق القائل في محكم كتابه الكريم: ﴿**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وبالمقابل فقد أشارت التقارير إلى أن صناعة التمويل الإسلامي ورغم الركود والأزمة الاقتصادية شهدت في السنوات الأخيرة نمواً كبيراً وسريعاً حتى بلغت في عام ٢٠٠٩ نحو تريليون دولار على المستوى العالمي وكانت حجم الأصول المالية الإسلامية في بريطانيا وحدها قد وصلت إلى ١٨ مليار دولار وأشارت بان قيمة صناعة التمويل الإسلامي في السنوات المقبلة قد تبلغ ثلاث ترليونات دولار وهذا ما حذا ببعض بنوك بريطانيا إلى الاعتماد على التمويل الإسلامي بل واعتمد تدريس هذا النظام في خمسين كلية بريطانيا وعزت بعض المصادر هذا النمو إلى اعتماد التمويل الإسلامي على الربح دون الفائدة وعدم قبولها بيع الدين بالدين ورفضها أن يكون المال سلعة وغيرها من المبادئ الإسلامية التي ترفض التعامل الربوي وتمقته وهذا ما جعل الفاتيكان ينضم إلى قائمة المطالبين بدمج نضم التمويل الإسلامي في الاقتصاد العالمي ودعا إلى اعتماد النظام الإسلامي الاقتصادي في بعض المعاملات المادية العالمية وهذه الدعوة من قبل الفاتيكان تناولتها وكالات الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في شهر مارس من عام ٢٠٠٩.

وبالتالي فإن الغرب يلتمس مصلحته في التشريعات الإسلامية ويجني ثماره ليس من باب الاعتقاد بأن التشريع الإسلامي منهج إلهي شامل وتفصيلي فيه مصلحة الجميع في كل زمانٍ ومكان بل من باب المصلحة فقط.

ومن ناحية أخرى ونتيجة للتعاملات الربوية فقد أثبت علماء الاقتصاد الأمريكي بأنه خلال فترة زمنية تتراوح ما بين ٣٠ إلى ٥٠ عام سيتركز المال في يد

خمسين عائلة أمريكية وسيبقى باقي الشعب من غير ثروات[1] ويقال بأن عشرة في المائة من سكان العالم يملكون تسعون في المائة من ثرواته بسبب خروج البشر عن المنهج الإلهي واعتمادهم على النظام الربوي والذي حرم بموجب نصوص شرعية في الإسلام.

فهل هناك معصية أكثر دمار من الربا؟ فأين من اعترضوا على شرع الله بقولهم: ﴿... **إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا...**﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وهنا نقف على عظمة التشريع الإلهي والحكمة من تحريم الربا والذي حذر الخالق منه وأمر باجتنابه وقال بعدها: ﴿**فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٢٧٩]. فسبحان الله أحكم الحاكمين.

❁ ❁ ❁

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، ص٦٠.

الحكمة من تحريم كنز الأموال:

﴿... وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥].

نظرة الشرع للمال:

أوضحنا في بحث الربا بأنَّ المال هو قيمة مطلقة للأعمال البشرية وهو في الآن ذاته وسيلة لبلوغ غايات معينة بها يحيا الإنسان ويستمر وقلنا بأنه وسيلة وليس غاية بحد ذاته.

ولما كان الإنسان خليفة الله في الأرض والمال في هذا الشرع هو مال الله وليس مالكه إلا وسيطاً مستخلفاً عليه لقوله تعالى: ﴿آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَآَتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آَتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣].

وتقرير هذا المبدأ في الشريعة الإسلامية يجعل من الخليفة ملزم بالتصرف بما أُستخلف فيه من ملك الله وفق أمر واهبه وموكله.

نظرة الشرع للمجتمع:

ومن نظرة الإسلام للمجتمع على أنه كل واحد لا يتجزأ فقد فرض تضامناً وتعاوناً اجتماعياً بين أفراده حيث أمر الأغنياء والمقتدرين على أن يؤتوا المال للمحتاجين بشكل حق يؤدى قال تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩].

ويمكن القول بأن التكافل الاجتماعي المادي يأخذ صورة الفرض في الشريعة الإسلامية وذلك من خلال نظام الزكاة التي تؤخذ من أموال الأغنياء وإن امتنعوا منها أخذت منهم قهراً ويتولى قبضها وصرفها الوالي إما بنفسه وإما بنائبه.

وقد أكد هذا التعاون النبي ﷺ وذلك من خلال إقرار الشراكة بين أفراد المجتمع الإسلامي فقال: «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له، قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل»[1].

بل إن الإسلام قرر هذا التعاون من قبل القادرين عليه إلى كل محتاج ومسكين ولو كانت بينهما أسباب البغضاء من خصومات شخصية وغيرها قال تعالى: ﴿**وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [النور: ٢٢].

ويمكن أن نقف على بعض جوانب الحكمة من تحريم كنز الأموال في النقاط التالية:

١- المال مال الله.

٢- الإنسان مستخلف في هذا المال وفرض عليه أن يصرف المال وفقاً لمنهج خالقه ومعطيه.

٣- إن جمع الأموال في يد فئة قليلة من البشر تجعل هذه الفئة القليلة تستعبد الفئة الكثيرة وتتحكم بأقواتها وشؤونها الأخرى لذلك كان لزاماً أن يوزع المال بين أفراد المجتمع كافة وفق ضوابط شرعية.

ووفقاً لهذه النظرة فالداري بأمور المجتمعات يجد بأن الأمة الإسلامية وإن وجد الفقر فيها فإنما تتجلى هذه الظاهرة بالبعد والخروج عن منهج الله هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ومقارنة بباقي المجتمعات فإن الفقر في المجتمع الإسلامي له أضرار أقل أثراً من تلك التي تترتب عنه في المجتمعات الأخرى والتي انتشرت فيها أسباب الرذيلة والجريمة نتيجة للفقر.

---

(١) صحيح مسلم، ك/ اللقطة بـ/ استحباب المؤاساة بفضول المال.

وختاماً لهذا الباب نقول بأن الخالق وعد المنفقون في سبيله جنات عرضها السموات والأرض وتوعد الذين يكنـــزون الذهب والفضة ولا ينفقون المال في مصارفه بعذاب أليم بقوله تعالى جلَّ من قائل: ﴿... **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ**﴾ [التوبة: ٣٥].

وقوله تعالى: ﴿**وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [آل عمران: ١٨٠].

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث التي تدعو إلى الخير وتحث على فعلـــه ولا نحسب أن الحكمة في شيء من هذا تخفى على ذي لب.

جامع الشر:

الغضب:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧].

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

قال تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

وأما قول سيد الخلق ﷺ في الغضب فقد جعل من ترك الغضب وصية يوصي بها الناس فعن أبي هريرة ﷺ «أن رجلاً قال للنبي أوصني قال لا تغضب فردد مراراً قال لا تغضب»[(١)].

ففي كلام النبوة وصية وجيزة جامعة لخصال الخير وهذا إن دل فإنما يدل على أن الغضب جماع الشر وإن التحرز منه جماع الخير بل وحث الرسول الكريم ﷺ على كظم الغيض والغضب فقال: «ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[(٢)].

وقال ﷺ: «من كظم غيظاً وهو قادرٌ على أن ينفذه دعاه الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره الله من الحور العين ما شاء»[(٣)].

والمراد من الحديث أن على صاحب الغيظ أن يحبسه في نفسه ولا يعديه إلى غيره بالأذى فعلاً فكظم الغيظ والعفو عن الناس عند المقدرة من سمات المحسنين وأما إذا كان كظم الغيظ والغضب لعجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن فصار

---

(١) صحيح الباري، ك/الغضب بـ / الحذر من الغضب.

(٢) صحيح مسلم، ك/ البر والصلة والآداب، بـ/ فضل من يملك نفسه عند الغضب...

(٣) سنن أبي داود، ك/ الأدب، بـ/ من كظم غيضا.

حقداً لذلك جعل الله كاظمين الغيظ من المحسنين في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٤].

فكاظم الغيظ والعافي عن الناس عند المقدرة كالمحسن الذي ينفق ماله في سبيل الله في السراء والضراء.

وكان النبي ﷺ يوصي من تمكن الغضب منه بتعاطي الأسباب التي تدفعه عنه وتسكنه ففي الصحيحين عن سلمان بن صرد قال: «استب رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد أحمر وجهه فقال النبي ﷺ إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ؟ قال إني لست بمجنون»[(١)].

وأما في علاجه فقد أرشد سيد الخلق من يقع في الغضب إلى سبل تحد من حدته ومنها قوله ﷺ «ألا أن الغضب جمرةٌ توقد في جوف ابن آدم ألا ترون إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فإذا وجد أحدكم شيئاً من ذلك فالأرض الأرض»[(٢)].

وقال أيضاً في علاجه «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإذا ذهب عنه وإلا فليضطجع»[(٣)].

وقد قيل إن المعنى في هذا أن القائم متهيئ للانتقام والجالس دونه في ذلك والمضطجع أبعد عنه فكان الهدي النبوي بالابتعاد عن حالة الانتقام.

وللحد من تأثيره أوصانا سيد الخلق ﷺ بقوله: «إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من نار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»[(٤)].

---

(١) صحيح البخاري، ك/ الأدب، بـ/ الحذر من الغضب.

(٢) مسند أحمد، ك/باقي مسند المكثرين، بـ / مسند أبي سعيد الخدري.

(٣) مسند أحمد، ك/ مسند الأنصار، بـ / حديث أبي ذر الغفاري.

(٤) مسند أحمد، ك/ مسند الشاميين، بـ/ حديث عطية السعدي.

وأما في حال الوقوع في الغضب فقد أوصانا سيد الخلق بالصمت فقال ﷺ: «إذا غضب أحدكم فليسكت قالها ثلاثاً»[1].

وفي هذا القول واتباعه دواء عظيم للغضب لأن الغضبان في حال غضبه يصدر عنه من الأقوال ما يندم عليها في حال زوال غضبه فكثيراً من الأقوال الغير محمودة كالسباب وغيرها تصدر عن صاحب الغضب مما يعظم الضرر فإذا سكت زال هذا الشر كله.

فالهدي النبوي في الغضب جاء من النصح إلى السبل التي تقينا من الوقوع به إلى عددٍ من الطرق والوسائل التي تحد من آثاره وتقللها بل وبينت السنة النبوية مكانة المؤمن الذي يكظم غيظه.

فقد كان النبي ﷺ يأمر من غضب بتعاطي أسباب تدفع عنه الغضب وتسكنه ويمدح من ملك نفسه عند غضبه.

الغضب والصحة:

الغضب: انفعال ينتاب الإنسان وينشأ عن حالة من التوتر يصحبها تغيرات جسمانية داخلية أبرزها تسرع نبضات القلب التي تصل إلى مئة وستين نبضة في الدقيقة[2] وتسارع التنفس وارتفاع ضغط الدم وتعزى هذه الأعراض لكل من هرمون الأدرينالين الذي تفرزه الغدة الكظرية وهرمون النور أدرينالين والذي يفرز أيضاً من قبل الأعصاب الودية[3] وتكون هذه التغيرات الداخلية عبارة عن استعداد داخلي يهيئ الجسم من خلالها ذاته لاحتمال حدوث أذيات وإصابات لذلك يطلق مواد خاصة في الدم تجعل الدم أكثر جاهزية للتخثر مما يساعد في سرعة شفاء الجروح إن حدثت أثناء الحالات الخاصة كالانفعال ومن ناحية أخرى فإن ما يبرر سرعة التنفس وازدياد عدد

---

(١) مسند أحمد، ك/ مسند بني هاشم، بـ/ بداية مسند عبد الله بن عباس.

(٢) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان أ.د. محمد راتب النابلسي، ص٩٧.

(٣) روائع الطب الإسلامي، د. محمد نزار الدقر، ج/٤ص/١٥٧.

نبضات القلب محاولة الجسم الحصول من خلال هذه العملية على أكبر قدر ممكن من الأكسجين والغذاء ليمد بها العضلات والدماغ ليكون بمقدوره مواجهة الموقف الذي يتعرض له ومن السمات الداخلية للغضب أيضاً ارتفاع ضغط الدم وانطلاق كميات من الدهون كالكولسترول والسكر فيه لتجد العضلات حاجتها من الغذاء[1] اللازم وبكميات تزيد عنها في الأحوال الطبيعية.

كما ويترافق الغضب ببعض التغيرات الخارجية وأبرز هذه التغيرات شحوب الوجه والأطراف وتصبب العرق وانتصاب شعر الرأس واتساع حدقة العين وانتفاخ الأوداج.

أمراض الغضب:

بالرغم من الناحية الإيجابية التي تقوم بها تلك المفرزات الداخلية والتي تهيئ الجسم لاحتمالات شتى غير أن ما يترتب عن هذه المفرزات قد يفوق بكثير الجانب الإيجابي لها وهذا ما تشير إليه الدراسات والمعطيات العلمية فقد بات من المعروف بأن لتلك المفرزات آثار ضارة على صحة الإنسان تبدو وبشكل جلي في مجموعة من الأمراض نذكر منها:

أمراض القلب والجهاز:

١- الذبحات الصدرية المتكررة الناتجة عن تسرع نبضات القلب والزيادة في حاجته للأكسجين مما قد يؤدي إلى الإصابة بجلطة القلب.

٢- تصلب الشرايين وجلطات القلب والدماغ كنتيجة لترسب الدهون والكولسترول على الجدار الداخلي للشرايين فالشخص الانفعالي غالباً ما يكون أقرب للإصابة بهذه الأمراض.

---

(١) كيف تقي نفسك من أمراض القلب، د. حسان شمسي باشا، ص٦٨.

أمراض الجهاز الهضمي:

١- يؤدي الغضب إلى زيادة إفراز حمض الهيدروكلويك[١] في المعدة مما يساهم في زيادة احتمالات الإصابة بقرحة المعدة والإثني عشر.

٢- يؤدي الغضب المستمر إلى الإصابة بالقولون العصبي والإمساك المزمن والذي غالباً ما يترافق بالإنتانات والتقرحات وهذه الأعراض ما هي إلا ناتج عن تقلص المستقيم والأمعاء.

داء السكر:

فمعظم حالات داء السكر تكون عقب انفعال شديد وذلك لأن ارتفاع هرمون النور أدرينالين في الدم يحرر الغليكوجين[٢] من مخازنه في الكبد ويطلق سكر العنب مما يؤدي إلى ارتفاع كمية السكر في الدم ذلك كنتيجة للأوامر التي تصدر من الغدة النخامية[٣] للكبد بإفراز السكر وبالتالي فإن هذه الزيادة وبشكل مفاجئ تؤدي إلى الإصابة بهذا الداء.

الأمراض النفسية:

فغالباً ما يصاب الأشخاص الذين يتصفون بالعصبية إلى الإصابة بالتوتر والقلق والأرق.

ضعف جهاز المناعة:

وذلك لأن الانفعال الجامح يؤثر وبشكل مباشر على جهاز المناعة[٤] وهذا بدوره مسؤول عن مقاومة الجسم للأمراض الجرثومية والسرطانية ونتيجة لذلك يصبح

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي الشريف، عبد الرحيم ماردييني، ص٢٠٧.

(٢) روائع الطب الإسلامي، د محمد نزار الدقر، ج/٤ ص١٥٧.

(٣) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان، أ.د. محمد راتب النابلسي، ص٩٧.

(٤) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان، أ.د. محمد راتب النابلسي، ص٩٧.

الشخص عرضة للإصابة بشتى أنواع وأصناف الأمراض الجرثومية ناهيك عن الإصابة بالأورام الخبيثة التي قد يصاب بها الأشخاص الذين يتصفون بسرعة الغضب.

فقدان الشهية:

فمن المعلوم بأن الأشخاص العنيفون والذين يتصفون بالمزاج السيئ وسرعة الغضب غالباً ما تكون قابليتهم للطعام ضعيفة وهذا يؤدي إلى نقص الوزن والهزال.

وكنتيجة لمجموعة الإمراض هذه وغيرها من الأمراض والذي يعتبر الغضب العامل الرئيسي فيها فقد أكدت الدراسات بأن الغضب وتكراره يقلل من عمر الإنسان[1].

الهدي النبوي في الغضب والعلم:

لما كان الغضب جماعاً للشر ومنشأً لكثيرٍ من الأفعال المحرمة كالقتل والضرب وأنواع الظلم والعدوان وكثير من الأقوال المحرمة كالقذف والسب والفحش والذي قد يرتقي في بعض جوانبه إلى درجة الكفر كالإيمان التي لا يجوز التزامها شرعاً[2] وكطلاق الزوجة الذي يعقبه الندم ومحمداً ﷺ ما جاء إلا هادياً وبشيراً للعالمين فقد أوصى بتجنب الغضب وبين في عدد من الأحاديث السبل التي تحد من آثاره أثناء وقوعه كالتزام الصمت والاستعاذة بالله من الشطان الرجيم وبين المترلة الرفيعة التي يتبوؤها من كتم غضبه وهو قادرٌ على أن ينفذه وقد بين صلوات الله وسلامه عليه بعضاً من الأدوية التي تحد منه قبل أن يستفحل وقبل أن يقدم من يقع فيه على أفعال لا تحمد عقباها فقد كان من هديه ﷺ قوله: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإذا ذهب عنه وإلا فليضطجع»[3].

وفي الحديث هديٌ نبوي للتخفيف من آثار الغضب وهذا ما تبينه المادة العلمية التالية فقد وفق الدكتور حسان شمسي باشا إلى كشف الإعجاز الطبي في هذه الوصفة

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، ص٧١٥.

(٢) جامع العلوم والحكم، الإمام ابن رجب الحنبلي، ص٣٠٩.

(٣) مسند أحمد، ك/ مسند الأنصار، بـ/ حديث أبي ذر الغفاري.

النبوية إذ كتب يقول جاء في كتاب هاريسون الطبي أنه من الثابت علمياً أن هرمون النور أدرينالين يزداد بنسبة اثنان إلى ثلاثة أضعاف لدى الوقوف بهدوء لمدة خمس دقائق وأما هرمون الأدرينالين فيرتفع ارتفاعاً بسيطاً في الوقوف لكن الضغوط النفسية تزيد من نسبته في الدم ولا شك أن ارتفاع العاملين معاً الغضب والوقوف يرفع من نسبة الهرمونيين بشكل كبير وقد بينا الأضرار المؤكدة عن ارتفاع نسبة هذين الهرمونيين سابقاً لذلك جاء الهدي النبوي بالجلوس للحد من الآثار الضارة للغضب.

وللحد من تأثيره أيضاً فقد أوصانا سيد الخلق ﷺ بقوله: «إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من نار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»[1].

ولهذا الهدي النبوي دليل في المادة العلمية أيضا فالاغتسال بالماء البارد أو غسل الوجه واليدين أحدث توصية طبية يوصى بها وذلك لأن لها أثر بالغ في تهدئة الجهاز العصبي فالغضب يتولد من الحرارة العامة والتعرق والإحساس بالضيق ويأتي الماء البارد ليخفف من هذه الأعراض والوضوء الذي وصفه سيد الخلق ﷺ يضفي فوق ذلك شعوراً بالعبودية لله عند قيام الغاضب بهذا الفعل التعبدي[2].

أنواع الغضب:

لقد ابتلى الله عز وجل أنبياءه ورسله بأصناف الأحزان والمصائب فما من نبي إلا وأوذي في ذاته فما كان منهم إلا الصبر والحلم فإبراهيم عليه السلام ألقي في النار ويوسف ألقي في غيابت الجب من قبل أخوته وبيع بثمن بخس وابتلي أيوب عليه السلام بالمرض وقوبل محمد ﷺ بالتكذيب وحاول المشركون قتله غير أن من أخلاق النبوة الحلم حتى كان صلوات الله وسلامه عليه من دعائه قوله: «أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الغضب والرضا»[3].

---

(١) مسند أحمد، ك/ مسند الشاميين، بـ/ حديث عطية السعدي.

(٢) عن كتاب روائع الطب الإسلامي، د محمد نزار الدقر، ص١٦١ بتصرف.

(٣) مسند أحمد ك/ أول مسند الكوفيين بـ/ بقية حديث عمار بن ياسر.

فغضبهم صلوات الله عليهم أجمعين ما كان للانتقام لذواتهم بل كان لدفع الأذى عن الدين وكان انتقاماً ممن عصى الله.

فسيد الخلق ﷺ لم يضرب بيده خادماً ولا امرأة فأنس رضي الله عنه خدم رسول الله عشر سنين لم يسمع خلالها منه كلمة أف قط.

فالرسول ﷺ لم يغضب لذاته أو لمصلحته وما انتقم لنفسه ولكن إذا انتهكت حرمات الله جاهد في سبيله ولم يقم لغضبه شيء فكان ﷺ إذا سمع أو رأى ما فيه غضب الله غضب لذلك وقال فيه ولم يسكت ومن ذلك أنه دخل بيت عائشة رضي الله عنها فرأى ستراً فيه تصاوير فتلون وجهه عليه الصلاة والسلام وقال إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يصورون هذه التصاوير.

- ومن سيرته نستخلص بأن للغضب نوعان:

١- الغضب المعتدل وهو ما يكون دفاعاً عن الدين وانتقاماً ممن عصى الله ورسوله وهذا النوع من الغضب لا يذهب بصواب الإنسان بل يخضع للسيطرة حيث لا يتمادى صاحبه ويعتدي وفي هذا النوع صون للدين والوطن والحقوق وهذا أمر مشروع.

٢- الغضب الجامح حيث العاطفة الهوجاء والتعصب الأعمى والانحياز اللامعقول والقسوة المفرطة وهي حمية الجاهلية الحمية العمياء والغضب الذي يقود إلا ما لا يحمد عقباه وهذه الحمية من صفات قلب الكافر قال تعالى: ﴿**إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ**...﴾ [الفتح: ٢٦].

وهذا النوع من الغضب يكون فيه التطرف والخروج عن الهدي النبوي والسلوك الإنساني القويم وله عواقب وخيمة على الشخص ودينه وصحته وخير ما يتجلى به هذا النوع من الغضب تحول الطاقة الإنسانية البناءة إلى نوع من التخريب والتحطيم وتحول الإنسان من الحالة الإنسانية إلى حلة أشبه ما تكون بالحالة الحيوانية وآخر القول أن الحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

السحر:

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩].

على الرغم من خروجنا عن المنهج المتبع في هذا الكتاب والذي ذكرنا فيه عدد من المعاصي التي بينت الدراسات والأبحاث الأضرار المترتبة عنها على الصعيدين الفردي والجماعي والتي كان من نتاجها عدد من الأمراض.

غير أن لمعصية السحر خاصية دون تلك المعاصي فهو علم قائمٌ بحد ذاته له أصوله التي يقوم عليه ويكتنفه الغموض ولا يدرس إلا في الخفاء وهو علم مهجور عند الشرائع لما يترتب عنه من الأضرار ولما يشترط فيه من الوجهة لغير الله من كوكب أو سواه وهو علم محارب في الأرض ولا تقره الشعوب بين أفرادها لذا كانت مراجع هذا العلم مفقودة أو نادرة وإن وجدت فهي قليلة مثلها كمثل بعض العلوم والصناعات التي يكتنفها الغموض لما يترتب عنها من أضرار غير خفيةٍ عن أحد كصناعة الأسلحة وغيرها والسحر ليس كغيره من العلوم التي تكون حقائقه ونتائجه على طاولة البحث والتقصي كالطب لذا فإن الأضرار المترتبة عنه خفية كعلمه ورواده ليس كسواهم من رواد العلوم الأخرى فالمعلم فيه هو الشيطان وطلابه السحرة الذين يؤلهون ما دون الله للحصول على مبتغاهم وزواره أصحاب القلوب الضعيفة المنفعلة والنفوس الشهوانية لذلك فإن السحر غالباً ما يؤثر في النساء وصغار السن وأهل البوادي والأرياف ومن ضعف حظه من الدين والتوكل والتوحيد والجهلة الذين لا يفقهون في الدين وإن فقهوا لما ارتضوا بمنافع علمٍ فيه الأصل تأليه وتعظيم غير الله.

وقد آثرنا أن نتحدث عن هذه المعصية لأن المجتمع العربي والإسلامي وإن لم يخلو من المعاصي في أوساطه غير أنها بمجملها لا تتعدى كونها حالات فردية يمكن حصر أضرارها على الصعيدين الفردي والجماعي ولكن للسحر أثر في هذا المجتمع لا

يمكن إخفاؤه لجهالة السواد الأعظم من هذه الأمة بهذا العلم وبمفرداته وبالمضار المترتبة عنه وبالطرق التي يتبعها من ينهج هذا العلم ويروج له ولأن الأمر يلتبس على معظم مرتادي دور السحرة لما يرافق أعمالهم السحرية من ذكر للآيات القرآنية على مسامع الحضور غير أن ما يسرونه أو يهمسون به في الخفاء ما هو إلا كفر واضح وصريح وفيه تهجم على العقيدة والشرع الإسلامي لأن السحر ما هو إلا تقرب للشيطان وإتباع للعبارات الكافرة والمكفرة.

السحر كبيرة من الكبائر:

السحر كبيرة من الكبائر ومعصية من المعاصي اقترنت في السنة النبوية الشريفة بالشرك بالله لقوله ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المؤمنات الغافلات»[1].

والسحر من جرائم الاعتداء على العقيدة[2] فهو أداة لتخريب العلاقات الاجتماعية وترويج الشعوذات والأوهام وسبيل لزرع البغضاء والكراهية بين الناس ففي السحر ما يقتل وما يمرض وما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها ومن السحر ما يفرق بين المرء وزوجه بالاعتماد على كلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال وفيه إشاعة الرذيلة وانعدام الفضيلة وكفر بالله وبالدين الإلهي وعبث بموازين الأشياء وفيه كفر بما يتعلق بالله وحده من العلم بالغيبيات وإنفاذ إرادة الله ومشيئته في الأشياء وفيه تسلط للعوام على شؤون المجتمع.

حد الساحر:

لقد ميز علماء الأمة بين الساحر المسلم والساحر من أهل الكتاب وذهب جمهور العلماء بالقول بقتل الساحر المسلم إلا الإمام الشافعي فقال بأن الساحر لا

---

(١) صحيح البخاري، ك/الوصايا بـ/قول الله تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما.

(٢) المحرمات وآثارها السيئة على المجتمع، أ.د. وهبة الزحيلي، ص٢١.

يقتل إلا إذا ترتب عن سحره قتل لغيره[1] فهناك بعض من السحرة مقتدر على هذا الفعل وأما قول العلماء في ساحر أهل الكتاب فقيل بأنه لا يقتل إلا أن يقتل بسحره وأقل ما يكون في الساحر التعزير.

أشكال السحر:

هناك خلاف بين الفقهاء الذين تكلموا في أشكال وهيئات السحر ونشأت السحر غير أنهم جميعاً يقرون بأنه من عمل الشيطان لقوله تعالى: ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٠٢].

وذهب الإمام ابن حجر العسقلاني بالقول بأن في هذه الآية بيان أصل السحر فقصة هاروت وماروت كانت قبل زمن نوح عليه السلام والسحر كان موجوداً في زمن نوح إذ أخبر الله تعالى عن قوم نوح أنهم زعموا أنه ساحر وكان السحر فاشياً في قوم فرعون وكل ذلك قبل سليمان عليه السلام[2] وقد استدل من هذه الآية أيضاً على أن السحر كفر ومتعلمه كافر.

وللسحر أشكال كثيرة ومن العلماء من جعلها أكثر من عشرة وأدخل فيها ما ليس منها ونسب إليها بعض العلوم الأخرى، وخير من لخص أشكال السحر هو العلامة ابن خلدون في مقدمته غير أنه ارتكب الخطأ ذاته واتهم جابر ابن حيان بالسحر ذلك، لأن علم الكيمياء في وقتها كان من العلوم المستحدثة ويصنف ابن

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج/ ١٠ص ٢٩١، ك/ الطب بـ/السحر.

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج-١٠ ص/٢٧٥، ك/ الطب بـ/ السحر.

خلدون السحر بحسب قول الفلاسفة في ثلاثة أصناف:

١- السحر وهو الحاصل من غير آلة ولا معين وهذا النوع يكون في من أتقن هذا العلم برمته.

٢- الطلاسم وهي العزائم أو الدعوات[١] التي يحتاج فيها صاحب الصنعة لكتابة الطلاسم والاستعانة بالأفلاك أو العناصر أو الأعداد لاستحضار الجان وهو بحسب قوله أضعف رتبة من السحر وهو ما يعرف بالسحر الأسود الذي يقوم على تسخير الشياطين.

٣- الشعوذة وهي التي تعتمد على الإيهام والتخيلات والمحاكاة[٢] بحيث يعتمد الساحر على خداع البصر والألعاب والحركات الخفيفة وأقرب ما يكون عمل الساحر في هذه الحالة إلى النصب.

وفي الشريعة الإسلامية لا فرق بين هذه الأنواع الثلاثة وكل ما يدخل تحتها كالكهانة والتي يدعي أصاحبها معرفة الأسرار أو أحوال الغيب أو أعمال العراف وهو المنجم المخبر عن الماضي والمستقبل[٣] وكل ما يكون فيه توجه إلى غير الله وقائم على الضرر أو نوع من الضرر أو تكون فيه الدعوة قائمة على العلم بالغيب قال تعالى: ﴿**عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [المؤمنون: ٩٢].

فالساحر وبالاستعانة بالشيطان والجان قد يخبر عن أمور قد مضت أو أمور حاضرة للتأثير في إيمان الشخص ولكن الشيطان والجان لا يعلمون الغيب ودليل ذلك قوله تعالى في موت نبيه سليمان حاكم الشيطان والجان والذين ما استدلوا على موته إلا بعد أن خر على الأرض ساقطاً.

---

(١) الموازين في سحر الساحرين، محمد كبتاوي، ص٣٥.

(٢) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، ج/٢ص/١٩٤.

(٣) المحرمات وآثارها السيئة على المجتمع، ا د وهبة الزحيلي، ص٢٧.

﴿لَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

فكيف للشيطان والجان أن يعلموا الغيب الذي لم يظهره تعالى لأشرف الخلق قال تعالى: ﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

فالشيطان والجان ومن والاهم من بني الإنسان لن يضروا من أراد الله به خيراً وهذا وعدٌ قطعه الرحمن على نفسه بقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

ومراد السحر إخفاء الحق وإلباسه ثوب الباطل لهذا سحر لبيد الأعصم رسول الله ﷺ وهذا مروي في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فوجود السحر حقيقة لا مرية فيها وقد نطق القرآن بها في عدد من الآيات والآيات في ذلك كثيرة ومشهورة عند من له أدنى معرفة بالشرع الإسلامي.

السحر والرقية الشرعية:

كان للهدي النبوي في علاج السحر أبواب وطرق هي بعيدة كل البعد عن ما يتبعه جل المسلمين في الوقت الراهن من أساليب شيطانية كاللجوء إلى السحرة واستخدام أنواع من الخرز أو الحروز التي يعلقها الجهلة على أنفسهم أو أولادهم ودوابهم وهي ما يعرف بالتمائم.

فكان من هديه ﷺ لعلاج السحر الرقية بالقرآن أو بأسماء الله الحسنى ومنه ما كان قبل وقوع السحر كالتحصن بالدعوات والتعوذات والأذكار المشروعة التي

تزخر بها السنة النبوية وكان من هديه أيضاً لدفع السحر قوله ﷺ: «من اصطبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سمٌ ولا سحرٌ»[1].

وكان من هديه قوله في ترقية الحسن والحسين: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وكان يقول كان إبراهيم أبي يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق»[2].

وكان من هديه بعد وقوع السحر استخراج عين السحر إذا علم مكانها وإبطاله وتلاوة بعض آيات الذكر الكريم كآية الكرسي وكان من هديه أيضاً بعد وقوع السحر الاستفراغ بالحجامة في المحل أو العضو الذي ظهر عليه السحر أو اللجوء إلى الأدوية الطبيعية كالعسل والحبة السوداء وماء زمزم وماء السماء[3] فالعلاج بالقرآن والسنة النبوية هو علاج إيماني في حين أن العلاج بالسحر هو علاج شيطاني.

ويقول الإمام ابن القيم[4] بأن من أنفع علاجات السحر هي الأدوية الإلهية فإن السحر من تأثير الأرواح الخبيثة ودفع تأثيرها يكون بما يعارضها من الأذكار والآيات والدعوات التي تبطل فعلها وتأثيرها ويكفي أن يعلم القارئ بعضاً من أساليب السحرة لمعرفة أن السحر علم قائم على الشرك بالله.

أساليب السحرة:

السحر بأشكالها المختلفة ما هو إلا تقرب للشيطان وتعامل معه وبمقدار العصيان والكفر ينول الحليف والولي هوى نفسه من أعمال التخريب، ومن أبرز الأساليب التي يتبعها الساحر للتقرب من الشيطان ارتداء المصحف في القدمين

---

(١) صحيح البخاري، ك/الطب بـ/ شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث.

(٢) مسند أحمد، ك/مسند بني هاشم بـ/ بداية مسند عبد الله بن العباس.

(٣) انظر كتاب الدعاء من الكتاب والسنة، لسعيد بن علي القحطاني.

(٤) الطب النبوي، ابن القيم الجوزية، ص١٤٠.

ودخول الخلاء، ومنهم من يكتب آيات القرآن بالقذارة والبول ومنهم من يكتبها بدم الحيض ومنهم من يكتب آيات القرآن على أسفل قدميه ومنهم من يكتب سورة الفاتحة معكوسة ومنهم من يصلي بدون وضوء ومنهم من يظل جنباً ومنهم من يذبح للشيطان فلا يذكر اسم الله عند الذبح ويرمي بالذبيحة في مكان يحدده الشيطان له ومنهم من يخاطب الكواكب ويسجد لها من دون الله ومنهم من يأتي أمه أو ابنته ومنهم من يكتب طلسماً بألفاظ غير عربية تحمل معانٍ كفرية[1] ومن هنا يتبين أن الجني المرؤوس من الشيطان لا يساعد الساحر ولا يخدمه إلا بمقابل وكلما كان الساحر أشد كفراً كان الشيطان أكثر طاعة وأسرع تنفيذاً لأمره وإن قصر الساحر في تنفيذ ما أمره الشيطان به من أمور الكفر امتنع الشيطان عن خدمته وعصى أمره فالساحر والشيطان قرينان التقيا على معصية الله.

وأما أساليب السحرة مع البشر فهي لا تتعدى كونها أساليب نصب وخداع وابتزاز بشكل أو بآخر حتى ذهب البعض منهم لاستخدم البخور كمخدر للسيطرة على أنفس وعقول مريديهم إن صح التعبير.

ومن هذه الأساليب والتي تعتمد على خداع المريدين ما يلجأ إليه بعض السحرة من تلاوة لبعض آيات الذكر الحكيم في حضور الشخص المراد علاجه لإيهامه بأن ما يقوم به المعالج إنما هو من وحي القرآن في حين يتمتم في سريرته بما لم يترل به الله من سلطان والدين براء منه ومن كل تلك الأساليب ونتيجة لتلك التلاوات قد يلتبس الأمر على بعض من بهم مس وسحر فلا يكون بمقدورهم حينها التمييز بين من يعالج بالقرآن ومن يعالج بالسحر.

ويمكن لأي شخص أن يدرك العلاج بالسحر من خلال طلبات المعالج أو حديثه الذي يكون منه:

---

(١) عن كتاب الصارم البتار في التصدي للسحر والسحرة، وحيد عبد السلام بالي، ص٨.

١- يسأل المريض عن اسمه أو اسم أمه.

٢- يأخذ أثراً من آثار المريض ثوب أو منديل.

٣- يطلب في بعض الأحيان حيواناً بصفات معينة ليذبحه ولا يذكر اسم الله عليه وربما لطخ بدمه أماكن الألم من المريض أو يرمي به في مكان خرب.

٤- كتابة الطلاسم.

٥- تلاوة العزائم والطلاسم الغير مفهومة.

٦- إعطاء المريض حجاباً يحتوي على مربعات بداخلها حروف أو أرقام.

٧- يأمر المريض أن يعتزل الناس فترة معينة في غرفة لا تدخلها الشمس.

٨- أحياناً يطلب من المريض ألا يمس الماء لمدة معينة غالباً ما تكون أربعين يوماً.

٩- يعطي للمريض أشياء يدفنها في الأرض.

١٠- يعطي للمريض أوراقاً يحرقها ويتبخر بها.

١١- يتمتم بكلام غير مفهوم.

١٢- أحياناً يخبر الساحر المريض باسمه واسم بلده ومشكلته التي جاء من أجلها.

١٣- يكتب للمريض حروفاً مقطعة في ورقة حجاب أو في طبق من الخزف الأبيض ويأمر المريض بإذابته وشربه[١].

تأثير السحر:

قال ﷺ: «أحفظ الله يحفظك أحفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»[٢].

---

(١) عن كتاب الصارم البتار في التصدي للسحر والسحرة، وحيد عبد السلام بالي، ص٤٠.

(٢) سنن الترمذي، ك/ صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ بـ/ منه.

فإنّه لا يضر وينفع ولا يعطي ويمنع إلا الله، وإن الله لم يخلق داء إلا وخلق له دواء، وحقيقة السحر لا تنكر لأن العقل لا ينكر أن الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو مزج بين قوى على ترتيب مخصوص[1].

وحقيقة السحر تعبد للشيطان وشرك وضلال بأي شكلٍ كان والسحر فتنة رادفت كلمته هذه الكلمة في القرآن ٦٠مرة[2] وهذه الفتنة تأخذ بالقلوب وتأسر النفوس الضعيفة التي تعين الساحر عليها ولا يمكن للشيطان والجان الكفرة وأعوانهم من شياطين الإنس أن يؤثروا على الإنسان المؤمن وذلك لأن الله أعطى للإنسان المؤمن علماً من الكتاب الإلهي الكريم وليس هذا وحسب بل لأن الله ولي المؤمنين لم يجعل للشيطان عليهم من سلطان قال تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾ [الحجر: ٤٢].

وأما الشيطان فهو ولي الكافرين قال تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأعراف: ٢٧].

فالشيطان ولي الذين لا يؤمنون من الإنس والجان يغريهم ويمدهم ويهيئ لهم أساليب الضلال للإيقاع بالمؤمنين، وأولياؤه يترقبون من المؤمنين ولهم أي خطيئة ليجعلوها باباً لهم لإضعاف الإيمان في النفوس المؤمنة.

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج/١٠ ص/٢٧٤ ك/ الطب بـ/السحر.

(٢) الإعجاز العلمي في أسرار القرآن الكريم والسنة النبوية، محمد حسنى يوسف، ج/١ ص/٦١.

فالسحر لا يؤثر بذاته إلا بإرادة الله قال تعالى: ﴿ **وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ١٠٢].

فليتقي الله الذين يعودون السحرة طالبين منهم الشفاء فهم يكفرون بالرحمن ويطلبون الأمان من الشيطان وليذكروا قوله تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلا خَسَاراً**﴾ [الإسراء: ٨٢].

فهدينا وشفاءنا بما أُنزل على حبيبنا وشفيعنا وسيد الخلق محمد ﷺ لا بتلك الافتراءات والدعوات الباطلة التي لم ينزل بها الله من سلطان، وإن الله لم يجعل شفاءنا بما حرم علينا فقد جاء في صحيح البخاري عن ابن مسعود: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم»[1].

❁ ❁ ❁

(١) صحيح البخاري، ك/الأشربة بـ/شراب الحلواء والعسل.

حد السرقة:

قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

لطالما اعتمدت المناهج والتشريعات الوضعية على الحلول المؤقتة في ما يعترضها من مشكلات في مسيرة العمران البشري، والتي ثبت بطلانها بعد حين من الزمن فتلاشت واندثرت هذه الحلول، والأمثلة في ذلك كثيرة نكتفي بالتذكير بما كان يعرف بالاتحاد السوفييتي أحد قطبي العالم قبل عقدين من الزمن والذي عزي انهياره بعد قرابة القرن من تأسيسه إلى عدة عوامل وأبرزها: عدم جدوى وصلاحية الضوابط والأسس الوضعية البشرية التي أنشأ عليها علماً بأن هذا الكيان أسس على أدق النظريات الاشتراكية التي تعنى بالشؤون الإنسانية والتي دونها عدد من خيرة الفلاسفة الاشتراكيين ومجموعة من العلماء والمفكرين والسياسيين... الخ، وتلك النخبة ما كان لها أن تتغافل عن أخطاء التجارب البشرية السابقة في عملية التأسيس تلك لكن هذا الكيان مع اعتماده على أعظم النظريات وأدقها والتي كانت تأخذ بالحسبان كما ادعى المؤسسين الاحتياجات البشرية على رأس أولوياتها لم تعمر إلا قرابة المائة عام من تاريخ تأسيسه بعد ثبوت عدم صلاحيتها ومراعاتها للاحتياجات البشرية وهذا هو شأن المجتمعات البشرية الأخرى التي تتبجح في الوقت الراهن بأن لها اليد العليا في معالجة المشكلات الإنسانية من خلال اعتمادها على مجموعة من الضوابط والقواعد الوضعية واعتقادها بأن في هذه المبادئ حرية الإنسان وسلامة المجتمع والتجربة تثبت بطلان تلك القواعد والضوابط بين الفينة والأخرى فتستبدل بغيرها من التشريعات الجديدة بحجة أن تلك القواعد ما عادت صالحة لمواكبة العصر وفيها استهانة لحقوق الفرد والجدير بالذكر أن تلك المجتمعات تأبى أن تقر بأن في قواعدها الوضعية أخطاء قد تكون كارثية النتائج على كل من الفرد والمجتمع بعد حين من الزمن والأدهى من ذلك ترمى الشريعة الإسلامية بأن فيها من القسوة

والجور ما لا يطاق في ضوابطها الشرعية ومن تلك الافتراءات والاتهامات التي ترمى بها من قبل المغرضين والقاصرين عن فهم المقاصد الشرعية نقتصر على حد السرقة لنستعرض جانباً من جوانب الإعجاز التشريعي ولنقف على أخطاء التشريع الوضعي في معالجته لهذه الجريمة الذي طالما افتقر إلى الحل الناجع لمشكلاته ولنرد دعاوى من يتوهم أن في تنفيذ حد السرقة شدة وقسوة قد تنتهي بالمجتمع إلى عدد من المعوقين والعاجزين عن العمل الذين لا بد أن يحيوا عالة على المجتمع وهذه دعوة باطلة وزور من القول رمي بها التشريع الإلهي لأن الحدود الشرعية إنما شرعت لقطع دابر الفساد وزجر لكل من تحدثه نفسه بانتهاك حقوق الآخرين وعلى هذا فإن العقوبات الإسلامية ومنها حد السرقة لم تشرع لظلم الناس أو لإذلالهم وإنما شرعت ردعاً للمعتدين وزجراً وعبرة للمعتبرين ودعوة للناس كافة للحفاظ على أمن مجتمعاتهم الذي يعد من أعظم نعم الله على عباده ويعتبر فقدانه من الأمور المهلكة للمجتمع لهذا كان في حد السرقة صرامة لصون هذا الأمن والجريمة لا تتوقف إلا بعقاب رادع والعقاب بحد ذاته لا يكون عقاباً إلا إذا كان رادعاً لفاعله وعبرة لغيره.

لهذا حاربت الشريعة الإسلامية الفساد في الأرض والمفسدين والجريمة والمجرمين وحرمت العدوان على الآمنين وشرعت من أجل ذلك الشرائع الرادعة للمعتدين الذين يحرمون العباد نعمة الأمن ولأن السارق لوترك دون عقاب رادع لعم الفساد وسلب المجتمع نعمة الأمن.

وللتذكير نقول أن دعاوى المغرضين ساهمت في إبطال حد السرقة في أغلب المجتمعات الإسلامية والتي أصبحت تتخذ من السجن عقوبة لهذا الجريمة والواقع بأن تلك الدعاوى برمتها باطلة لمخالفتها لأوامر الله وإغفالها لمصلحة المجتمع ونقول لكل من تمثل قول أبي العلاء المعري:

يدٌ بخمسِ مئين عسجدٍ فديت ما بالها قطعت في ربع دينار

فالقول بأن في هذا الحد قسوة ينطوي على مهاجمة كتاب الله وسنة نبيه الكريم ﷺ لأن فيه هدم لأحكام الدين، باعتبارها ضوابط وقواعد بشرية قابلة للتبديل والتجديد.

مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة:

من المؤكد أن مصلحة المجتمع في سلامة كل فرد من أفراده وسلامة كل عضو من أعضائه وبقاؤه فيه غير أن مصلحة الفرد لا تقدم على مصلحة الجماعة وتحت أي اعتبار كان وهذا منهج الشرائع الوضعية والشرائع السماوية على حد سواء هذا وإن كان في مصلحة الفرد نفع للجماعة فمنفعته لا تقدم على منفعتها فما الحال إذا فسد ذلك الفرد وكانت منفعته تنافي مصلحة وسلامة الجماعة أوليس الواجب أن يقطع دابره بعد أن تستنفذ طرق منعه وما أشبه ذلك بحالة العضو المتآكل من الجسم إن لم يبتر حتماً سيقضي على سلامة الجسد بكامله.

أنواع السرقة وأحكامها:

١- الحرابة: السرقة الكبرى أو قطع الطريق.

مبينة مع حكمها في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [المائدة: ٣٣].

٢- السرقة

والحد فيها قوله تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [المائدة: ٣٨].

هي كبيرة من الكبائر[١] لعن فاعلها على لسان سيد الخلق ﷺ في الأحاديث النبوية الشريف وخلع عن فاعلها الإيمان حين فعلها لقوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»[٢].

---

(١) كتاب الكبائر، للإمام الذهبي، ص٩٧.

(٢) صحيح البخاري، ك/ الحدود بـ/ السارق حين يسرق.

حكمها في من دعته الضرورة:

إنّ القول بأنّ في القطع قسوة ما هو إلا قول باطل وافتراء إذا أن الشريعة السمحاء لا تجيز إقامة الحد إلا من بعد سد الذرائع المؤدية إلى هذه الجريمة، وضمن ضوابط وأحكام شرعية صارمة ومتينة ويكفي أن يعلم القارئ الكريم بأن القطع لم ينفذ في صدر الإسلام وخلال ٤٠٠ عام إلا في ٦ أيادي[١] فقط ليقف على عظمة التشريع الإسلامي الذي تمكن من معالجة هذه الجريمة بما لم تتمكن المجتمعات المتحضرة برمتها من معالجتها والشاهد على هذا أعداد اللصوص في السجون وليعلم أيضاً بأن هذا الحد لا يطبق في المجتمعات التي تتخذ شرع الله قانوناً لها إلا في آحاد من الناس خلال العام ويكفي أن يعلم القارئ باستحالة تطبيق هذا الحد إذا ما اقترن بالشبهات لأن الأصل في الإسلام درء الحدود بالشبهات[٢] فالحد لا يطبق إلا من بعد أن يكون المجتمع قد تكفل بتوفير كل ضروري لحفظ حياة أفراده فإن تعذر للفرد الحصول على ضروريات الحياة ولأي سبب كان كالعجز عن العمل القي على عاتق المجتمع توفير ضرورياته كأحد مستحقي الزكاة[٣] وملخص القول أن حد السرقة بالقطع لا يقام على سرق لسد ضرورياته ولا يقام على من لازمت سرقته الشبهات كشبهة الجوع وشبهة الشراكة في المال الخ ومن هذا المبدأ أوقف أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ﷺ حد السرقة في عام الرمادة حين عمت المجاعة كما أوقفه في حالة خاصة بحق غلمان حين تبين بأنهم سرقوا سيدهم الذي كان يجيعهم فدرأ عنهم الحد وغرم سيدهم ضعف ثمن ما كانوا قد سرقوه[٤].

---

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، ص٦٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج/٢ ص/٥٨.

(٣) مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، أ.د. زغلول النجار، ص٢٣٠.

(٤) مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، أ.د. زغلول النجار، ص٢٣٢.

حكمها في من ارتكبها من غير ضرورة:

إنّ ثبوت جريمة السرقة ثبوتاً لا شك فيه من الشبهات يوجب تطبيق الحد الشرعي على السارق بقطع يده اليمنى من مفصل الكوع في السرقة الأولى فإن سرق ثانياً قطعت رجله اليسرى[1] وللفقهاء عند تكرار السرقة بعد ذلك تفاصيل لا حاجة لنا بذكرها هنا ويشترط لاقامة حد السرقة على السارق توافر شروط أبرزها:

١- أن يكون السارق عاقلاً مكلفاً بالغاً عالماً بالتحريم[2].

٢- أن لا يكون للسارق حقاً في مال المسروق لاتصالهما بصلة قربة كأن يكون السارق أباً أو ابناً أو زوجاً أو زوجة.

٣- أن لا يكون للسارق شبهة ملك في المال المسروق كشراكة أو غيرها.

٤- أن يكون المسروق مالاً مباحاً لا خمراً وما شابه وأن يكون بالغاً ربع دينار في القيمة.

٥- أن يكون المال المسروق في حرزٍ كدار أو دكان... الخ.

٦- أن لا يؤخذ المال على وجه الخلسة أو الغصب أو النهب[3].

وهناك تفاصيل أخرى لا يتسع المقام لعرضها والمراد من ما تقدم هو أن لحد السرقة ضوابط وقواعد لإقامته لا كما يتوهم الواهمون ولا كما أدعى المغرضون وبهذا السياق يفهم حد السرقة وتفهم الحدود الشرعية الإسلامية التي يجب أن تؤخذ في ضوء التكامل والتكافل الإسلامي اللذان يأخذان أسباب الوقاية قبل تطبيق العقوبة ومن هنا كان التشديد في الحكم على السارق الذي لا عذر له في السرقة والذي ما كان له أن يدرأ الحدود بالشبهات فإذا ثبتت الجريمة كان العقاب عليها رادعاً لا

---

(١) حاشية البيجوري، إبراهيم البيجوري، ص٤٥٨.

(٢) حاشية البيجوري، إبراهيم البيجوري، ص٤٥١.

(٣) منهاج المسلم، لأبي بكر جابر الجزائري، ص٤١٩.

رحمة فيه فواهم أياً كان إن لم يبتر العضو المتآكل بعد أن استنفذ جميع الطرق لعلاجه لأن في إبقائه فساد الجسد بكامله.

القوانين الوضعية وعقوبة السرقة:

إنّ القوانين الوضعية أخفقت في معالجتها لجريمة السرقة باتخاذها من الحبس عقوبة للسارق، وقد يعزى هذا الإخفاق لعدد من الأسباب منها أن هذه العقوبة لا تحول بين السارق فعله إلا لمدة حبسه هذا إن لم تمكنه فترة الحبس من الإطلاع على أساليب جديدة تمكنه من إتقان السرقة لاقترانه بمجرمين آخرين في حبسه،بالإضافة إلى ما تعانيه هذه المجتمعات من نفقات تصرف لتوفير حاجات المجرمين وهذا ما يدفع بالكثير من المجتمعات إلى إطلاق سراح بعض أصحاب الجرائم الصغيرة، ومنهم اللصوص لخفض النفقات وهذا ما حذا بالولايات المتحدة الأمريكية وخلال العقدين السابقين إلى دراسة جادة لإطلاق سراح أصحاب الجرائم الصغيرة ومنهم اللصوص قبل انتهاء محكوميتهم لخفض النفقات إذا بلغ حجم ما تنفقه على السجين الواحد سنوياً ٣٠ ألف دولار[1] أي ما يعادل ١٥٠٠٠٠٠ ليرة سورية وبالفعل أطلق سراح هذه الفئة من المجرمين بتاريخ ٢٠٠٩/١٢/١٧ كما أطلعتنا على ذلك شبكة الجزيرة في نشرها الإخبارية في هذا التاريخ.

والسؤال الذي يطرح نفسه هل يعاقب السارق على جرمه أم يكافئ بفترة نقاهة تمكنه من أساليب جديدة في مزاولة جرائمه يصرف عليه خلالها مبالغ طائلة لا يناله الحر الطليق.

ولأي عاقل أن يجيب وأياً كانت نحلته وبدوري أجيب بقوله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [البقرة: ١٥].

❁ ❁ ❁

(١) موسوعة الإعجاز العملي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، ص٦٠.

اقتناء الكلاب:

قال ﷺ: «من اقتنى كلباً لا يغني عنه زرعاً ولا ضرعاً نقص كل يوم من عمله قيراط»[1].

فقد أباح الإسلام اقتناء الكلب وتربيته إن كان المراد من وراء ذلك فائدة كاتخاذه للصيد أو للحراسة أو لاقتفاء الأثر ذلك لما يمتاز به هذا الحيوان عن غيره من المخلوقات بحاسة الشم إذ أن الكلب يتفوق بها على الإنسان بمليون مرة ذلك لأن خلايا الشم لديه تحتل مساحة تزيد على مئة وخمسين سنتيمتراً مربعاً ليصل عدد الخلايا الشمية في هذه المساحة إلى ما يزيد عن مئة وخمسين مليون خلية[2] وأما في الإنسان فإن هذه الخلايا تحتل مساحة قدرها خمسة سنتمترات مربعة.

فلهذا المخلوق قدرة خارقة على اقتفاء الأثر حتى أنه ليميز إنسان من رائحته من بين مئة ألف إنسان إذا أعطي في البدء شيء من أثره ولهذه الخاصية استعملته بعض الدول لكشف التسرب الحاصل في أنابيب الغاز المدفونة تحت التراب.

وأمّا إن كان المراد من تربية الكلاب الهواية وما شابه ذلك من تضييع للمال والوقت أو تشبه بعادات الغرب والتي وصل عدد الكلاب في واحدة من دوله.. فرنسا.. عام ١٩٧٦ ميلادي سبعة ملايين كلب مقابل اثنين وخمسين مليون إنسان ولا يخفى على القارئ الكريم أن مذهب هؤلاء بعيد كل البعد عن الأهداف التي يتخذ الكلب من أجلها فقد يتخذ من قبل البعض منهم للأغراض الجنسية.

وكما أسلفنا فإن كان المراد من تربية الكلب الترفيه واللهو وإضاعة المال والوقت، أو جعل تربته هواية فهذا غير جائز شرعاً ومن ما يقال في هذا بأنه ترك لهدي النبي محمد ﷺ.

---

(١) صحيح البخاري، ك/ المزارعة بـ / اقتناء الكلب للحرث.

(٢) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الآفاق، أ.د. محمد راتب النابلسي، ص٣٢٦.

ولعل المادة العلمية التالية تبين بعضاً من الأضرار التي قد تترتب عن تربية الكلاب خلافاً للتعاليم الإسلامية.

رأي الطب في اقتناء الكلاب:

جاء في أحد البحوث العلمية أن الكلب مسؤول عن ستة وثلاثين مرضاً يصاب بها الإنسان، في حين أكدت دراسة أخرى بأنه يحمل العديد من فيروسات الأمراض المعدية والتي قد تصل إلى قرابة الخمسين مرضاً، ومعظم هذه الفيروسات تتخذ من لعاب الكلب موطناً للعيش والتكاثر وقد أكدت الدراسة بأنه لا يمكن التخلص من هذه الأمراض إلا عن طريق التخلص من تربية الكلاب ونذكر ها هنا بعضاً من هذه الأمراض وأخطرها.

داء الكلب.. الريبس:

وهو من أشهر الأمراض وأخطرها وسببه فيروس يحمله الكلب في لعابه ناتج عن إصابته بحمى راشحة.

وينتقل هذا الفيروس من لعاب الكلب إلى الإنسان عن طريق الجروح التي تحدثها عضة الكلب فيه، وبالتالي ينتقل الفيروس ويسري في الدم ويتربص بالإنسان خمسة أيام لتبدأ آثاره بالظهور وليصل إلى ذروته في غضون ثلاثين إلى أربعين يوماً عندها يتعرض الإنسان لنوبات من الصرع والتشنج العصبي كنتيجة إلى تلف الخلايا العصبية في المخ[1]،كما وتصاب بعض العضلات بالضمور والشلل التام وعلى الرغم من أن العلاج من هذا الداء يكون سهلاً في بادئ الأمر غير أنه في مراحله النهائية وبعد أن يتمكن من الخلايا العصبية والعقد العصبية يكون أمر شبه مستحيل بحيث ينتهي أمر المصاب بالموت.

---

(١) الإعجاز الطبي في القرآن، د. السيد الجميلي، ص٢٦٧.

دودة الكلب الشريطية.. المكورة:

وهذه الدودة إحدى الطفيليات الشريطية على الرغم من اختلافها عن قريناتها الأخرى بصغر حجمها الذي لا يكاد يرى بالعين المجردة وتوجد في مصران الكلب وتخرج بيوضها من جوفه مع البراز وعندما يلحس الكلب دبره تنتقل هذه البيوض إلى لعابه ومن ثم تنتقل هذه البيوض إلى الأواني والصحون التي يلعقها الكلب أو إلى اليد التي تلمسه ومن اليد إلى داخل جوف الإنسان إلى المعدة فالأمعاء وبعد أن تفقص البيوض وتخرج منها الأجنة تتسرب إلى الدم وتنتقل من خلاله إلى جميع أنحاء الجسم وبخاصة إلى الكبد كونه المصفاة الرئيسية للجسم ويبدو أثر إصابة الكبد بهذه الدودة واضحاً في الماشية من خلال الزيادة الملحوظة في وزنه والتي قد تصل من خمسة إلى عشرة أضعاف وزنه الحقيقي.

وأما إصابة الإنسان بهذه الدودة فينتج عنها بثرات وقروح في الأعضاء المصابة لتصل القرحة في بعض الأحيان في العضو المصاب إلى حجم قبضة اليد أو رأس الطفل وهو ما يعرف بداء الكيسة المائية الذي يمتلئ سائلاً أصفر وغالباً ما يصاب بها الكبد وفي كثير من الأحيان تنتقل الإصابة إلى الرئة والعضلات والطحال والكلى[1].

وتجدر الإشارة في هذا الموضع بأن الإصابة بهذا الداء لا يمكن معالجتها بالطرق الكيميائية فغالباً ما يلجأ المعالج إلى إزالتها بالطرق الجراحية.

واللافت في معظم الأمراض التي ينقلها الكلب بأن الأصل والعامل الممرض فيها هو الفيروسات الموجودة في لعابه لهذا كان من الهدي النبوي غسل الإناء مرة بالتراب

---

(١) الحلال والحرام في الإسلام، الشيخ محمد أحمد عساف، ص٥٥٥.

أثناء تطهيره من ولوغ الكلب فيه لقوله ﷺ: «طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب»[1].

وقد ثبت بشكل علمي مصداق القول النبوي الشريف فقد ثبت علمياً أن الجراثيم الضارة بأغلبها تموت في التراب وهذا ما أكدته البحوث العلمية التي أجريت على تربة المقابر ولاسيما التربة التي كان أصحابها قد ماتوا بأمراض معدية فبعد فحص التربة وجدوا بأن هذا الجراثيم لا وجود لها هذا من جهة ومن جهة أخرى فالجراثيم لا يمكن إزالتها من الإناء بسهولة وذلك لأن فيروس الكلب شديد التعلق بجدار الإناء وحين يغسل الإناء بالتراب يسحب اللعاب ويسقط الفيروس المسبب للكلب أو البيوض العالقة بالإناء.

العمى:

أكد كشف طبي مؤخراً في أمريكا وجود علاقة بين بعض حالات العمى وملامسة الكلاب ومداعبتها والتعرض لفضلاتها أو لعابها.

فقد وجد أطباء بيطريون دودة طفيلية تعرف باسم توكسو كارا كانيس تعيش في فراء الكلب وتنتقل إلى لعابه عندما يلعق نفسه ويكون انتقالها من الكلب إلى الإنسان إما عن طريق الملامسة أو عن طريق لعاب الكلب وبعد الإصابة بهذه الدودة فإنها تتخذ من المنطقة الواقعة خلف العين مركزاً لها وتسبب له العمى.

❁ ❁ ❁

(١) صحيح مسلم، ك/ الطهارة بـ/ حكم ولوغ الكلب.

الوَشْمُ... رؤيةٌ شرعية وطِبية وخُلقية:

الوشم من الظواهر الاجتماعية المخالفة للشريعة الإسلامية وقد ورد لعن فاعليه في الأحاديث النبوية الشريفة ومنها ما روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «لعن الله الواشمات والمُوتَشِمات، والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأةً من بني أسد يقال لها: أم يعقوب فجاءت فقالت إنه بلغني عنك أنك لعنت كيت وكيت فقال وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ ومن هو في كتاب الله فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول قال لئن كنت قد قرأتيه لقد وجدتيه أما قرأت (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) قالت بلى قال فإنه قد نهى عنه قالت فإني أرى أهلك يفعلونه قال فاذهبي فانظري فذهبت فنظرت فلم تر من حاجتها شيئاً فقال لو كانت كذلك ما جامعتها»[1].

ما هو الوشم؟

الوشم: هو أن ينخس جلد العضو المراد وشمه بإبرة أو نحوها حتى يسيل الدم، ثم يحشى موضع النخس بمساحيق مختلفة كالكحل أو النيل أو غير ذلك من الملونات الحيوانية فيخضر الموضع الموشوم أو يزرق.

أين يكون الوشم؟

يكون الوشم غالباً في المناطق المكشوفة من الجسم كالوجه واليدين، وأكثر ما يكون في الشفة، وكان يتخذ لأغراض عديدة في القدم منها التزين لإبراز جمال العضو الموشوم وغالباً ما كان يرتبط بالناحية العقائدية عند الشعوب الوثنية القديمة الذين كانوا يتخذون منه صوراً لمعبوداتهم وشعائرهم الدينية ومن تلك الشعوب المصريين القدامى الذين كانوا يعتقدون فيه الشفاء من الأمراض ودفع للعين والحسد

(١) صحيح البخاري، ك/ تفسير القرآن بـ/ وما آتاكم الرسول فخذوه.

وأما في الوقت الراهن فإن الوشم غالباً ما يتخذ لإبراز الناحية الجمالية أكثر من الناحية العقائدية وللناس فيه مذاهب فالبعض منهم ينقش على يده قلباً أو صورة حيوان، ونحو ذلك.

الشرع والوشم:

مما يبعث على الأسى أن نجد الشباب في المجتمعات الإسلامية يحذون حذوا المجتمعات الغربية بتقليدهم في كل شيء، مثل القصات الغربية والملابس التي ما عاد لها من تسمية إلا واتخذته كالضيقة والفاضحة وغيرها حتى حذا البعض من الشباب والفتيات إلى تقليد مظاهر العالم الغربي حتى في المشي والكلام وكما صور الحديث النبوي الشريف شبراً بشبر وذراعاً بذراع لقوله ﷺ: «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراعٍ حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن»[1].

والأدهى أن لا يقتصر تقليد البعض للعالم الغربي على ما فيه من عيوب بل ويذهب البعض للتشبه بالشيطان من خلال الوشم فقد ورد في الحديث عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «قال إبليس لربه: يا رب أهبطتَ آدم، وقد علمتُ أنه سيكون كتاب ورسل فما كتابهم ورسلهم؟ قال: رسلهم الملائكة، والنبيون منهم وكتبهم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان. قال: فما كتابي؟ قال: كتابك الوشم وقرآنك الشعر ورسلك الكهنة وطعامك ما لا يذكر اسم الله عليه وشرابك كل مسكر وصدقك الكذب وبيتك الحمام ومصايدك النساء ومؤذنك المزمار ومسجدك الأسواق»[2].

والأولى في التحريم من ذلك لعن فاعليه في العديد من الأحاديث النبوية الشريفة والصحيح بأنه محرم وفي أي عضو كان وهذا ما قال به الإمام ابن حجر إذ يقول:

---

(١) صحيح البخاري، ك/ أحاديث الأنبياء بـ/ ما ذكر عن بني إسرائيل.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ الهيثمي، ج/١ ص/١٣٦.

(وذكر الوجه للغالب وأكثر ما يكون في (الشفة) وذكر الوجه ليس قيدا وقد يكون في اليد وغيرها من الجسد وهذا يدل على أن حكم الوشم لا يختص بجزء معين إنما هو عام يشمل إي مكان وجد فيه الوشم)[1].

وقال العلماء بضرورة إزالة الوشم لان العضو الموشوم يصير نجساً فإن أمكن إزالته بالعلاج وجب ذلك، وإن لم يمكن إلا بالجرح فإن خاف منه التلف أو فوات عضو أو منفعة عضو أو شيئاً فاحشاً في عضو ظاهر لم يجب إزالته وإن لم يخف شيئاً من ذلك ونحوه لزمت إزالته ويعصي بتأخيره وسواء في هذا كله الرجل والمرأة[2].

لماذا الوشم وما الفائدة منه؟

يرى البعض في الوشم بأنه صورة جمالية تزين بها أعضاء الجسم للفت الانتباه إلى مكان وجود الوشم أو لإبراز القوة والصلابة، ويستعمل عادة الحبر الهندي أو الكربون الأسود بحيث تعطي الجزيئات السوداء التي يتم إدخالها إلى الجلد لوناً أزرق وعند استعمال سينابار.. سلفيد الزئبق.. فإن المكان الموشوم يأخذ اللون الأحمر، ويأخذ الجلد اللون الأخضر عند استعمال أكسيد الكروم ويمكن استعمال سلفيد الكاديوم من أجل الألوان الضاربة للصفرة وألومينات الكوبالت من أجل اللون الأزرق الفاتح وأكسيد الحديد من أجل اللون البني، ويظن الواهمون أن الوشم يعبر عن قوة الشخصية وخصوصاً إذا ما حمل معاني ودلالات مرعبة كصور العقارب والأفاعي والسيوف وغيرها، والبعض الآخر منهم يعتبره تخليداً لذكرى معينة تحمل في أنفسهم أثراً كما إنه يعبر عند البعض عن تغيرات تطرأ على شخصيته تجعله يأتي على الوشم للتعبير عن سخطه وتميزه في المجتمع وكل تلك الترهات أفكار واهية والحقيقة إن الوشم هو نوع من الاختلال النفسي وتقليد أعمى لشخصيات أو لجماعات وثنية يأتي دون التفكير في معاني تلك الوشوم.

---

(١) فتح الباري، للإمام ابن حجر العسقلاني، ك/ اللباس بـ/المتفلجات للحسن.

(٢) وقد خاب من دساها، د. محمد ياسر المسدي، ص١٥٩.

رأي الأطباء في الوشم:

يرى بعض الأخصائيين في أمراض الجلد بأن الوشم من الناحية الطبية ينطوي على مخاطر منها: إمكانية الإصابة بسرطان الجلد[1] والصدفية والحساسية التي تحصل في الجلد في بعض الحالات والالتهاب الحاد بسبب التسمم وخاصة عند استخدام صباغ صنع لأغراض أخرى كطلاء السيارات أو حبر الكتابة، وسوء التعقيم الذي يؤدي إلى انتقال العدوى بأمراض الالتهاب الكبدي وفيروس الإيدز والزهري، وقد تصل إلى التأثير في الحالة النفسية للموشوم فتؤدي إلى تغيرات سلوكية في شخصيته وهذا ما أكدته لجنة أوربية حذرت من أن هواة رسم الوشوم على أجسامهم يحقنون جلودهم بمواد كيمياوية سامة غير آمنة قد تؤدي إلى معظم الأمراض التي ذكرناها سابقاً.

(١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، ص٦٥٥.

من كان ذنبه أعظم من عفو الله ورحمته فليقنط

قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: ٥٣].

إنّ الحديث عن قدرة الله غافر الذنب وقابل التوب والتي لا تجزى بالكلمات ولا السطور ولا يحيط بعظيم شأنها لا أيام ولا سنين ولا دهور هو حديث عن سعة رحمة الله وعفوه وهذه السعة تنقضي الأيام ولا ينقضي دهرها ولكن أخذ القليل خيرٌ من ترك الكثير وأسأل الله أن لا أضيق واسعاً وخير ما تتجلى به هذه الرحمة في النصوص القرآنية والأحاديث النبوية المطهرة وأبدأ باسمه وبقوله تعالى: ﴿**... وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ...**﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وعن سيد الخلق والمرسلين ﷺ: «إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فيها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخَّر تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة»(١).

والحديث يبين باباً من أبواب رحمته تبارك وتعالى لا يغلق في وجه التائبين إلى يوم القيامة وقد روي عنه ﷺ: «المرء مع من أحب يوم القيامة... وذكر باباً من قبل المغرب مسيرة عرضه أو يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين عاماً قال سفيان قبل الشام خلقه الله يوم خلق السموات والأرض مفتوحاً يعني للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه»(٢).

ومن عظيم رحمة الله وتكرمه على عباده أن لا يؤخذوا بالأعمال فواهم من ظن أن للجنة ثمن لقوله ﷺ: «ما من أحدٍ يدخله عمله الجنة فقيل ولا أنت يا رسول الله

---

(١) صحيح مسلم، ك/ التوبة بـ/ في سعة رحمة الله تعالى....

(٢) سنن الترمذي، ك/ الدعوات عن رسول الله بـ/ في فضل التوبة والاستغفار...

قال ولا أنا إلا أن يتغمدني ربي برحمة»[1].

كل بني آدم خطاءٌ:

من سنة الله في خلقه مذ بدء الخلق أن يذنبوا لقوله ﷺ: «كل بني آدم خطاءٌ وخير الخطائين التوابون»[2].

ولقوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقومٍ يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»[3].

وهذه سنة الله في خلقه من عهد أبينا آدم عليه السلام في الجنة إذ علمه الخالق تبارك وتعالى الدرس الأول في التوبة والاستغفار وبين له أن عدوه الأول له ولذريته هو إبليس اللعين فالله عز وجل خلق آدم وأمر الملائكة بالسجود لهذا الخلق فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر واتخذ من إضلال آدم غاية وهدفاً فزين له ما نهاه الله عنه فأغواه وأخرجه مما كان فيه وتقرير ذلك في آيات الذكر الكريم.

ورأفة من الخالق تبارك وتعالى بآدم وحباً له وتكرماً عليه وتفضلاً علمه كلمات التوبة ليتوب عليه ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة: ٣٧].

وجاء الأمر الإلهي من بعد أن اهبطوا منها جميعاً إبليس وآدم وحواء لكن المدحور إبليس لعنه الله أصر على معصيته واقسم بعزة الله أن يغوي بني آدم بعد ما يأس من إضلال أبيهم ﴿**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [ص: ٨٢].

لهذا يأتي لعنة الله عليه بوسوسته لبني آدم من كل ناح وصوب ﴿**ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾ [الأعراف: ١٧].

---

(١) صحيح مسلم، ك/ صفة القيامة والجنة والنار بـ/ لن يدخل أحد الجنة بعمله...

(٢) سنن ابن ماجه، ك/ الزهد بـ/ ذكر التوبة.

(٣) صحيح مسلم، ك/ التوبة بـ/ سقوط الذنوب بالاستغفار توبة.

فآدم عليه السلام أيقن معاينة حقيقة إبليس اللعين والخالق جل في علاه بين لذريته من بعده في كتابه الكريم أن الشيطان هو العدو المضل المبين قال تعالى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ [فاطر: ٦].

وبين لهم بأنه لعنة الله عليه يأمروهم بالفحشاء و يعدهم الفقر و يزين لهم المعصية كما زينها لأبيهم من قبل ﴿**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى**﴾ [طه: ١٢٠].

وأنه لعنة الله عليه لا سلطان له عليهم إلا أن يأتيهم بالوسوسة ليضلوا فإن ضلوا تبرأ منهم وتقرير هذا في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [إبراهيم: ٢٢].

فالخالق تبارك وتعالى علم آدم عليه السلام بأن الذي يحول بينه وبين رحمة الله وفسيح جناته هو الشيطان، وبين له ولذريته من بعده بأنه العدو المضل المبين وبين لهم عظيم رحمته بما سخره لهم من النعم ونهاهم عن الطغيان والفساد وبين فضل التوبة والاستغفار لمن افسد وطغى وبين ما للتوبة والاستغفار من أثر في جعل كيد الشيطان في نحره حتى جاء عنه في الأثر لعنة الله عليه قوله: أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار.

ومن آدم إلى أن تقوم الساعة فإن الله رأفة بعباده يبسط يده في النهار ليتوب مسيء الليل ويبسط يده في الليل ليتوب مسيء النهار وما زال الرحمن باسط يده ليقبل التوبة من عباده حبا لهم وتكرماً عليهم وتفضلاً وهو الغني عن العالمين.

ولتبيان فضل التوبة تكررت إرشادات سيد الخلق ﷺ للناس ليسارع إلى التوبة من الذنوب وحثهم في سنته المطهرة وهو المعصوم على الاستغفار فقد روي عنه في صحيح مسلم: «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة»[1].

والله تعالى أعلن لعباده أنهم معرضون للخطايا في الليل والنهار وأمرهم أن يستغفروه ووعدهم إن هم استغفروه غفر لهم وهو سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد فعن رسول الله ﷺ فيما يروي عن الخالق تبارك وتعالى أنه قال:

«يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا،

يا عبادي كلكم ضالٌ إلا من هديته فاستهدوني أهدكم،

يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم،

يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم،

يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم،

يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضُري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني،

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً،

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً،

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر،

---

(١) صحيح مسلم، ك/ الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار بـ/ استحباب الاستغفار والاستكثار منه.

يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه»[1] وفي قوله تعالى بيان وإعلان للعباد أنه سبحانه وتعالى لا يظلم ومن ذلك قوله في كتابه الكريم: ﴿...**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾ [فصلت: ٤٦].

فهو الملك الحق ليس بظالم لخلقه في جميع تصرفاته ولا في قضائه ولا في قدره ولا في سائر أفعاله جل وعلا.

الله يدعونا إليه:

الدلائل على حب الله لعباده في كتابه الكريم لا تعد ولا تحصى ومنها قبوله توبة التائب والتجاوز عن سيئاته، والإنعام عليه بالرضا والحب بعد الغضب، فأبواب عفوه ورحمته ترتجى بالاستغفار الذي كثر ذكره وبين فضله في آيات الذكر الكريم فتارة يؤمر به كقوله تعالى: ﴿... **وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [المزمل: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿**وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ...** ﴾ [هود: ٣].

وتارة يمدح أهله كقوله تعالى: ﴿... **وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ**﴾ [آل عمران: ١٧].

وتارة يقترن ذكره بمغفرة الله كقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً**﴾ [النساء: ١١٠].

وكثيراً ما يرتبط بذكر التوبة كقوله تعالى: ﴿**وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ...**﴾ [هود: ٣].

---

(١) صحيح الأحاديث القدسية، عصام الدين الصبابطي، ص١٤١.

وقوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

وقوله تعالى: ﴿... فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].

وقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].

والله تعالى وعد بالمغفرة لمن استغفر من ذنوبه ولم يصر على فعلها كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

ووعد المستغفرين بالرزق كقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾ [نوح: ١٢].

فلا ذنب عصي على رحمته وعفوه رب السموات والأرض وما بينهما مالك الملك الودود الرحيم الداعي عباده إلى التوبة من عظيم الذنب ليغفر لهم ويتوب عليهم القائل في محكم كتابه الكريم: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

﴿... وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ...﴾ [الرعد: ٦].

﴿...فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ...﴾ [التوبة: ٣].

﴿...ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

وما أعظم عطاء الله ومنته على عباده التائبين الذين يبدلون أخلاقهم وأفعالهم الذميمة أخلاقاً وأفعالاً حميدة فيجعلون بدل الجهل علماً وبدل الشح جوداً وبدل الظلم عدلاً وبدل الشدة ليناً أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات لقوله تعالى: ﴿**إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً**﴾ [الفرقان: ٧٠].

واقرن الله سبحانه وتعالى التوبة بالفلاح لقوله: ﴿**فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ**﴾ [القصص: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿... **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور: ٣١].

والآيات كثيرة في الذكر الكريم التي تدعو الخاطئين إلى رحاب الله الودود الغفور التواب الرحيم، المنان على عباده فمن بعد الذنب مغفرة ومن بعد العصيان عفو وجنات عرضها السموات والأرض كقوله تعالى: ﴿**حم (١) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ...**﴾ [غافر: ٣].

وقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾ [الشورى: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**﴾ [التحريم: ٨].

فالخالق تبارك وتعالى ليس محباً للانتقام والتعذيب وهو الغفور الودود الرحمن الرحيم الذي كتب عنده فوق عرشه «إن رحمتي سبقت غضبي»[1].

---

(١) صحيح الأحاديث القدسية، عصام الدين الصبابطي، ص٢٦٥.

وهو الغني عن عذاب العالمين القائل في محكم كتابه الكريم: ﴿**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً**﴾ [النساء: ١٤٧].

فغضبه لا يحل إلا على الكافر الجاحد المتكبر على عبادته والمصر على الكفر والمعصية المستهتر بحرماته تعالى أما التائب النادم فهو قريب من رحمة الله لقوله ﷺ: «الندمُ توبةٌ»[١].

فالله تعالى يبسط يده بالرحمة والمودة الفائضة على عباده ليقبل توبتهم، ويمحو سيئاتهم ويبدلها حسنات بكرمه ومنته.

محبة الله للعباد وفرحته بالتائب:

﴿...**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: قدم على رسول الله ﷺ سبيٌ فإذا امرأة من السبي تبتغي إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا رسول الله ﷺ «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار» قلنا لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه فقال رسول الله ﷺ: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها»[٢].

وجاء في الحديث القدسي أن الخالق يفرح بتوبة عبده الضال ويتقرب منه فعن النبي ﷺ أن الله عز وجل قال: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ومن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً وإذا أقبل إلي يمشي أقبلت إليه أهرول»[٣].

---

(١) سنن ابن ماجه، ك/ الزهد بـ/ ذكر التوبة.

(٢) صحيح مسلم، ك/ التوبة بـ/ في سعة رحمة الله تعالى وإنها سبقت غضبه.

(٣) صحيح الأحاديث القدسية، عصام الدين الصبابطي، ص١٨٥.

لا تقنط من رحمة الله:

قال تعالى: ﴿... **وَلا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [يوسف: ٨٧].

﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: ٥٣].

﴿**قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلا الضَّالُّونَ**﴾ [الحجر: ٥٦].

وروي في صحيح مسلم «أذنب عبدي ذنباً فقال اللهم اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك»[(١)].

فالخالق عز وجل يبسط يديه في الليل والنهار لقبول توبة العباد كما جاءنا عن سيد الخلق ﷺ «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له»[(٢)].

وعنه ﷺ: «لو يعلم الكافر ما عند الله من رحمة ما قنط من جنته أحد»[(٣)].

وفي الحديث القدسي يقول الخالق تبارك وتعالى: «يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولو أتيتني بملء الأرض خطايا لقيتك بملء

---

(١) صحيح مسلم، ك/ التوبة بـ/ قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت.....

(٢) صحيح البخاري، ك/ الدعوات بـ/ الدعاء نصف الليل.

(٣) صحيح مسلم، ك/ التوبة بـ/ في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

الأرض مغفرة ما لم تشرك بي شيئاً ولو بلغت خطاياك عنان السماء ثم استغفرتني لغفرت لك»[1].

فالمؤمن إذا أذنب ذنباً عليه أن يبادر إلى التوبة والاستغفار ويتباعد عن الإصرار والاستمرار كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً...** ﴾ أي كبيرة ﴿... **أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ...**﴾ أي بفعل الصغائر ﴿... **ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٣٥] أي يعلمون أنهم إن تابوا تاب الله عليهم وإذا استغفروه غفر لهم ﴿**أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٦].

وفي هذا وعد من الله وبشارة للمذنب التائب والمستغفر من الذنب أن له مغفرة من ربه فعلى المؤمن إذا أذنب ذنباً أن يسرع إلى التوبة ولا يقيم على الذنب ولا يصر عليه.

وللعصاة جميعاً في عفو الخالق عن بني إسرائيل على عظيم ذنبهم عبرة فبعد أن نجاهم من فرعون وآله وفرق بهم البحر فأنجاهم وأغرق فرعون وجنوده اتخذوا من حليهم عجلاً وعبدوه دون الله فما ذنوب العاصين في بحر ذنوب بني إسرائيل إلا قطرة.

لا حائل بينك وبين رحمة الله:

مهما عظم الذنب فإن عفو الله أعظم ومن ذلك أن قتل النفس التي حرم الله من الموبقات فاقرأ ما جاء عن رسول الله ﷺ لتعلم أن عفو ربك ورحمته وسعت كل شيء فعن سيد الخلق قال: «كان فيمن قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له

(١) صحيح الأحاديث القدسية، عصام الدين الصبابطي، ص١٧٩.

من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على رجلٍ عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط فأتاهم ملك في صورة أدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة»[1].

ولك أن تتطلع في كتب المتون على كتاب التوبة لتقف من خلال كلام سيد الخلق والمرسلين على عظيم رحمة الله ورأفته بعباده العصاة ولك أن تتعض ببعض قصص العصاة اللذين تابوا وصدقوا في توبتهم فكان منهم من يقتدى به.

توبة مالك بن دينار:

سئل مالك يوماً عن سبب توبته فقال كنت شرطياً وكنت منهمكاً على شرب الخمر ثم إنني اشتريت جارية نفيسة ووقعت مني أحسن موقع فولدت لي بنتاً فشغفت بها فلما دبت على الأرض ازدادت في قلبي حباً وألفتني وألفتها قال فكنت إذا وضعت المسكر بين يدي جاءت إلي وجاذبتني عليه وهرقته من ثوبي فلما تم لها سنتان ماتت فأكمدني حزنها فلما كانت ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة الجمعة بت ثملاً من الخمر و لم أصلِّ فيها عشاء الآخرة فرأيت فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت ونفخ في الصور وبعثرت القبور وحشر الخلائق وأنا معهم فسمعت حساً من ورائي فالتفت فإذا أنا بتنين أعظم ما يكون أسود أزرق قد فتح فاه مسرعاً نحوي فمررت بين يديه هارباً فزعاً مرعوباً فمررت في طريقي بشيخ نقي الثوب طيب

(١) صحيح مسلم، ك/ التوبة بـ/ قبول توبة القاتل وإن كثر قتله.

الرائحة فسلمت عليه فرد السلام فقلت أيها الشيخ أجرني من هذا التنين أجارك الله فبكى الشيخ وقال لي أنا ضعيف وهذا أقوى مني وما أقدر عليه ولكن مر وأسرع فلعل الله يتيح لك ما ينجيك منه فوليت هارباً على وجهي فصعدت على شرف من شرف القيامة فأشرفت على طبقات النيران فنظرت إلى هولها وكدت أهوي فيها من فزع التنين فصاح بي صائح ارجع فلست من أهلها فاطمأننت إلى قوله ورجعت ورجع التنين في طلبي فأتيت الشيخ فقلت يا شيخ سألتك أن تجيرني من هذا التنين فلم تفعل فبكى الشيخ وقال أنا ضعيف ولكن سر إلى هذا الجبل فإن فيه ودائع المسلمين فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك قال فنظرت إلى جبل مستدير من فضة وفيه كوى مخرمة وستور معلقة على كل خوخة وكوة مصرعان من الذهب الأحمر مفصلة باليواقيت مكوكبة بالدر على كل مصراع ستر من الحرير فلما نظرت إلى الجبل وليت إليه هارباً والتنين من ورائي حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع وأشرفوا فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه فإذا الستور قد رفعت والمصاريع قد فتحت فأشرف علي من تلك المخرمات أطفال بوجوه كالأقمار وقرب التنين مني فتحيرت في أمري فصاح بعض الأطفال ويحكم أشرفوا كلكم فقد قرب منه عدوه فأشرفوا فوجاً بعد فوج وإذا أنا بابنتي التي ماتت قد أشرفت علي معهم فلما رأتني بكت وقالت أبي والله ثم وثبت في كفة من نور كرمية السهم حتى مثلت بين يدي فمدت يدها الشمال إلى يدي فتعلقت بها ومدت يدها اليمنى إلى التنين فولى هارباً ثم أجلستني وقعدت في حجري وضربت بيدها اليمنى إلى لحيتي وقالت يا أبت ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ...**﴾ [الحديد: ١٦].

فبكيت وقلت يا بنية وأنتم تعرفون القرآن فقالت يا أبت نحن أعرف به منكم قلت فأخبريني عن التنين الذي أراد أن يهلكني قالت ذلك عملك السوء قويته فأراد أن يغرقك في نار جهنم قلت فأخبريني عن الشيخ الذي مررت به في طريقي قالت

يا أبت ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء قلت يا بنية وما تصنعون في هذا الجبل قالت نحن أطفال المسلمين قد أسكنا فيه إلى أن تقوم الساعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم.

قال مالك فانتبهت فزعاً وأصبحت فأرقت المسكر وكسرت الآنية وتبت إلى الله عز وجل وهذا كان سبب توبتي[1].

وصلح إسلام مالك بن دينار بعد ذلك فكان من أحفظ الناس لكتاب الله ومن رواة الحديث عن أنس بن مالك حتى أصبح من زهاد التابعين والأخيار الصالحين.

ففي التوبة عودة إلى ضلال الرحمن وفي كثرة الاستغفار خذلان للشيطان فلا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وعفو ربك أكبر.

وآخر القول أن الحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

(١) عن كتاب التوابين، للإمام أبي محمد عبد الله محمد بن أحمد المقدسي، ص٢٠٥.

المراجـــع:

١- القرآن الكريم.

٢- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي -دار المعرفة بيروت-١٩٩٢م.

٣- تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مكتبة ومطبعة الشربجي دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٤- جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن /تفسير الطبري/ الإمام أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري -دار الفكر بيروت- ١٤٠٥هـ.

٥- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي- دار الشعب القاهرة- الطبعة الثانية.

٦- صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار العلوم الإنسانية دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٧- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٨- سنن ابن ماجه، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد الربعي بن ماجه القزويني، دار السلام الرياض دار الفيحاء دمشق، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٩- سنن النسائي الصغرى، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان النسائي، دار الفيحاء دمشق دار السلام الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٠- سنن أبي داود، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث إسحاق الأزدي السجستاني، دار السلام الرياض دار الفيحاء دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١١- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، دار إحياء العلوم بيروت، ١٩٨٨م.

١٢- المستدرك على الصحيحين، الحاكم، دار الكتب العلمية بيروت، تحقيق عبد القادر عطا، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

١٣- المسند، للإمام أحمد بن حنبل- دار الفكر بيروت- الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

١٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١٥- صحيح الأحاديث القدسية، عصام الدين الصبابطي، دار الحديث القاهرة، الطبعة السابع ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

١٦- صحيح مسلم بشرح النووي، للإمام يحيى بن شرف النووي الدمشقي الشافعي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني- دار الريان للتراث- الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

١٨- حاشية الشيخ إبراهيم البيجوري على شرح العلامة ابن القاسم الغزي على متن أبي شجاع، ضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، الجزء الثاني الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٩- ديوان الإمام الشافعي، أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس القرشي المطلبي، تحقيق صلاح الدين أبو الجهاد، مكتبة المستقبل حلب، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٢٠- يوم الفزع الأكبر، للإمام القرطبي تحقيق محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن القاهرة.

٢١- تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، للعلامة الشيخ محمد أمين الكردي، دار التراث الإسلامي حلب، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

٢٢- الطب النبوي، ابن قيم الجوزية، تحقيق عصام فارس الحرستاني، دار الجيل بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٢م.

٢٣- المحرمات وآثارها السيئة على المجتمع، أ.د. وهبة الزحيلي، دار المكتبي دمشق، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢٤- مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، أ.د. زغلول راغب محمد النجار، دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٢٥- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة آيات الله في الإنسان، أ.د. محمد راتب النابلسي، دار المكتبي دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٢٦- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة آيات الله في الآفاق، أ.د. محمد راتب النابلسي، دار المكتبي دمشق، الطبعة الثالثة ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧.

٢٧- العلوم في القرآن، د محمد جميل الحبال د. مقداد مرعي الجواري، دار النفائس بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٢٨- الطب في القرآن، د محمد جميل الحبال د. وميض رمزي العمري، دار النفائس بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٢٩- الإعجاز الطبي في القرآن، د. السيد الجميلي، دار النصر دمشق بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٣٠- مع الطب في القرآن الكريم، د. عبد الحميد دياب د. أحمد قرقوز، مؤسسة علوم القرآن دمشق، الطبعة الثالثة.

٣١- قبسات علمية من القرآن والسنة، أ.د. دلاور محمد صابر، دار المعرفة بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

٣٢- خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د محمد علي البار، الدار السعودية للنشر والتوزيع الطبعة العاشرة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

٣٣- الإعجاز العلمي في أحاديث التداوي بالخمر هل في الخمر منافع وفوائد، د. محمد علي البار، دار القلم -دمشق، الدار الشامية -بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٣٤- إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام، كريم نجيب الأغر، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

٣٥- الطب محراب للإيمان، د. خالص جلبي، دار الكتب العربية دمشق بيروت، الجزء الثاني الطبعة السابعة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٣٦- موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي الشريف، عبد الرحيم ماردیني، دار المحبة دمشق دار آية بيروت، الطبعة الأولى

٣٧- في رحاب الطب النبوي والعلم الحديث، محمود طلوزي، دار المحبة دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٣٨- روائع الطب الإسلامي القسم العلاجي الجزء الأول، د. محمد نزار الدقر، دار المعاجم سورية دمشق، الطبعة الأولى الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٣٩- روائع الطب الإسلامي العبادات وأثرها في صحة الفرد والمجتمع الجزء الثاني، د محمد نزار الدقر، دار المعاجم سورية دمشق، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٤٠- روائع الطب الإسلامي المحرمات وأرها في صحة الفرد والمجتمع الجزء الثالث، د. محمد نزار الدقر، دار المعاجم سورية دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٤١- روائع الطب الإسلامي للآداب الإسلامية وأثرها في صحة الفرد والمجتمع الجزء الرابع، د محمد نزار الدقر، دار المعاجم سورية دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٤٢- مختار الصحاح، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الإيمان دمشق بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م.

٤٣- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٤٤- كيف تقي نفسك من أمراض القلب، د. حسان شمسي باشا دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٤٥- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، للإمام زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين الشهير بابن رجب الحنبلي، تحقيق د ماهر ياسين الفحل، دار طيبة دمشق مكتبة أضواء البيان درعا، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ-٢٠٠٩م.

٤٦- فتاوى الخمر والمخدرات، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، إعداد وتعليق أبو المجد أحمد حراك، الكوثر للطباعة والنشر، مصر.

٤٧- أيها الشباب احذروا الموبقات التدخين الخمر الميسر المخدرات، فوزي محمد حميد، دار الكرامة للطباعة والنشر والتوزيع دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٣.

٤٨- القاموس المدرسي، محمد خير أبو حرب تقديم وزير التربية محمد نجيب السيد أحمد، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

٤٩- همسة في أذن شاب، د. حسان شمسي باشا، دار القلم دمشق، الطبعة السادسة ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٥٠- التربية الوقائية من المخدرات، د. سعيد محمد الحفار دار البشائر دمشق، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٥١- وقد خاب من دساها، د محمد ياسر المسدي، دار الإرشاد للنشر، حمص، ٢٠٠٨م.

٥٢- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تصحيح وفهرسة أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية مكة المكرمة، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٥٣- الموازين في سحر الساحرين، محمد كبتاوي، دار الرضوان للطباعة والنشر حلب، الطبعة الثانية ٢٠٠٢م.

٥٤- الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار، وحيد عبد السلام بالي، مكتبة الصحابة جدة، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.

٥٥- الإعجاز العلمي في أسرار القرآن الكريم والسنة النبوية الجزء الأول، محمد حسنى يوسف، دار الكتاب العربي دمشق القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

٥٦- الإعجاز العلمي في أسرار القرآن الكريم والسنة النبوية الجزاء الثاني، محمد حسنى يوسف، دار الكتاب العربي دمشق القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

٥٧- الدعاء من الكتاب والسنة العلاج بالرقى من الكتاب والسنة، سعيد بن علي ابن وهف القحطاني، مكتبة ابن القيم دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٥٨- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، د. محمد بن محمد أبو شهبة، دار القلم دمشق، الطبعة السابعة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٥٩- أسئلة حرجة وأجوبة صريحة، الشيخ محمد متولي الشعراوي، منشورات دار النصر، بيروت- لبنان.

٦٠- الحلال والحرام في الإسلام، الشيخ أحمد محمد عساف، دار إحياء العلوم بيروت، الطبعة السادسة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٦١- كتاب الكبائر، لمؤرخ الإسلام الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي، دار الهجرة دمشق، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٦٢- دورة الأرحام، د محمد علي البار، الدار السعودية للنشر والتوزيع جدة، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

٦٣- هل هناك طب نبوي، د. محمد علي البار، الدار السعودية للنشر والتوزيع جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٦٤- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى.

٦٥- في سبيل صحة أفضل، د. عبد الرزاق أشرف الكيلاني، دار القلم، دمشق الدار الشامية بيروت، الطبعة الأولى١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٦٦- التداوي بالقرآن، عبد المنعم قنديل، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

٦٧- منهاج المسلم كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات، تأليف أبي بكر الجزائري، الناشر مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة توزيع المكتبة العصرية صيدا بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٦٨- كتاب التوابين، الإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه المقدسي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

الفهرس

الشريعة والقوانين الوضعية ٥
أحكام الشريعة ٨
علة كل أمر ١١
آثار المعاصي ١٨
مدخل إلى الفواحش ٢٢
التبرج ٢٥
إطلاق البصر ٢٩
الاختلاط ٣٤
الحرية والمساواة ٣٩
الزنا ٤٥
اللواط ٥٦
السحاق ٥٩
المحيض ٦٤
النفاس ٦٨
الوطء في الدبر ٧٠
في الرضاعة المحرمة ٧٢
مدخل إلى المحرمات من الأطعمة ٧٧
العشاء قبل الصلاة ٨٣
النهي عن التنفس في الإناء ٨٥
الميتة ٨٧
ما أُهل لغير الله به ١٠٠

الحكمة في الأسماك ١٠١
الإعجاز العلمي في ميتة الجراد ١٠٤
الكبد والطحال ١١٣
الخنـــزير ١١٦
علة تحريم أكل الجوارح ١٢٣
تحريم الخمر ١٢٦
المخدرات ١٣٦
النظافة ١٥٢
الذهب ١٦٧
الربا ١٧٠
الحكمة من تحريم كنـــز الأموال ١٧٦
جامع الشر ١٧٩
السحر ١٨٧
حد السرقة ١٩٧
اقتناء الكلاب ٢٠٣
الوَشَمُ.. رؤيةٌ شرعية وطِبية وخُلقية ٢٠٧
التوبة ٢١١
المراجع ٢٢٤
الفهرس ٢٣١